سلسلة الخطب المنبرية (٢)

خطب العقيدة

العقيدة الصحيحة

خطب جمعة

ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

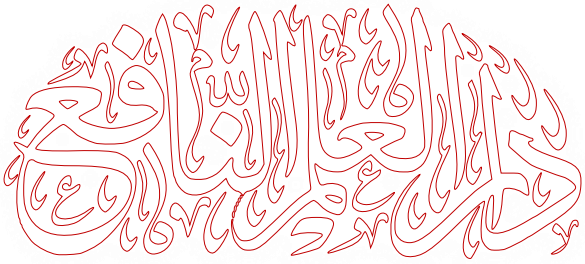
دار العلم النافع

للطباعة والنشر والتوزيع


سلسلة الخطب المنبرية (٢)
خطب العقيدة
العقيدة الصحيحة

جميع الحقوق محفوظة

اسم الكتاب: سلسلة الخطب المنبرية (٢) – خطب العقيدة (العقيدة الصحيحة)
المؤلف: أبو عبدالرحمن رشاد بن أحمد الضالعي
مقاسات الكتاب: ١٧×٢٤
تاريخ التنسيق: ١٤٤٧هـ
الطبعة: (الأولى ١٤٤٧هـ)
دار العلم النافع – اليمن – الضالع



اليمن - محافظة الضالع - جوار دار الحديث السلفية
+967 737850783 +967 777827532
Email:amarhedyain@gmail.com

سلسلة الخطب المنبرية (٢)

خُطَبُ العَقِيدَةِ

العقيدة الصحيحة

لفضيلة الشيخ
أبي عبد الرحمن
رَشاد بن أحمد الضّالعي
حفظه الله تعالى

دار العلم النافع
للطباعة والنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ. **أما بعد:**

فإن تعلُّم العقيدة الصحيحة من أوجب وأهمِّ ما يجب على المسلم، إذ بالعقيدة الصحيحة تكون نجاته في الدنيا والآخرة، وكذلك صلاح أعماله وقبولها، بل حياة الناس عمومًا وصلاح أحوالهم واستقامة دنياهم يكون على قدر صلاح عقيدتهم واستقامتها، وقد أبنتُ شيئًا من أهمية تعلم العقيدة في الخطبة الأولى من هذه الخطب.

فلما كان الأمر كذلك، وكان كثير من عامة المسلمين يجهل العقيدة الصحيحة أحببت أن أساهم في نشرها بينهم، وتعليمهم إياها، وأحسن اجتماع يجتمع فيه العامة هو خطبة الجمعة، فلذا جعلتُ بعض الخطب في تقرير العقيدة الصحيحة؛ لإرادة نفع الناس وتعليمهم، وقد رأيتُ من الناس تفاعلاً في حضور هذه الخطب وحرصًا عليها، ونأمل أن يكون حصل لهم بذلك النفع الذي أرجوه.

وقد بلغ عدد هذه الخطب تسعًا وثلاثين خطبة، كانت الخطبة الأولى منها في تاريخ ١٢ صفر ١٤٤٦ والخطبة الأخيرة في تاريخ ١٨ ربيع الآخر ١٤٤٧، فاستوعبتْ سنةً كاملة وشهرين وأسبوعًا، مع ما تخلَّل ذلك من خطب أخرى اقتضتها المناسبة.

وقد تحدَّثتُ في هذه الخطب عن أركان الإيمان الستة وما يتعلق بها، وهذه هي عقيدة المسلم التي إن استقامت استقام إيمانه.

وقد كان يقوم بتسجيل هذه الخطب ونشرها أخونا المبارك أبو مسلم علي الشِّعَب الضالعي وأخونا المبارك أبو إدريس نوفل الهندي، ثم يقوم أخونا المبارك عبدالله بن مقبل الفهد بتفريغ هذه الخطب من التسجيل وكتابتها وتجهيزها، ثم أقوم بمراجعتها ويتم نشرها أولاً بأول.

حتى تم ما أردتُ إلقاءه في هذا الباب واجتمعت هذه الخطب، فجمعناها في هذا المجلد لقصد النفع بها، وقد قام بمراجعتها مراجعة نهائية أخونا المبارك عمار بن علي الضالعي وأخونا المبارك عفان الضالعي، جزاهم الله خيراً جميعًا، وبارك في جهودهم.

فأسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الخطب نفعـًا عظيمـًا، وأن يجزي خيراً كل من أعان على نشرها، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كتبه

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

في دار الحديث السلفية للعلوم الشرعية بالضالع

يوم الثلاثاء ١٧ رجب ١٤٤٧هـ

(١) أهمية تصحيح العقيدة

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة البقرة:١-٣]، ففي هذه السورة سورة البقرة التي افتتحها الله سبحانه وتعالى بالثناء على المؤمنين وبيان صفاتهم، ثم ذكر الله تعالى فيها صفات الكافرين، ثم ذكر صفات المنافقين.

فذكر من صفات المؤمنين التي أثنى عليهم بها: الإيمان بالغيب، وهو الإيمان بالأمور الغائبة التي لا يراها الناس ولا يشاهدونها، وهذا هو الذي تميَّز به أهل الإيمان عن أهل الكفر، فإن أهل الكفر والشرك لم يؤمنوا بالأمور الغائبة التي أخبرهم بها النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأما أهل الإيمان فكانوا يُسلِّمون بذلك ويؤمنون به، وإذا أخبرهم النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن بعض أمور الغيب لم يترددوا في الإقرار بها وتصديقها.

ولذا لما أُسري به عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في ليلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عُرِج به من المسجد الأقصى إلى السماء، أصبح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وأخبر الناس بذلك، وكان هذا أمرا عجيبا غريبا، فأنكره أهل الشرك والكفر، وآمن به وصدَّقه أهل الإيمان، فهذه صفة المؤمنين التي تميَّزوا بها عن أهل الكفر، وهي الإيمان بالغيب.

فإذا صحَّ لنا وثبت عندنا أمرٌ من أمور الغيب بالأدلة الصحيحة، إذا جاء في كتاب الله أو جاء في سنة رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيجب الإيمان به واعتقاده، هذا شأن المؤمنين، وهذه هي عقيدة أهل الإسلام التي تميزوا بها عن أهل الكفر، وتميَّز بها أهل

الإسلام الحق عن سائر طوائف الضلال، فآمنوا بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من أمور الغيب، فصلحت عقائدهم واستقامت أحوالهم.

عباد الله!! إن صلاح عقيدة المؤمن من أعظم نعم الله عليه، فإنه إذا صلحت عقيدته استقامت أعماله، إذا صلحت عقيدته استقامت كلُّ أفكاره وكلُّ أقواله وكلُّ أعماله؛ لأن الأقوال والأعمال تبع للعقائد، جاء في الصحيحين[(١)] أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**».

فهذا القلب إذا صلح وصلحت العقيدة التي فيه صلح الجسد كله، إذا استقام القلب استقامت الجوارح والأقوال والأعمال.

وانظر كيف فسدت أفعالُ وأقوالُ كثير من الناس حين فسدت عقائدهم، فتكلموا بالكلام الذي لا يجوز وفعلوا الأفعال التي لا تجوز، صُرِفَتْ عبادات لغير الله سبحانه وتعالى، عُظِّم غيرُ الله بما لا يجوز من التعظيم إلا لله سبحانه بسبب فساد العقائد، لمَّا فسدت العقائد في قلوبهم فسدت أقوالهم وأعمالهم.

فمن أهم ما تعتني به أيها المسلم أن تعتني بتصحيح العقيدة، أن تعتني بإصلاح ما تعتقد في الله وفي أسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، هذا هو الإيمان، هذا هو الدين، كما جاء في حديث جبريل الطويل في صحيح مسلم(٨ -١-)،

---

(١) البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩ -١٠٧-)، عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عن عمر وفي الصحيحين[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنَّ جبريل سأل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن الإسلام فأخبره، ثم سأله عن الإيمان فأخبره بأمور الغيب، ثم سأله عن الإحسان فأخبره، ثم قال في آخر الحديث: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ، يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**». فهذا هو الدين، اعتقاداتٌ في القلب، ثم أعمالٌ تظهر على الجوارح، إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، هذا هو الإيمان، من صحح إيمانه واعتقاده في هذه الأمور؛ صح إيمانه، وإلا لم يصح إيمانه.

نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قضى كلَّ حياته في تصحيح العقيدة ودعوة الناس إلى هذا الأمر العظيم، بُعث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والناس لهم عقائد مختلفة، بُعث والنصارى يقولون: إن عيسى هو الله، ومنهم من يقول: إن الله ثالث ثلاثة، بُعث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومن الناس من يعتقد النفع والضر في الأحجار والأشجار والأصنام والأوثان، بُعث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومن الناس من لا يعتقد ببعث ولا نشور ويقول: إنما هي حياتنا الدنيا نموت ونحيا، بُعث الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والناس في عقائد فاسدة كثيرة، فاجتهد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في تصحيح هذه العقائد.

نزل القرآن بالدعوة إلى تصحيح العقائد، أبطل ما يعتقده النصارى من عقيدة التثليث، وما يعتقده النصارى من ألوهية عيسى، أبطل ما يعتقده اليهود، أبطل ما

---

(١) البخاري (٥٠)، ومسلم (٩ -٥-).

يعتقده المشركون، وكم هي الآيات في كتاب الله التي تبطل ذلك!؟ فكلُّ القرآن دعوة إلى ذلك.

كان نبيُّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في كل حياته مصحِّحا لعقيدة الناس مع القريب والبعيد مع الصغير والكبير لا يُفرِّق بين أَحَدٍ وأَحَدٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، دخل على عمه أبي طالب وهو في سياق الموت، قال له: «**يَا عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**». أبو طالب لا يعتقد ما دلَّت عليه هذه الكلمة، بل يعتقد أن الله تعالى إله وأن غير الله إله مما يعظمونه، فدعاه إلى تصحيح هذا الأمر الذي ينجو به يوم القيامة، «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»(١).

ركب معه معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يوماً فقال: «**يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟**» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(٢).

إذن، هذا الأمر العظيم هو حق الله تعالى الذي إذا اعتقده هذا الصحابي الجليل صحَّت أعماله.

ركب معه عبدالله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وهو غلام صغير يوماً فقال له النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ**

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم(٢٤ -٣٩-)، عن المسيب بن حزن المخزومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) رواه البخاري (٦٥٠٠)، ومسلم (٣٠ -٤٩-).

تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».(١) علَّمه العقيدة العظيمة في السؤال لله والاستعانة بالله وفي الإيمان بالقدر وأنه لن يصيب الإنسان إلا ما كتب الله له.

سمع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومـًا يحلف بأبيه في أول إسلامه، قال: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**»(٢). وذلك لأن الحلف بغير الله يُوحِي بتعظيم غير الله «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللهِ**».

أتاه مرةً رجلٌ كما في مسند الإمام أحمد (٢٥٦١)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: يا رسول الله، مَا شَاءَ اللهُ، وَشِئْتَ!، وهذه الكلمة توهم فساد العقيدة، وأن مشيئة الله مقارنة لمشيئة الرسول، وهذا لا يجوز اعتقاده، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا** -جعلتني مساويا لله؟- **بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**».

خرج معه ناس يومـًا من أصحابه وهم حديثو عهد بكفر فرأوا للمشركين شجرةً يُعلِّقون بها أسلحتهم، ويعتقدون أنَّ من علَّق سلاحه بهذه الشجرة يكون أقوى وأشد فتكـًا، يسمونها ذات أنواط، قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، أي اجعل لنا شجرة نُعلِّق بها الأسلحة كما يُعلِّق هؤلاء؟ وهم حديثو عهد بكفر لم يمض على إسلامهم إلا نحو شهر، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ،

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦).

(٢) رواه البخاري (٧٤٠١)، ومسلم(١٦٤٦).

قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ [سورة الأعراف:١٣٨]»[(١)].

فعلَّمهم الرسول وصحح لهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذلك وأنه لا يجوز هذا الاعتقاد أن يُعتقد في شجرة أنها تجلب النفع.

وهكذا أتته جارية صغيرة يومًا أراد سيدُّها أن يعتقها، فسألها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليصحِّح عقيدتها، سألها سؤالا يجهله اليوم أناسٌ كثيرٌ ممن ينتسب إلى العلم، أناس يُعَدُّون عند بعض الناس من العلماء، هذا السؤال الذي علِمَته هذه الجارية، قال لها: «**أَيْنَ اللهُ؟**». قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. فقَالَ لسيدها معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»[(٢)]. فشهد لها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإيمان حين سمع منها العقيدة الصحيحة، ومنها: أن الله في السماء.

وهكذا أتاه ناس كما في الصحيحين عن أبي هريرة وأبي سعيد[(٣)] فقالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ [وهذا الأمر مما يجب اعتقاده] قال: «**هَلْ تُمَارُونَ**» أي: هل تشكون؟ وفي بعض الألفاظ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟**» قالوا: لا، [أي كُلُّنا نراه إذا كان ليلة البدر ليس دونه سحاب] قال: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**» وسط النهار ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا،

---

(١) رواه الترمذي (٢١٨٠)، والطبراني (٣/ ٢٤٤)، عن أبي واقد الليثي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (٥٣٧ -٣٣-).

(٣) البخاري (٨٠٦) (٤٥٨١)، ومسلم(١٨٢ -٢٩٩-) (١٨٣ -٣٠٢-).

قال: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**» أي: ترونه في غاية الوضوح والبيان والجِلاء والظهور ليس به خفاء.

وأتاه سراقة بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في صحيح مسلم(٢٦٤٨ -٨-)، قال: يَا رَسُولَ اللهِ، بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ، فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ، أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ؟ أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: «**لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ**». قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**». وهذا تصحيحٌ للإيمان بالقدر، وأن كل شيء قد قدَّره الله جل وعلا وكتبه، وكلُّ إنسان يَسَّرَه الله لما قَدَّر له.

وهكذا كانت حياة نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كلها تعليم وتصحيح للعقيدة حتى لا يزيغ عنها الناس.

فأنت أيها المؤمن، اعلم أن من أوجب الواجبات عليك أن تجتهد في تصحيح عقيدتك، ليس هذا أمراً زائداً أو أمراً طوعياً إن شئت فعلتَه أو تركتَه، بل هذا من أعظم ما أوجب الله عليك أن تعتني بتصحيح عقيدتك، ولا نجاة لك في الآخرة إلا إذا صحَّت العقيدة التي هي متلخِّصةٌ في أركان الإسلام الستة وما يتعلق بها.

أقول ما سمعتم.

والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، إن الإنسان إذا انتقل من هذه الدنيا إلى الله سبحانه فإن أولَّ ما يُسأل عنه هو العقيدة، أول ما يُسأل عنه الميت حين يوضع في قبره عقيدتُه، فإن صحَّت كان من أهل السعادة وإن لم تصح كان من أهل الشقاوة، جاء في حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد وبعض أهل السنن[1] في حديثه الطويل أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذكر المؤمن وأنه يوضع في قبره قال: «**فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ**»، وجاء بنحوه في حديث أنس، وفيه: «**فَيُجْلِسَانِهِ**» ونؤمن بذلك أنه يُجلَس في قبره لأنه صح عن نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، «**فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...، **فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ**

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤) وأبو داود (٤٧٥٣).

الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ، فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ».

وأما المنافق أو الفاجر فإذا وُضِع في قبره: «**يَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي**»، وجاء بنحوه في حديث أبي هريرة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وفيه: «**سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا، فَقُلْتُ كَمَا قَالُوا**» فهكذا يكون حالُه لأنه لم يصحح هذه العقيدة في الدنيا: عقيدته في الله وفي دينه وفي نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ. فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ، فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ**». ففسدت حياته في الآخرة، وكان من الأشقياء حين فسدت هذه العقيدة.

فيا أيها المسلم اجتهد في تصحيح عقيدتك، لا نجاة لك يوم القيامة إلا بعقيدة صحيحة، لا نجاة لك ولا فوز إلا بعقيدة صحيحة.

جاء في سنن أبي داود (٤٦٩٩) وغيره عن ابن الديلمي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه أتى أُبيَّ بن كعب يسأله عن ركن من أركان العقيدة وهو القدر، فقال لَهُ: إِنَّهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ

وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ.

وجاء رجال إلى عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يسألونه عن أناس ظهروا في البصرة ويعتقدون في القدر عقيدة فاسدة كما في صحيح مسلم (٨ -١-) فقال لهم ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ). فبهذا تَعْلَم أيها المسلم أنه لا إيمان ولا نجاة في يوم القيامة إلا بعقيدة صحيحة.

وجاء في الصحيحين[1] عن سهل بن سعد الساعدي وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وبنحوه في صحيح مسلم عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر الحوض، فقال: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**» أناس يَرِدُونَ الحوض على النبي

(١) البخاري (٧٠٥٠) (٧٠٥١)، ومسلم(٢٢٩٠)، عن سهل بن سعد وأبي سعيد، ومسلم (٢٢٩٥) عن أم سلمة.

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيهم علامات أنهم من هذه الأمة فيعرفهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم يُبْعَدون عنه، ويُحَال بينهم وبينه، قال: فأقول: «**أي رب إنهم منِّي ومن أمتي، فيقال: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**». هؤلاء أحدثوا، هؤلاء غيَّروا عقائدهم، هؤلاء اعتقدوا العقائد الفاسدة، وابتدعوا في الدين ما ليس منه، قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي**». أي: هلاكًا له، وبُعدا له، الذي غيَّر في هذا الأمر العظيم الذي هو اعتقاد المسلمين.

وهكذا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما دخل على عمِّه أبي طالب وأمره أن يصحح عقيدته، أخبره أنه ينجو بها من النار، فقال: «**يَا عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»[1]، أي أشهد لك أنك قد مِتَّ على عقيدة صحيحة، فلما أبى ذلك، لم ينفعه.

فيا أيها المسلم أنت في زمن يحاول فيه أهل الكفر وأهل الإلحاد وأهل الزندقة وأهل البدع الخرافية أن يسلُبوك عقيدتك، هناك هجمات إعلامية مُكَثَّفة، كتابية، وصوتية، ومرئية، يحاولون فيها تغيير عقيدة المسلمين، وسلبهم العقيدة التي دل عليها كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فتمسك بذلك فإن نجاتك في الآخرة موقوفة على ذلك، موقوفة على سلامة عقيدتك في الله وفي أسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله والقدر واليوم الآخر، وهذا من أوجب ما يتعلمه المسلم في هذه الحياة الدنيا.

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم(٢٤ -٣٩-)، عن المسيب بن حزن المخزومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وبإذن الله سبحانه وتعالى أننا في مثل هذا الموقف في يوم الجمعة نتعلم هذه العقائد التي دل عليها كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، براءة للذمة أمام الله سبحانه، وسعيـًا في نشر العقيدة الصحيحة، ووقوفا في وجه أهل الباطل الذين يسعون جاهدين في تغيير عقيدة المسلمين، ودعوة إلى تصحيح عقائد الناس التي يحاول أعداء الله جل وعلا بكل ما أوتوا من قوة أن يسلبوا المسلمين هذه العقيدة الصحيحة.

فنسأل الله جل وعلا أن يحفظنا بحفظه وأن يوفقنا بتوفيقه.

اللهم أعِنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

اللهم آمِنَّا في أوطاننا، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم ارزقهم البطانة الصالحة التي تدلهم على الخير وتعينهم عليه.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئنـًا وسائر بلاد المسلمين.

والحمد لله رب العالمين.

(٢) الإيمان بالله

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما سبق بيانُه أن من أهمِّ ما يكون في حياة المسلم أن يُصحِّح عقيدته التي يعتقدها فيما يجب اعتقاده، وأنه لا نجاة للعبد ولا سلامة له ولا استقرار له إلا بعقيدة صحيحة يعيش عليها في الدنيا ويلقى الله تعالى بها في الآخرة.

وإن عقيدة المسلم التي دل عليها الكتاب والسنة مبنية على ستة أصول، لا يصح إيمانه ولا يستقيم إلا إذا حقَّق الإيمان بهذه الأصول الستة، وهي الإيمان الذي ذكره النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين سأله جبريل: أخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».(١) فهذه هي عقيدة المسلم، ولا تستقيم عقيدته إلا إذا استقام إيمانه بهذه الأصول، ومن لم يؤمن بأصل منها فليس من المؤمنين.

ولذا جاء في هذا الحديث نفسه في سبب إيراد عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لهذا الحديث أن ناسًا سألوه عن طائفة ظهرت في البصرة ينكرون قدَر الله ويقولون: إن الأمر أُنُف، أي: مستأنف في ذلك الوقت، ولم يسبق تقديرٌ من الله تعالى لذلك، فقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لأولئك الذين سألوه: (إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ)، أي: أنهم كفار ليسوا من المؤمنين حين أنكروا هذا الركن من أركان الإيمان.

---

(١) رواه مسلم (٨ -١-) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهذه الستة الأركان بعضها مرتبط ببعض، ولا يتم إيمان عبد حتى يؤمن بها كلها، ومن لم يؤمن بواحد منها فليس بمؤمن.

هذه الأصول السِّتَّة ذكرها الله تعالى في آيات كثيرة، وأخبر أن المؤمن مَن آمن بها، وأن من كفر بها فهو من أهل الضَّلال، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [سورة النساء:١٣٦]، فمن لم يحقق الإيمان بهذه الأصول فقد ضَلَّ ضلالا بعيداً.

وقال الله سبحانه: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة البقرة:١٧٧]، إلى آخر الآية.

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [سورة البقرة:٢٨٥]، فهذه أصول الإيمان وأركانه العظام.

جمع الله تعالى في هذه الآيات خمسةً منها، وذَكَرَ في آيات أخرى الركن السادس، فقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾ [سورة القمر:٤٩]، وقال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾ [سورة الفرقان:٢]، فكل شيء بقدرٍ إضافة إلى الأركان الخمسة

التي سبقت في الآيات، فهي ستة أصول عليها يُبنَى إيمان المؤمن، وعليها تُبنَى عقيدته، ولا إيمان له ولا استقرار له ولا طمأنينة ولا راحة ولا سكون في هذه الحياة الدنيا، ولا نجاة له ولا سلامة في الآخرة إلا بالإيمان بهذه الستة الأصول، ومن لم يحقق الإيمان بها كان من الخاسرين.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [سورة النحل:٩٧]، فهؤلاء الذين لهم الحياة الطيبة وهم أهل الإيمان، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [سورة مريم:٩٦]، أي: محبة عظيمة في قلوب الخلق.

وهؤلاء هم الذين يُمكِّنُهم الله في الأرض، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [سورة النور:٥٥]، وهؤلاء هم الذين لهم السعادة والحياة الطيبة والاستقرار والتمكين، ولهم السعادة والدرجات العالية في الآخرة.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة طه:٧٤-٧٥]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا

﴿١٠٨﴾ [سورة الكهف:١٠٧-١٠٨]، فهؤلاء أهل الإيمان الذين حققوا الإيمان بهذه الأركان العظيمة هم الناجون في الدنيا وفي الآخرة.

فيا عبد الله، اعلم أنَّ عقيدَتك مبنِيَّةٌ على تحقيق هذه الأصول الستة.

وأولُّ هذه الأصول وهو أعظمُها وأهمُّها: الإيمانُ بالله.

والإيمانُ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينبني على ثلاثة أمور:

١- الإيمان بربوبيته.

٢- والإيمان بألوهيته.

٣- والإيمان بأسمائه وصفاته.

فهذه ثلاثٌ إذا آمن بها العبد يكون قد حقَّق الإيمانَ بالله جل وعلا.

الأمر الأول: الإيمان بربوبية الله، والربوبية نسبةٌ إلى الرب، أي: أن تؤمن أن الله تعالى هو الخالق وهو الرازق وهو المالك وهو المُدبِّر وهو المتصرف، فلا خالقَ إلا الله سبحانه، ولا رازق إلا الله سبحانه، ولا مالك على الوجه الحقيقي ولا مدبر ولا متصرف إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد ذكر الله تعالى هذا الأصل العظيم في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾ [سورة الأعراف:٥٤]، وقال الله سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٖ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾ [سورة لقمان:١٠-١١].

فالله جل وعلا بيده الأمر، وغيرُ الله لا يخلق ولا يرزق وليس له شيء من الأمر إلا ما أقْدَرَهُ الله عليه، ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ٣٧ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٣٨﴾ [سورة الطور:٣٥-٣٨]. إلى غير ذلك من الآيات التي عظَّم الله فيها نفسه وأخبر بأن الأمر كله إليه، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [سورة الأعراف:٥٤]، فالخلق والأمر كلُّه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [سورة يس:٨٢]، فهذا هو الإيمان بربوبية الله.

فالله جل وعلا جل وعلا هو الرب هو الخالق هو المالك، ولذا فأولُّ سورة في القرآن في تقرير هذا الأصل العظيم، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [سورة الفاتحة:٢-٤]، وهكذا آخر سورة في القرآن، ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣﴾ [سورة الناس:١-٣]، إلى آخر السورة، فالقرآن قرَّر هذا الأصل أعظمَ تقرير مع وضوحه وبيانه.

ولذا كان هذا الأصل مُتَقَرِّرا في فِطَر الناس، حتى المشركون -في الجملة- لم ينكروه، بل كانوا يقرون بربوبية الله، قال الله تعالى لنبيه أن يقول لهم: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [سورة يونس:٣١]، وهذا الخطاب للمشركين، أي قل لهم من يفعل كلَّ هذه الأمور، ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [سورة يونس:٣١]، يعترفون أنه الله، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [سورة العنكبوت:٦١]، أي لا ينكرون ذلك بل يُقرُّون به، ولكن أشركوا معه غيره.

وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة المؤمنون:٨٤] أي: اسألهم يا محمد اسأل المشركين: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة المؤمنون:٨٤-٨٩].

فهذا الأمر العظيم واضحٌ جليٌّ في القرآن لم ينكره إلا العُتَاةُ المتكبرون، كفرعون الذي ادعى لنفسه الربوبية وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة النازعات:٢٤]، وكالنَّمرُود الذي حاجَّ إبراهيم في ربه وقال: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨]، ومع ذلك كان ادِّعائُهم لهذا إنما هو بألسنتهم، وإلا فقلوبُهم تُكذِّبُهم، ولذا فرعون لما أدركه الغرق

أقرَّ بلسانه بما كان يخفيه في قلبه وقال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة يونس:٩٠]، قال الله: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة يونس:٩١]، أي لا ينفعك الإيمان في هذه الحال.

فهذا أمر ظاهر واضح لكل أحد ويعرفه كل الناس.

ولذا فحين جاء أناسٌ ممن ينكرون وجود الله وتدبيره للكون إلى الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريدون مناظرته في هذا الأمر -في إثبات وجود الله وتدبيره وتسييره لأمر الكون- فقال: دعوني أُفَكِّر في أمر، قالوا: في ماذا تفكر؟ قال: أفكر في خَبَرٍ: أن سفينة تأتي إلى نهر دَجْلَة فتحمل ما تحمل من البضائع ثم تمضي في البحر ثم ترسو في الجانب الآخر من النهر ثم تُفرِغ ما فيها مما حملت ثم تعود إلى المرسى الأول فتحمل مرَّةً أخرى دون أن يقودها أحد.

فقالوا له: هذا مُحَالٌ، وكيف يكون هذا: سفينةٌ تأتي وتذهب وترجع وتحمل البضائع وتنقلُها ثم تُفْرِغُها دون أن يُدبِّرَها أحد؟! وهو أراد أن يُلزمهم ببطلان ما يقولون، فقال: إذا كنتم تنكرون ذلك في سفينة، فكيف بهذا الكون عُلوِيِّه وسُفْلِيِّه من سمائه وأرضه وشمسه وقمره ونجومه وجباله والخلقِ الذين فيه، كلُّ هؤلاء لا يدبِّرُهم أحد، إذا أنكرتم هذا ولم تَقْبَلْهُ عقولُكم في سفينة فكيف بهذا الكون كله؟ أيُعقَل أنه بدون مُدَبِّر ولا خالق ولا متصرف؟

وهكذا سأل الإمامُ الأصمعيُّ -واسمُه عبد الملك بن قُرَيْب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أئمة التابعين- رجلاً من الأعراب -والأعراب هم البدو الذين ليس عندهم علم ولا يعرفون كثيراً من أدلة القرآن والسنة- فقال له: بماذا عرفتَ ربَّك؟ فقال الأعرابي كلمتَه المشهورة: البعرة تدُلُّ على البعير، وأثر القدم يدل على المسير. أي إذا وجدنا بعرة فإننا نستدلُّ بهذه البعرة على أنه كان هاهنا بعير وإلا من أين جاءت البعرة؟ وأثر القدم: إذا رأينا في الأرض أثر أقدام فإننا نستدل بأثر الأقدام على مسير أناس من هذا المكان. ثم قال: فسماواتٌ ذات أبراج، وأرضٌ ذات فجاج، ألا يدلُّ ذلك على اللطيف الخبير؟

أي أن هذا شيء لا يُجهل بل تدعو إليه الفطرة ويعلمُه كلُّ أحد، فالسماوات تدل على وجوده سبحانه وسلطانه وتدبيره، والأرَضُون تدل على ذلك، وكل المخلوقات تدل عليه.

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ * تَدُلُّ على أنه واحد**

في كل شيء من الخلق آية وعلامة تدل على أن الله تعالى واحد، فهذا الأمر الأول مما يقوم عليه الإيمان بالله سبحانه وهو الإيمان بربوبية الله جل وعلا.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس: الأمر الثاني من الأمور التي يقوم عليها الإيمان بالله هو: الإيمان بألوهية الله، والألوهية نسبة إلى الإله، والله تعالى هو الإله، والإله بمعنى المعبود، والألوهية بمعنى العبادة، فمعنى الإيمان بألوهية الله: أن نؤمن أن الله تعالى وحده هو المستحق للعبادة، وأن غير الله لا يستحق من العبادة شيئا، وأنه لا يجوز أن يَصرِف العبد شيئا من العبادة لغير الله، لا العبادة القولية التي هي الدعاء والاستغاثة والاستعاذة ونحوها، ولا العبادة الفعلية التي هي الصلاة والذبح والنذر والطواف ونحوها، ولا العبادة القلبية التي هي الخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة ونحوها، كلُّ هذه العبادات لا يجوز أن يُصرَف منها شيء إلا لله سبحانه، ومن صرف منها شيئاً لغير الله فلم يحقق الإيمان بالله، فالله هو الإله الحق وكلُّ ما سواه باطل قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [سورة الحج:٦٢]، فكلُّ ما دُعِي من دون الله فهو باطل، والله تعالى هو الإله الحق، وقال الله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [سورة النساء:٣٦]، وأخبر الله أنه أوجد الخلق لهذه الغاية، ﴿وَمَا

خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾

[سورة الذاريات:٥٦-٥٧].

فنؤمن أن الله تعالى هو الإله الحق، وأنه لا يستحق العبادة أحد سوى الله جل وعلا، وكلُّ ما عُبد من دون الله فهو باطل، سواء ما عُبِد من دون الله من الأصنام والأوثان، أو ما عُبد من دون الله من الأضرحة والقبور، أو ما عُبد من دون الله من الأولياء والصالحين، أو من الملائكة، أو من الجن، أو من الأنبياء والرسل، كلُّ ذلك عبادته باطلة وكلُّ ذلك مما ينافي إيمانَ المؤمن، ولا يَتِمُّ إيمانُه مع هذه الأمور، فلابد من تحقيق ألوهية الله.

وهذا الأمر هو الفرق بين المسلم والكافر، هذا الأمر هو الذي رفَضَهُ المشركون وردُّوه في وجوه الأنبياء ولم يؤمنوا به، أما الأمر الأول وهو الربوبية فأقروا به كما تقدم بيانه، ولكن هذا الأمر هو الذي امتنعوا عنه، قال الله تعالى في بيان رفضهم لذلك: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الصافات:٣٥]، فكانوا يمتنعون عنه، ولا يمكن أن يقولوا: لا إله إلا الله، لأنهم يعتقدون أن الله إله، وأن غير الله إله، يعتقدون أن الله تُصرف له العبادة وغير الله تصرف له العبادة، فلما قال لهم الرسول: قولوا: لا إله إلا الله، استكبروا وامتنعوا، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [سورة ص:٥]، فتعجَّبوا من هذا الأمر كيف يكون الإله واحدا؟ وهم عندهم آلهات كثير.

وقال قوم هود لهود عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [سورة الأعراف:٧٠]، فهم أَبَوا عبادة الله وحده ورفضوا ذلك وأنكروه وعجبوا منه.

فمن يقول اليوم: أنا مؤمن بالله، ثم يَصرِفُ العبادة لغير الله، فهذا ليس مؤمنا بالله، هذا حالُه كحال المشركين الذين دعاهم الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكفروا به، لأنهم لم ينكروا الإيمان بالله، بل آمنوا بالله، ولكنهم صرفوا عبادتهم لغير الله سبحانه.

وهذا الأمر الذي فرَّق به بين أهل الإسلام وأهل الكفر، لأن الإله واحد ولا يمكن أن يكون إلهان، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [سورة النحل:٥١]، وقال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ﴾ [سورة الأنبياء:٢٢] أي في السماوات والأرض ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [سورة الأنبياء:٢٢]، أي لو وُجِدَ إله مع الله لفسدت السماوات والأرض، ولا يمكن أن يستقيم الحال مع وجود إلهين، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذٗا﴾ [سورة المؤمنون:٩١] أي لو كان معه إله ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٖۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١﴾ [سورة المؤمنون:٩١].

فهذا هو الأمر الثاني مما يقوم عليه الإيمان بالله جل وعلا، وهو الإيمان بألوهية الله، أن تؤمن أن الله تعالى هو الإله الحق وأن كلَّ ما سوى الله جل وعلا باطل، وأن من دعا المسلمين إلى دعاء غير الله سواء دعا الأنبياء أو الأولياء أو الصالحين، أو دعاهم إلى تقريب القرابين والنذور لهؤلاء، أو الطواف بقبورهم، أو جَعْلِهم وسائط بين الله وبين

الخلق، أو نحو ذلك، فإنما يدعوهم إلى الكفر، كلُّ من دعاهم إلى ذلك فإنما يدعوهم إلى الكفر بالله.

كما يوجد اليوم من دُعاة الرافضة وبعض طوائف من الصوفية وغيرهم ممن يدعو إلى مخالفة هذا الأصل العظيم الذي يقوم عليه دين المؤمن واعتقاده.

الأمر الثالث مما يقوم عليه الإيمان بالله: الإيمان بأسمائه وصفاته، أن تؤمن بأن الله تعالى له أسماء سمَّى بها نفسه وسمَّاه بها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الله تعالى له صفات وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يجب عليك الإيمان بها، فتؤمن بما سمى الله به نفسه في القرآن وسماه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة، وهي كثيرة لا حَصْر لها، أسماء الله غير محصورة، ليست محصورةً بتسعةٍ وتسعين ولا بغير ذلك، وإنما هذه الأسماء التسعةُ والتسعون لها خصوصية أن من أحصاها دخل الجنة، وإلا فأسماء الله لا حصر لها، كان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»،[1] فلا أحد يحصي الثناء على الله، والثناء على الله يكون بأسمائه وصفاته فهذا يُبيِّن أن أسماء الله لا حَصْر لها لأننا لو قلنا بحصرها لكان من الممكن إحصاء الثناء على الله تعالى.

وهناك أسماء لله تعالى لا يعلمها أحد، وكان من دعاء الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ**

---

(١) رواه حديث مسلم(٤٨٦ -٢٢٢-) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»[١] فهناك أسماء لله لا يعلمها إلا الله، وهناك أسماء علَّمها الله بعض خلقه دون بعض، فليست أسماء الله تعالى محصورة لا بتسعة وتسعين ولا بعدد غير ذلك، فنؤمن بأسماء الله تعالى كلها.

فمن أسمائه: السميع والبصير والعليم والحكيم والملك والقدوس والسلام والمؤمن.

ومن صفاته جل وعلا: الرحمة والمغفرة والعزة والكبرياء والعفو والعلم والقدرة والحكمة، كلها من صفات الله ويجب الإيمان بها، يجب أن نؤمن بكل ما سمى الله به نفسه أو سماه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن نؤمن بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأسماء الله تعالى كلُّها حسنى لا تساويها أسماء المخلوق ولا تماثلها ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [سورة الأعراف:١٨٠]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [سورة طه:٨]، وليست الأسماء الحسنى إلا لله سبحانه، مهما بلغ اسم المخلوق من الحُسْن، ومهما كان فيه من المعاني العظيمة، فلا يماثل ولا يداني اسم الله جل وعلا.

فأسماء الله بلغت أعظم الحُسْن، بلغت حُسْنا لا يمكن وصْفُه.

---

(١) رواه أحمد (٣٧١٢) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أسماء الله جل وعلا يجب على العبد أن يحقق الإيمان بها، لأن الله جلَّ وعلا حين أَعْلَم عبادَه بأسمائه وصفاته تَعرَّف بذلك إلى خَلْقِهِ، وإنما عَرَفَهُ خلقُه سبحانه بأسمائه وصفاته، فعلموا أنه عليم، وعلموا أنه سميع، وعلموا أنه بصير، وعلموا أنه رقيب، وعلموا أنه غفور وتواب ورحيم، وعلموا معاني أسمائه وصفاته، ومَن عَرَفَ الله بأسمائه وصفاته عَظُم إيمانه بالله في قلبه، مَن عَرَفَ الله بأسمائه وصفاته قَدَّر اللهَ حَقَّ قَدْرِه، وعَظَّم الله تعالى حق تعظيمه.

فهذا الأمر الثالث مما يقوم عليه الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو الإيمان بأسماء الله وصفاته.

فيا أيها المؤمن هذا هو الأصل الأول من أصول الإيمان التي يقوم عليه إيمان المؤمن.

وبقية أركان الإيمان هي حديثنا -إن شاء الله- فيما سيأتي.

نسأل الله جل وعلا أن يتقبل منا، وأن يلهمنا الرشد والصواب.

اللهم أعِنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، اللهم أصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، اللهم أصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم يَسِّر لهم البطانة الصالحة التي تَدُلُّهم على الخير وتَحُضُّهم عليه.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفِّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

والحمد لله رب العالمين.

(٣) أهمية العلم بأسماء الله وصفاته، وأثر ذلك على حياة المسلم

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن من أصول الاعتقاد التي يجب على المسلمين تصحيحها والعناية بها: الإيمانَ بأسماء الله تعالى وصفاته، وتحقيقَ ذلك كما أمر الله سبحانه وتعالى به.

وهذا الباب باب الأسماء والصفات لله جل جلاله من أعظم أبواب العلم، فإن شرف العلم وفضلَه يكون بشرف المعلوم، والمعلوم بأسماء الله وصفاته هو الرب سبحانه وتعالى، فهذا العلم هو أشرف العلوم على الإطلاق.

ومما يبين أهمية ذلك أمور، منها:

١- أن العلم بأسماء الله وصفاته وتحقيق ذلك هو تحقيق لأعظم أركان الإيمان ولأحد أقسام التوحيد، فإن الإيمان ستة أركان، ومنها: الإيمان بالله، وإنما يكون الإيمان بالله بمعرفة أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، وأما من لم يعرف الله بأسمائه وصفاته فكيف يؤمن به؟

وهكذا هو أحد أقسام التوحيد، فإن التوحيد عند أهل العلم ثلاثة أقسام:

١- توحيد الله تعالى في ألوهيته.

٢- وتوحيد الله تعالى في ربوبيته.

٣- وتوحيد الله تعالى في أسمائه وصفاته.

ولا يمكن للعبد أن يوحِّد الله تعالى بأسمائه وصفاته إلا إذا عرفها، وعلم ما دلت عليه من المعاني العظيمة، وكلما كان علمه بها أعظم، كان تحقيقه للتوحيد أعظم.

ومما يبين أهمية العلم بأسماء الله وصفاته:

٢- أن معرفة ذلك هو أحد مقاصد بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن الرسل بعثهم الله جل وعلا لتحقيق ثلاثةِ مقاصدَ رئيسية، وكلُّ ما جاءت به الرسل يدور حول هذه المقاصد:

أولها: التعريف بالرب سبحانه وتعالى وما له من الأسماء والصفات وما له من الكمال، وما يجوز في حقه، وما يمتنع عليه جل وعلا.

المقصد الثاني: التعريفُ بالطريق الموصل إلى الله، وهو دينه وشرعه، الذي هو الأمر والنهي.

والمقصد الثالث: التعريف بما أعدَّه الله لعباده بعد وصولهم إليه، ما أعدَّ الله للمؤمنين، وما أعدَّ الله للكافرين.

ولو تأملتَ القرآن والسنة لوجدت أن ما دعا إليه القرآن والسنة لا يخرج عن هذه المقاصد الثلاثة، وأعظمها المقصد الأول الذي هو: التعريف بالرب، فهو الأصل، وما بعده تبع له.

فالإيمان بأسماء الله وصفاته، والعلم بذلك هو تحقيق لهذا القصد العظيم الذي دعا إليه الرسل وأفنوا فيه أعمارهم.

مما يبين أهمية العلم بأسماء الله وصفاته:

٣- أن العبد كلما كان بالله أعلم، كان أشدَّ محبةً له، وأشدَّ تعظيمـًا وخشيةً له، فمن عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته أحبَّه وعظَّمه وخَشِيَهُ وقدَّره حق قدره، ولذا تجد أشد

الناس محبةً لله وتعظيماً له وخشية منه هم أعلم الناس به، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [سورة فاطر:٢٨]، فالعلماء هم الذين يخشون الله خشيةً حقيقية، وسبب ذلك أنهم عرفوا الله جل وعلا، عرفوا عظمته، وما له من الأسماء والصفات، وهذا هو العلم النافع كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم خشية الله).

فكلما كان العبد بالله أعلم، كان أشد حباً له، وأعظم خشيةً منه، ولذا انظر إلى ملائكة الله الذين هم أقرب الخلق إلى الله جل وعلا، ومن أعلم الخلق به، كيف خشيتهم لله؟ وكيف تعظيمهم لله؟ وذلك لأنهم عرفوا الله جل وعلا، وعرفوا ما له من الكمال.

جاء في صحيح البخاري (٤٧٠١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ**»، أي خوفاً من الله جل وعلا وخشية إذا سمعوا كلامه بالوحي، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة سبأ:٢٣].

﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة سبأ:٢٣] أي: زال الفزع عن قلوبهم وارتفع الفزع عنها سألوا ماذا قال الله؟ والمراد بالفزع ما غَشِيَ قلوبهم حين سمعوا كلام الله، فإنهم حين

يسمعون كلام الله يصيبهم مثل الغشي، لتعظيمهم وإجلالهم لله تعالى، مع عظمتهم وعظمة خلقهم ولكنهم لما عرفوا الله عظموه حق تعظيمه.

وجاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الحاكم (٧٨١٣)، وأبي يعلى (٦٦١٩)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش، رجلاه في الأرض**»، وفي رواية: «**قد مرقت رجلاه الأرض السفلى والعرش على منكبه، وعنقه مثنية تحت العرش، وهو يقول: سبحانك ما أعظم ربنا**»، وفي رواية: «**يقول: سبحانك أين كنت وأين تكون، فيجيبه الله جل وعلا: ما علم ذلك أو ما قدرني حق قدري من حلف بي كاذبًا**».

هذا الذي يحلف بالله كاذبًا ما قدَّر الله حق قدره، ولا علم عظمة أسمائه وصفاته، ولو علم ذلك لما حلف بالله كاذبًا، هذا ملَك بهذه الصفة العظيمة من الخلق رجلاه قد مرقت في الأرض السفلى وعنقه فوق السماء السابعة مثنية تحت العرش، وهو يعظم الله، ويسبحه، ويقدِّسه جل وعلا لعلمه بكمال الله.

وجاء عند الطبراني وابن أبي عاصم عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مَرَرْتُ عَلَى جِبْرِيلَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**». كالحلس البالي، أي كالفراش أو البساط البالي من

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٦٧٩) وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٢١) وهو في «السلسلة الصحيحة» للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٢٨٩).

خشيته لله جل وعلا، فكلما كان العبد أعرف بأسماء الله وصفاته كلما كان أشدَّ تعظيمـًا لله، وأشد خشية له، وأعظم محبة له.

وانظر أيضا إلى الأنبياء، الذين هم أعلم الناس بالله، كيف كان تعظيمهم لله ومحبتهم له سبحانه وتعالى.

فمن أراد أن يُعمَر قلبُه بمحبة الله وخشيته وتعظيمه وإجلاله، فليتعرف على أسمائه وصفاته، فإن من عرف ذلك أحبَّ الله جل وعلا لا محالة.

ومما يبين أهمية العلم بأسماء الله وصفاته:

٤- أن العلم بأسماء الله وصفاته تحقيق للغاية التي خَلق الله الخلق لأجلها، فالله جل وعلا خلق الخلق لغاية عظيمة، وهي عبادته وحده لا شريك له، ولا يمكن للعباد أن يحققوا هذا الغاية إلا إذا عرفوه، وكلما كان العبد جاهلاً بالله كان قصوره في العبادة أكثر، وكلما كان أعلم بالله كان تحقيقه للعبادة أعظم.

مما يبين ذلك أيضـًا:

٥- أن العلم بأسماء الله وصفاته مرتبةٌ من مراتب إحصائها الذي وعد عليه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **بالجنة**، ففي حديث أبي هريرة المتفق عليه[1] أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**». هذه التسعة والتسعون هي من أسماء الله، ومن أحصى هذه التسعة والتسعين دخل الجنة.

---

(١) البخاري(٢٧٣٦)، ومسلم(٢٦٧٧ -٦-).

قال أهل العلم: وإحصاء أسماء الله ثلاثُ مراتب:

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها، فيحفظ ألفاظها، ويَعُدُّها.

المرتبة الثانية: معرفة معانيها ومدلولاتها.

فلا يكتفي بحفظها سرداً، بل يحفظها ويعلم معانيها وما تضمنته من الكمال.

المرتبة الثالثة: دعاء الله سبحانه وتعالى بها، دعاء عبادة ودعاء مسألة.

فمن أحصى هذه التسعة والتسعين من أسماء الله جل وعلا دخل الجنة.

مما يبين أهمية العلم بأسماء الله وصفاته:

٦- **أن ذلك يُصلِح حال العبد، فإن العبد يَصلُح حاله بعلمه بأسماء الله وصفاته**، فإنه إذا علم أن الله تعالى التواب تاب إليه، وإذا علم أن الله الرقيب راقبه، وإذا علم أن الله السميع ضبط كلامه فلم يتكلم إلا بما يرضي الله، وإذا علم أن الله البصير ضبط أفعاله فلا يفعل إلا ما يرضي الله، وإذا علم أن الله الغني والرزاق والوهاب وثق بالله وبرزقه، وإذا علم أن الله القوي وأن الله الناصر والنصير وثق بنصر الله وتوكل عليه، وهكذا، فيَصلُح حال العبد، ويكون مراقبا لله، وتصلح أعماله وأقواله بعلمه بأسماء الله وصفاته، فكلما كان بأسماء الله وصفاته أعلم، كلما كان ذلك أصلح لحاله.

مما يبين أهمية ذلك:

٧- **أن راحة القلوب وسرورها وسعادتها وانشراحها بمعرفتها بالله جل وعلا**، فمن عرف الله لم يضره جهلُه بغير الله، ومن أَنِسَ بالله لم يستوحش ممن سواه، ومن عظَّم الله وتعلق قلبُه به زال من قلبه التعلق بالمخلوق أو الخوف من المخلوق أو الرجاء

للمخلوق، فمعرفة أسماء الله وصفاته يصلح قلب العبد المؤمن، وكلما كان بالله تعالى أعرف كلما كان ذلك لقلبه أصلح.

وهذا أمر مشاهد لا شك فيه ولا ريب، أن طمأنينة القلوب وراحتها وسرورها ونعيمها بمعرفتها بخالقها وبارئها وتعلقها به سبحانه وتعالى.

عبادَ الله، لهذه الأهمية العظيمة للعلم بأسماء الله وصفاته أمرنا الله في القرآن بتعلم ذلك، وكم هي الآيات التي أمر الله فيها بتعلم أسمائه وصفاته؟ قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد:١٩]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾ [سورة الأنفال:٤٠]، وقال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٠٩﴾ [سورة البقرة:٢٠٩]، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٤٤﴾ [سورة البقرة:٢٤٤]، إلى آيات كثيرة يأمر الله العباد أن يعلموا أسماءه وصفاته.

بل أخبر الله أنه خلق السماوات وخلق الأرضين لأجل أن يعلم العباد أسماءه وصفاته، قال الله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ﴾ [سورة الطلاق:١٢]، أي: سبع أرضين، ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ [سورة الطلاق:١٢]، ثم قال الله في بيان الحكمة من ذلك: ﴿لِّتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [سورة الطلاق:١٢]، فخلق الله السماوات السبع والأرضين السبع لنعلم أنه جل وعلا على كل شيء قدير، ولنعلم أنه سبحانه قد أحاط بكل شيء علماً.

عُظِّمت سورٌ في القرآن، وعُظِّمت آياتٌ في القرآن لمَّا تضمنت أسماء الله وصفاته، يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمعنى كلام له: (ولذا كانت الآيات التي فيها ذكر الأسماء والصفات أعظم مما سواها من آيات القرآن، أعظم من آيات الأحكام والحلال والحرام وقصص الأمم السابقة والإخبار عن الوعد والوعيد. فالآيات المتضمنة لأسماء الله وصفاته هي أعظم الآيات في القرآن) (١).

ولذا جاء في صحيح مسلم (٨١٠ -٢٥٨-)، أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال لأُبَيِّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**وَاللهِ، لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**».

فأعظم آية في القرآن هي آية الكرسي، وقد تضمنت هذه الآية أكثر من عشرين صفة من صفات الله.

وأعظم سورة في القرآن هي سورة الفاتحة، وتأمَّل فيها كم تضمنت من أسماء الله وصفاته، تجدها كلها في أسماء الله وصفاته، وقد جاء في صحيح البخاري (٤٤٧٤)، عن أبي رافع سعيد بن المعلَّى، أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال له: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ**». جاء في رواية خارج الصحيح(٢)، قال: «**مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلُهَا**». فعلَّمه سورة الفاتحة.

---

(١) انظر كتاب "درء تعارض العقل والنقل" (٥/ ١١٠-١١٢).

(٢) عند أحمد (٨٦٨٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وهكذا سورة الإخلاص، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص:١]، تعدل ثلث القرآن، كما جاء في صحيح البخاري (٥٠١٣)، أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص:١]: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**». وذلك لأنها خالصة في صفات الله، ولذا سميت بسورة الإخلاص لأنها أُخلِصت للكلام في أسماء الله وصفاته فلم يُذكر فيها سوى أسماء الله وصفاته.

ولذا جاء في حديث الرجل الذي بعثه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سرية فكان يقرأ لأصحابه ويختم كل ركعة بسورة الإخلاص، فذُكر ذلك للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فسأله -لِمَ تختم بها في كل ركعة؟- قال: أَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»[(١)].

فهي صفة الرحمن فلذا كانت تعدل ثلث القرآن، فمن قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص:١]، ثلاث مرات كأنما قرأ القرآن كله، أي في الأجر والثواب.

وجاء في صحيح مسلم (٨١٢ -٦١-) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**احْشُدُوا؛ فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**». فخرج فقرأ عليهم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص:١]، فسألوا عن ذلك قال: «**إِنَّهَا ثُلُثُ الْقُرْآنِ**».

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣ -٢٦٣-)، عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وجاء في صحيح مسلم (٨١١ -٢٦٠-)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ**». لأنها صفة الرحمن وتضمنت أسماء الله وصفاته، فكانت بهذه المثابة العظيمة.

فبهذا نعلم أن سور القرآن وآياته عُظِّمت وفُضِّلت على غيرها لما تضمنته من أسماء الله وصفاته، وبهذا نعلم أهمية العلم بأسماء الله وصفاته.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، مما يتعلق بهذا الأصل العظيم، الذي هو الإيمان بأسماء الله وصفاته:

أن نعلم أن كل أسماء الله سبحانه وتعالى حسنى، أي أنها بلغت كمالَ الحسن فلا نَقْصَ فيها بوجه من الوجوه، وكل ما يكون من الحُسْن في الأسماء فهو في أسماء الله جل وعلا، وقد وصف الله تعالى أسماءه بأنها حسنى في أربعة مواضع من القرآن:

١- في سورة الأعراف، في قوله جل وعلا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [سورة الأعراف:١٨٠].

٢- وفي سورة الإسراء، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [سورة الإسراء:١١٠].

٣- وفي سورة طه، في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [سورة طه:٨].

٤- وفي آخر سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [سورة الحشر:٢٤].

فأسماء الله جل وعلا كلها حسنى لا يعتريها نقص بوجه من الوجوه، وذلك لأنها أسماء الرب جل وعلا، الذي هو كامل في كل الوجوه، في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، فكذلك أسماؤه، فليست كأسماء المخلوقين بل هي أسماءُ كمال.

ومع إيماننا أن أسماء الله جل وعلا كلها حسنى، كذلك نؤمن أن بعضها أحسن من بعض، فقد ورد في الأدلة أن من أسماء الله جل وعلا ما هو أعظم مما سواه، ففي سنن الترمذي (١٤٩٥) والنسائي (١٣٠٠) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سمع رجلاً يصلي ويقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**».

وبنحو ما جاء عند أحمد (٢٣٠٤١)، عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سمع رجلاً يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**».

وجاء في حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ فِي سُوَرٍ ثَلَاثٍ: الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطه**».

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٥٦).

قال أهل العلم: والاسم الذي تكرر في كل هذه الأحاديث هو اسم الجلالة (الله)، ولذا فقد ذهب أكثر العلماء أن الاسم الأعظم هو اسم الجلالة (الله)، فهو الذي تتبعه الأسماء الحسنى وترد الأسماء الحسنى كالصفات له في القرآن والسنة، فهذا الاسم أعظم أسماء الله، وهناك من أسماء الله ما هو أعظم من بعض؟ مع إيماننا أن كل أسماء الله حسنى وعظيمة بلغت أعظم الحسن وأكمله.

ومما يتعلق بأسماء الله وصفاته:

أن نؤمن أن أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين، وإنما حصرها بعدد معين من خالف طريق أهل السنة والجماعة، وأما طريق أهل السنة والجماعة والذي دلت عليه الأدلة الصريحة فهو أن أسماء الله غير محصورة، وكيف للعباد أن يحصروا أسماء الملك العظيم المجيد ذي الجلال سبحانه وتعالى؟ وإنما أعلمهم الله بما أعلمهم من أسمائه سبحانه، وأخفى عنهم كثيراً.

جاء في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الإمام أحمد (٣٧١٢)، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ، وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ؛ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا**».

والشاهد من الحديث أن الله تعالى ذكر أن أسماءه مراتب وأقسام: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ**» ثم قال مبيِّنا أقسامها: «**أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ**» هذا القسم الأول ما أنزله الله في كتابه، فتعرَّف به إلى خلقه، «**أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ**» أي: خصصت به بعض خلقك بالتعليم ولم تعلمهم جميعًا ذلك الاسم، وهذا هو القسم الثاني، «**أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**»، وهذا القسم الثالث في أسماء الله، وهو ما استأثر الله به فأخفاه عن الخلق ولم يعلمهم به، وهذا يدل أن لله جل وعلا أسماء لا نعلمها.

ويدل على ذلك أيضًا ما جاء في الصحيحين[1] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في حديث الشفاعة الطويل أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي**». وإنما يكون الثناء على الله وحمده سبحانه بأسمائه وصفاته، فمعنى الحديث: أن الله يُعلِّم نبيه في ذلك اليوم في أرض المحشر من الأسماء والصفات ما لم يعلِّمه أحدًا قبل ذلك.

ويدل على ذلك أيضًا ما أخرجه مسلم في صحيحه (٤٨٦ -٢٢٢-)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان ساجداً ليلةً فسمعَتْهُ يقول: «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**».

---

(١) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤ -٣٢٧-).

فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو أعلم الناس بالله، أخبر أنه لا يحصي الثناء على الله، والثناء على الله يكون بأسماء وصفاته، وهذا يدل أننا لا نستطيع إحصاء أسماء الله وصفاته أي حصرها، فأسماء الله وصفاته ليست محصورة بعدد معين.

وما يظنه بعض الناس أن أسماء الله محصورة بتسعة وتسعين، فهذا ظنٌّ خاطئ مبني على فهمٍ غير صحيح لقول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١).

فليس في هذا الحديث أن أسماء الله تسعة وتسعون فقط، بل هذه التسعة والتسعون من أسماء الله ولها خصوصية أن من أحصاها دخل الجنة، فلا يمنع أن لله جل وعلا أسماء أخرى ليست لها هذه الخصوصية، وهذا كما يقول الرجل: عندي قميصان ليوم الجمعة، وعندي مائة دينار للصدقة، فلا ينفي أن عنده غير ذلك من القمصان ليس ليوم الجمعة، ومن الدنانير ليس للصدقة.

ومما يتعلق بأسماء الله وصفاته:

أن أسماء الله جل وعلا نوعان:

١- منها أسماءٌ خاصةٌ بالله لا تُطلق إلا عليه ولا يجوز إطلاقها على سواه، كاسمه جل وعلا (الله)، واسم (الرحمن)، و(الصمد)، و(الأحد)، ونحوها من الأسماء التي لا يجوز أن تطلق إلا على الله.

---

(١) رواه البخاري(٢٧٣٦)، ومسلم(٢٦٧٧ -٦-)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٢- ومنها أسماء تطلق على الله سبحانه، وتطلق على المخلوق، ولكنها إذا أطلقت على الله جل وعلا كانت تليق بكماله وجلاله، وإذا أطلقت في حق المخلوق كانت مناسبة لضعفه وعجزه وقصوره، فقد سمى الله تعالى نفسه بالسميع البصير في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١]، وسمى بعض خلقه بالسميع البصير، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [سورة الإنسان:٢].

سمى الله تعالى نفسه بالملك، في قوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [سورة الحشر:٢٣]، وسمى بعض خلقه بالملك، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ [سورة يوسف:٤٣].

سمى الله تعالى نفسه بالرؤوف الرحيم، في قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة النور:٢٠].

وسمى بعض خلقه بالرؤوف الرحيم، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة:١٢٨].

سمى الله نفسه بالعزيز، في آيات كثيرة، وسمى بعض خلقه بالعزيز، ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [سورة يوسف:٥١]، إلى غير ذلك من الآيات في كتاب الله جل وعلا، التي تدل على أن من الأسماء ما يطلق على الله جل وعلا، وعلى المخلوق،

لكنه إذا أطلق على المخلوق، فليس هو الاسم الذي أطلق على الله، لأن الذي يطلق على الله هو من الأسماء الحسنى التي ليس فيها نقص بوجه من الوجوه، بخلاف المخلوق، إذا أطلق عليه فهو يناسب عجزه وتقصيره وضعفه، ولذا ترى من يُسمى بالعزيز وهو ليس بعزيز، ومن يسمى بالملك ومُلكه محصور على موضع معين ويعتريه النقص في ملكه، أما مُلك الله جل وعلا، فهو الملك المطلق، الذي ليس له فيه منازع سبحانه وتعالى.

عباد الله، إن هذا الباب من أعظم أبواب الدين، وأعظم ما جاءت به المرسلون عليهم الصلاة والسلام، فعلى المسلم أن يتعلم ذلك، أن يتعلم أسماء الله وصفاته، وأن يتعلم أحكام ذلك، والعلم بحمد الله متاح، ودروس أهل العلم قائمة في هذا الباب العظيم وفي غيره من أبواب الدين، فعلى المسلم أن يتعلم ذلك فيحصل له الخير الكثير في الدنيا والآخرة.

نسأل الله جل وعلا أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما ينفعنا.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أذل الكفر والكافرين.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان، اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في بلاد غزة يا رب العالمين.

اللهم آمِنَّا في أوطاننا.

اللهم أصلِح أئمَّتنا وولاة أمورنا، اللهم يسر لهم البطانة الصالحة التي تدلُّهم على الخير وتحثُّهم عليه.

اللهم ربنا آتِنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والحمد لله رب العالمين.



(٤) الإيمان بالملائكة

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما قد تقدم ذكره الأصلُ الأول من أصول الإيمان، وهو الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

والأصل الثاني من أصول الإيمان التي دل عليها كتاب الله وسنة نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: الإيمان بملائكة الله.

والإيمان بالملائكة من الإيمان بالغيب، فهم عالمٌ غيبي، والإيمان الذي هو عقيدة المؤمن يكون في الأمور الغيبية التي لا يشاهدها الناس.

فالإيمان بالملائكة هو الأصل الثاني من أصول الإيمان.

والإيمان بهم على درجتين:

- إيمان مُجمَل وهو واجب على كل مسلم لا يصح إيمانه إلا به.
- وإيمانٌ مُفصَّل وهو ما وراء ذلك.

فالإيمان المُجمل بملائكة الله: أن يؤمن العبد **أن** مِن خَلْقِ الله سبحانه وتعالى من يسمى بالملائكة، **وأنهم** مخلوقون موجودون، **وأنهم** عالم غيبي، **وأن** الله سبحانه وتعالى خلقهم من نور، فهذا إيمان مجمل واجب على كل أحد لا يتم إيمانه إلا بذلك.

والإيمان المفصل: الإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة من صفاتهم وأعمالهم وسائر شؤونهم، فمن الإيمان المفصل بالملائكة:

١- أن نؤمن أن الله سبحانه وتعالى خلقهم من النور، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في صحيح مسلم (٢٩٩٦ -٦٠-) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»، أي: من الطين.

فهذا الحديث يبين أن الملائكة خلقهم الله تعالى من نور.

٢- ونؤمن أنهم أجسام، فلا يُفهم من كونهم مخلوقين من النور أنهم ليسوا أجساماً، بل قد ورد في الكتاب والسنة وصفُهم بما يدل على أن لهم أجساما، لكنها ليست كأجسام البشر، فقد وصفهم الله تعالى بأن لهم أجنحة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [سورة فاطر:١]، ورأى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ منهم جبريل في خِلْقَته التي خلقه الله عليها وله جسد سَدَّ ما بين السماء والأرض(١).

ومما يدل على ذلك أنهم يتمثَّلون في صور البشر، يتمثلون في صور مُكْرَمَة، فقد أتى مريمَ رسولٌ من الملائكة ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [سورة مريم:١٧]، وكان جبريل يتمثل للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في صورة البشر، وأكثر ما كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة الكلبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأتاه يوماً وهو في مجلس مع أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ

(١) رواه البخاري (٣٢٣٤) ومسلم (١٧٧) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ)[١]، فتمثل في صورة رجل، وهكذا في قصة ذلك الرجل الذي سافر إلى أرض يطيع الله فيها هروبًا من أرض المعصية حضره الموت فاختصمت فيه الملائكة عند قبض روحه، فأتاهم مَلَكٌ في صورة آدمي فحكم بينهم.

وهذا في الأدلة كثير، مما يدلُّ على أن الله سبحانه وتعالى خلقهم على أجسامٍ من الشيء الذي خلقهم منه وهو النور.

٣- من الإيمان المفصل بالملائكة: أن نؤمن بأنهم خلقٌ عظيم، فقد وصف لنا ربنا عز وجل، ونبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من عظيم خلقهم ما يُستَدَل به على عظمة خالقهم سبحانه، فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ [سورة التحريم:٦]، فوصفهم الله تعالى بهذه الصفات التي تدل على عظيم خلقهم.

وقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥﴾ [سورة النجم:٥] وهو جبريل عليه السلام، وصَفَه الله تعالى بأنه شديد القوى، ووصفه الله بقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠﴾ [سورة التكوير:٢٠]، فالله خلقهم على خلق عظيم، لا يعلم عظمة خلقهم إلا خالقهم سبحانه.

وجاء في الصحيحين[١] أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رأى جبريل جالسًا على كرسي بين السماء والأرض، ورآه ولَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ، قد سَدَّ الأفق، وهذا يدل على خلق

(١) رواه مسلم (٨ -١-).

عظيم خلق الله تعالى عليه جبريل، قد سَدَّ ما بين السماء والأرض، وفي الرواية الأخرى: «**قد سد الأفق**». يعني أُفُقَ السماء حيث لا يرى منها شيئًا، لعظمة خلقه.

وهكذا جاء في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٤٧٢٧)، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ**».

العاتق هو مفرد العاتقين، وكلُّ إنسان له عاتقان، وهما العظمان المحيطان بالعنق عن يمينه وشماله، ومقدار ما بين شحمة الأذن والعاتق من بني آدم أقلُّ من شِبْر، فوصف النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ملَكًا من حملة العرش، ومن صفته: أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة.

وجاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الحاكم (٧٨١٣) وأبي يعلى (٦٦١٩) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «**إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ السَّابِعَةَ، وَالْعَرْشُ عَلَى مَنْكِبِهِ، وَعُنُقُهُ مَثْنِيَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ رَبَّنَا**»، -وفي رواية أبي يعلى: وَهُوَ يَقُولُ: **سُبْحَانَكَ أَيْنَ كُنْتَ، وَأَيْنَ تَكُونُ**-، قَالَ: «**فَيُرَدُّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا**».

=

(١) البخاري (٣٢٣٨) ومسلم (١٦١) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والبخاري (٣٢٣٤)، ومسلم(١٧٧ - ٢٨٧-)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والبخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤ -٢٨٠-) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يقول الله له: ما علم ذلك أي هذا التعظيم الذي يُعظِّمه هذا الملَك ويقول: سبحانك ما أعظمك، قال: «**ما علم ذلك من حلف بي كاذبا**»، فالحالف بالله كاذبا لو عظم الله حق تعظيمه ما حلف به كاذبا.

وهكذا لمَّا رُجم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الطائف، أتاه جبريل، فقال له: «**إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَاهُ مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ**»[1] والأخشبان جبلان عظيمان بمكة إن شئت أن أطبق عليهم هذين الجبلين فعلتُ، وهذا الملَك يحرِّكها بجناحيه، فيُطبق جبلاً إلى جبل لعظيم قوته وشدَّة خلقه، فهذا يبيِّن أنهم على خلق عظيم جعلهم الله سبحانه وتعالى عليه.

٤- ومع هذا الخلق العظيم هم عدد كثير لا يحصيه إلا الله، فلا يحصي عدد الملائكة إلا الله جل وعلا الذي خلقهم، جاء في حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٢١٥١٦)، والترمذي (٢٣١٢)، وبنحوه حديث حكيم بن حزام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الطبراني (٣١٢٢)، أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ**» والأطيط هو صوتُ الرَّحْل المُحَمَّل، فإذا ثقلت عليه الحمولة يكون له أطيط من ثِقَلِ الحُمُولة، فقال: «**أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ شبر**»، كذا في حديث

---

(١) البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥ -١١١-)، عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

حكيم بن حزام، وفي حديث أبي ذر: «**مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ**».

فالسماوات بخلقها العظيم، التي هي أعظم من خلق الأرض بكثير، ليس فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك واضع جبهته ساجدا لله سبحانه، وهذا يدلُّ على أنهم خَلْقٌ كثير.

وجاء في حديث أبي ذر في الصحيحين[1]، حين أسري بالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**فَرُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ**» والبيت المعمور في السماء السابعة، قال: «**فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ**». أي: يدخلونه في الحياة كلها مرةً واحدة، كل يوم يدخله سبعون ألف ملك، وهؤلاء السبعون الألف الملك لا يعودون مرة أخرى إلى البيت المعمور، فلك أن تتخيل هذا العدد العظيم الكثير، في كل يوم يدخل البيت المعمور سبعون ألف ملك هم غير السبعين الألف الذين دخلوه في الأيام التي قبلهم، فهذا يدل على كثرة عظيمة خلقهم الله تعالى عليها، لا يعلم عددهم ولا يحصيه إلا الله سبحانه وتعالى.

٥- من الإيمان المُفَصَّل بالملائكة أن نؤمن أنهم عباد خُلقوا لطاعة الله لا يعرفون المعصية، خلقهم الله وجعل لهم عقولاً ولم يجعل لهم شهوات، لأن الواحد من بني

---

(١) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤ -٢٦٤-).

آدم إنما يدعوه إلى المعصية شهواته التي رُكِّبَت فيه، وأما الملائكة فلم يجعل الله تعالى لهم شهوة لا في نكاح ولا في طعام ولا في شراب، فلا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يكون منهم شيء من شهوات بني آدم، وإنما خُلقوا لطاعة الله، قال الله تعالى في صفتهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [سورة التحريم:٦].

وقال الله سبحانه: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾ [سورة الأنبياء:٢٧].

وقال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [سورة الأنبياء:٢٠].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [سورة فصلت:٣٨]، فلا يسأمون طاعة الله ولا يفترون عنها طرفة عين، بل هم دائمًا في عبادة الله وطاعته، وفي ذكره وتسبيحه، وامتثال أوامره، مع عظيم خلقهم.

كذلك خوفهم من الله خوف عظيم، وخشيتهم لله عظيمة، فمع أنهم يديمون طاعة الله إذا تكلم الله بالوحي يُغشَى عليهم من شدة تعظيمهم لله، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة سبأ:٢٣]، أي: زال عنهم الفزع الذي كان بسبب كلام الله تعالى بالوحي من شدة تعظيمهم لله، ﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٣﴾ [سورة سبأ:٢٣].

جاء عند ابن أبي عاصم في "السنة" (٦٢١) والطبراني في المعجم الأوسط (٤٦٧٩) عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مَرَرْتُ عَلَى جِبْرِيلَ فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**». **والحلس البالي** هو الفِراش والبِساط البالي، والحلس هو الكساء الذي يلي ظَهْرَ الْبَعِيرِ تَحْتَ الْقَتَبِ.

فهذا جبريل الذي خلق الله له ستمائة جناح، الذي سد ما بين المشرق والمغرب حين رآه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على خلقه الذي خلقه الله عليه، ومع ذلك هو شديد الخشية لله، شديد الخوف منه، رغم مكانته عند الله وقربه منه سبحانه، قال الله في صفته: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة التكوير:٢٠]، أي: له مكانة عظيمة عند ذي العرش، له المنزلة الرفيعة عند الله سبحانه، ومع ذلك هو كثير الخشية لله، كثير الخوف منه، فهؤلاء ملائكة الله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

٦- من الإيمان بالملائكة أن نؤمن أن مساكنهم في السماء، فهم ساكنو السماء وهم أهلها، ومع ذلك ينزلون إلى الأرض بأمر الله، ينزلون إلى الأرض لتدبير ما أمرهم الله بتدبيره، فقد سأل النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جبريلَ قال: «**مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟**» فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة مريم:٦٤][(١)].

(١) رواه البخاري (٤٧٣١)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وهكذا ينزلون يشهدون الصلوات مع المسلمين ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر(١).

ويحضرون معهم مجالس الذكر فقد جاء في الحديث: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ**».(٢)

فينزلون إلى الأرض، ويدخلون بيوت أهل الإيمان، وقد يفعل المؤمن أمراً يُنَفِّر الملائكة من بيته فقد جاء في الحديث «**لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ، وَلَا صُورَةٌ**»(٣) ومفهوم هذا الحديث أن البيت الذي ليس فيه كلب ولا صورة تدخله الملائكة وتكون فيه مع أهله، فهم يكونون في مساجد المسلمين وفي بيوتهم، وفي مجالس ذكرهم ما دامت فيها طاعة الله سبحانه وليس فيها المخالفات، ولكن مساكنهم في الأصل في السماء، فقد جعلهم الله سبحانه وتعالى أهل سماواته، جعلهم الله تعالى ساكني سمائه.

٧- ومن الإيمان بهم أن نؤمن أنهم عالم غيبي لا يُشاهَدون، وهذا هو الأصل فيهم أنه لا يُشاهِدهم البشر، ولكن قد يُشاهَدون، قد يجعل الله تعالى لبعض خلقه أنه يشاهد

---

(١) كما جاء عند البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٥ -٢١٠-)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩ -٣٨-)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري (٣٣٢٢)، ومسلم (٢١٠٦ -٨٣-)، عن أبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الملائكة، إما يشاهدهم في صورهم الحقيقية التي خلقهم الله عليها، أو يشاهدهم في صور أخرى.

كما شاهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جبريل حين أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، قال في آخر الحديث: ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

وكذلك المشركون شاهدوا الملائكة يوم بدر، قال ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ**».

والعباس بن عبد المطلب عمُّ الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما جيء به أسيرا إلى الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وبعضُ الصحابة من الأنصار يقول: أنا أسرتُه يا رسول الله، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا وَاللهِ مَا أَسَرَنِي، لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ، مِنْ أَحْسَنِ

النَّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ، مَا أُرَاهُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**اسْكُتْ، فَقَدْ أَيَّدَكَ اللهُ تَعَالَى بِمَلَكٍ كَرِيمٍ**». (١)

فقد يُشاهَدون كما شاهدهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشاهدهم المسلمون وشاهدهم غير المسلمين في غزوة بدر، والأصل أنهم عالم غيبي لا يراهم الخلق ولا يشاهدونهم.

أقول ما سمعتم.

والحمد لله رب العالمين.

(١) رواه أحمد (٩٤٨) بإسناد صحيح عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمـًا كثيراً.

أيها الناس.

٨- من الإيمان بالملائكة أيضـًا أن نؤمن بأعمالهم التي وكَّلهم الله تعالى بها، وهي كثيرة لا نستطيع لها حصراً، وإنما نُمثِّل لها تمثيلاً، فإن الله تعالى إنما خلقهم لطاعته والقيام بأمره وتدبير ما أراد منهم تدبيره وكلَّفهم به، فمن أعمالهم:

(١)- منهم من وكَّله الله بالوحي، وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلامُ، وهو الذي كان يأتي جميع الأنبياء بالوحي، وهو أيضا يأتي بالعذاب كما جاء في الحديث أن اليهود حين سألوا النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عمَّن يأتيه بالوحي من الملائكة؟ وقالوا: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلا لَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ بِالْخَبَرِ، فَأَخْبِرْنَا مَنْ صَاحِبكَ؟ قَالَ: «**جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ**»، قَالُوا: جِبْرِيلُ؟! ذَاكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْعَذَابِ عَدُوُّنَا، لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْقَطْرِ، لَكَانَ، وفي رواية: لَوْ كَانَ وَلِيُّكَ سِوَاهُ مِنَ المَلائِكَةِ لَتَابَعْنَاكَ وَصَدَّقْنَاكَ، قَالَ: «**فَمَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تُصَدِّقُوهُ؟**» قَالُوا: إِنَّهُ عَدُوُّنَا، قَالَ: فَأَنْزَلَ

اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:٩٧](١).

(٢)- هكذا ميكائيل وكَّله الله بالقَطْر والمطر.

(٣)- هكذا إسرافيل وكَّله الله تعالى بالنفخ في الصور، وهو أيضًا من حَمَلَةِ العرش، كما جاء في أحاديث، وقال به بعض السلف(٢).

(٤)- وهكذا أيضًا ملك الموت وكله الله تعالى بقبض الأرواح، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [سورة السجدة:١١]، وله أعوان من الملائكة يقبضون الأرواح معه، كما قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الأنعام:٦١].

(٥) ومنهم من وكلهم الله ببني آدم، وقد وكَّل الله ملائكة بابن آدم في كل أطواره: وكَّل به ملَكًا ينفخ فيه الروح وهو في بطن أمه، ويؤمر بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

وإذا وُلِد وُكِّلت به ملائكة يحفظونه ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الرعد:١١]، أي: بأمر الله.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٨٣) و (٢٥١٤) من طريقين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو حسن من الطريقين.

(٢) وردت أحاديث تفيد أن إسرافيل من حملة العرش، وكلها أحاديث ضعيفة فيما رأيت، وورد في ذلك مراسيل، وآثار عن بعض السلف، وذكر ذلك جماعة من العلماء، وأنا في صدد كتابة رسالة في هذا الشأن تجمع كل ما ورد في ذلك مما وقفتُ عليه، يسَّر الله إتمامها والنفع بها.

هكذا له ملائكة يحفظون أعماله، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة ق:١٨] رقيب أي: مراقب من الملائكة يراقب أعماله، وعتيد أي: حاضر معه أينما كان، مُحْصٍ لأعماله، يحصيها عليه فلا يترك منها شيئا.

وهكذا وكِّلت به ملائكة عند موته يأتون لقبض روحه ويجلسون منه مد البصر.

فوُكِّلت ملائكة بالإنسان في سائر أطوار حياته.

(٦)- هكذا وكِّلت ملائكة بحفظ السماوات والأرض، ملائكةٌ يكونون خَزَنَةً للسماء، كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليلة الإسراء يستأذن هو وجبريل كلما أتى سماء استأذن فتفتح له الملائكة.

(٧)- وهكذا وكَّل الله تعالى ملائكة بالجنة وهم خزنة الجنة كما قال الله: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الزمر:٧٣].

(٨)- ووكَّل الله تعالى ملائكة خزنةً للنار، ذكرهم الله تعالى في هذه الآيات: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [سورة الزمر:٧١] الآيات.

وخزنة الجنة لا ندري عددهم لأنه لم يأتِ في الأدلة، وخزنة النار أخبرَنا الله تعالى أنهم تسعة عشر، كما قال سبحانه: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة المدثر:٣٠]، أي: على النار، وكان هذا العدد فتنة للكفار، كما قال الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا

جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة المدثر:٣١]، فكان المشركون يقولون: إن محمد يخبرنا أننا ندخل النار، وأن خزنتها تسعةَ عشر، إذن سنغلبهم ونخرج من النار، فأخبر الله تعالى أن هذا العدد كان اختبارا وابتلاءً وفتنة للكفار.

(٩)- هكذا منهم ملائكة موكلون بغير ذلك مما وكلهم الله به، ملائكة موكلون بتبليغ الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من أمته السلام، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِيَ السَّلَامَ**»(١).

(١٠)- وكَّل الله ملائكة تطوف في الأرض تتتبع حِلَق الذكر وتحضر مع أهلها.

(١١)- وكَّل الله ملائكة يجاهدون مع المؤمنين، أَمَدَّ الله المؤمنين في بعض الغزوات ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ﴾ [سورة آل عمران:١٢٤]، وفي بعضها ﴿بِأَلْفٍ﴾ [سورة الأنفال:٩] وفي بعضها وعدهم ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [سورة آل عمران:١٢٥].

وكَّل الله تعالى الملائكة بكثير من الأعمال التي يأمرهم بها سبحانه وتعالى، وحالهم كما قال الله: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الأنبياء:٢٧].

٩- من الإيمان بالملائكة أن نؤمن أنهم يتفاضلون وليسوا في درجة واحدة، نعم هم من أعظم الخلق وأفضلهم في هذه الحياة الدنيا، ولكنهم أيضًا يتفاضلون، فمن أفضلهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل، وهؤلاء من أقرب الملائكة إلى الله.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦٦٦)، والنسائي (١٢٨٢) بإسناد صحيح عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن أفضل الملائكة أيضًا؛ الملائكة الذين شهدوا بدراً، ففي صحيح البخاري (٣٩٩٢) عن رفاعة بن رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن جبريل أتى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال له: «**مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟**» قال: «**مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ**»، قال جبريل: «**وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ**»، فجعل الله تعالى بعضهم أفضل من بعض.

١٠- من الإيمان بالملائكة أن نؤمن أن الموت جائز عليهم، وأنهم يموتون كما يموت بنو آدم، وكما يموت الجن، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [سورة الرحمن:٢٦-٢٧]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص:٨٨]، واستدل أهل العلم لذلك بقول الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة سبأ:٢٣] وأنهم إذا سمعوا كلام الله يصعقون من خشيته وتعظيمه، فإذا جاز غَشْيَةُ الصعق عليهم؛ جاز عليهم غشية الموت، لأنهم من خلق الله سبحانه وتعالى.

فهذه نبذة عن الإيمان بملائكة الله، والذي هو الأصل الثاني من أصول الإيمان، ولا يتم إيمان المؤمن حتى يحقق الإيمان بهذه الأصول العظيمة.

عباد الله نستفيد من معرفة هذه الأوصاف وهذه الأحوال من أحوال الملائكة، فوائد عظيمة، من هذه الفوائد:

- نستفيد معرفة عظمة الله، فإذا كانت الملائكة بهذه العظمة، وبهذا الخلق الكبير، وبهذا العدد الكثير، فإن هذا يدل على عظمة خالقهم سبحانه، لأن عظمة المخلوق تدل على عظمة خالقه، إذا كان ملك من ملائكة الله يستطيع إطباق جبلين بجناحه،

وملك من ملائكة الله يحمل جزءًا من الأرض بما فيها من جبالها وقراها بجناحه، كما جاء في إهلاك قوم لوط أن جبريل حملهم بجناحه ورفعهم إلى السماء ثم قلب عالِيَها سَافِلَها، وقد جاء في كتب التفسير أن قرى قوم لوط التي تسمى بالمؤتفكات كانوا أربعة آلاف ألف، أي: أربعة ملايين، فحملهم جبريل بجناحه، فهذا يدل على أن الملائكة على خلق عظيم، وعظَمة خلقهم تدل على عظمة خالقهم جل وعلا، فما أجهل البشر بالله وبعظمته، إذا كان ملكٌ قد مرقت رجله في الأرض السفلى وعنقه فوق السماء السابعة تحت العرش، وهو يسبح الله ويعرف عظمته ويقول: «**سبحانك ما أعظمك، سبحانك أينما كنت وأين تكون، فيرد الله عليه: ما عرف ذلك من حلف بي كاذبا**»، فلِجهْلنا بالله وبعظمته لم نقدِّره حق تقديره.

فمعرفة الملائكة وقدرهم العظيم وخلقهم الكبير وعددهم الكثير يجعلنا نعظم الله تعالى حق تعظيمه.

- مما نستفيد من الإيمان بالملائكة أننا نزداد خوفًا من الله وخشية وطاعة، إذا كان الملائكة بهذا الخلق العظيم وهم في غاية الخوف من الله، وفي غاية الخشية منه، وهم مديمون للطاعة لا يفترون عنها ولا ينقطعون ولا يسأمون، فكيف بنا معشر بني آدم، نحن الضعفاء نحن العاجزون الذين لا نقدر على شيء، كيف بنا لا نخاف الله ولا نخشاه ولا نديم طاعته.

- نستفيد من الإيمان بالملائكة أننا نزداد شكراً لله، إذا عَلِمْنَا أن الله تعالى خلق الملائكة لتدبير أمورنا، منذ أن نكون في بطون أمهاتنا، فالملائكة تُدبِّر أمرك -بإذن

الله- منذ أن تكون في بطن أمك، ثم تخرج وأنت في حفظٍ من الله تعالى بما جعل لك من الملائكة يحفظونك من بين يديك ومن خلفك، يحفظون أعمالك فلا يضيع منها شيء، كلُّ عملٍ تعمله من طاعة الله لا يذهب ولا يضيع، بل تراه يوم القيامة محفوظًا، تنساه أنت وهو لا يُنسى قد حفظَتْهُ الملائكة، فبمعرفة ذلك يزداد الإنسان شكراً لله، حين يعلم أن الله تعالى قد وكَّل به ملائكة يدبرون أمره ويحفظونه، وهم ساعون فيما ينفعه في سائر أوقاته.

فهذا مما نستفيده من الإيمان بملائكة الله سبحانه وتعالى، وهذا باب واسع عظيم، وإنما هذه إشارة إلى هذا الأمر العظيم الذي هو من أصول الإيمان.

فنسأل الله جل وعلا بأسمائه وصفاته أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين.

(٥) الإيمان بالكتب

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كنا قد تكلمنا فيما سبق عن الأصل الأول والأصل الثاني من أصول الإيمان وهي الإيمان بالله والإيمان بالملائكة، والأصل الثالث من أصول الإيمان هو: الإيمان بالكتب، فقد جاء في الحديث: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه**».

والإيمان بالكتب على درجتين:

إيمان مجمل: وهو واجب على كل مسلم، ولا يصح إيمانه إلا بذلك، وهو: أن يؤمن أن الله سبحانه وتعالى أنزل على أنبيائه ورسله كتبًا يهدون بها الناس ويدعونهم إليها ويحكمون بينهم بما شرع الله سبحانه وتعالى فيها، فالله عَزَّوَجَلَّ أنزل على الأنبياء كتبًا لبيان طريق الجنة وطريق النار، كتبًا تهديهم إلى ما ينفعهم وتحذرهم مما يضرهم، قال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد:٢٥]، فأنزل الله مع أنبيائه ورسله الكتاب.

وقال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾، والكتاب الذي نزل على رسوله هو القرآن، ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة النساء:١٣٦]، يشمل كلَّ الكتب التي أنزلت على أنبياء الله قبل القرآن، وقال الله سبحانه: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة البقرة:١٣٦]، فالله عَزَّوَجَلَّ أنزل

على أنبياء كتبًا وأمر بالإيمان بها، ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٣٦]، ثم ذكر الكتب التي أنزلت على الأنبياء، فهذا إيمان بالكتب مجمل، لا يصح إيمان أحد حتى يؤمن بذلك، فلا بد أن تؤمن إيمانًا يقينيًا أن الله عَزَّوَجَلَّ أنزل على أنبيائه ورسله كتبًا يهدون بها الناس إلى ما ينفعهم ويحذرونهم مما يضرهم.

والدرجة الثانية من درجات الإيمان بالكتب: الإيمان المفصل، وهو أن يؤمن بكل ما ورد في الكتاب والسنة من أسمائها وأوصافها وأحكامها وما يتعلق بها، فمما يدخل في هذا الإيمان المفصل بالكتب:

أن نؤمن بما ورد تسميته في القرآن والسنة من هذه الكتب، وهي خمسة:

- أولها: صحف إبراهيم.
- وثانيها: التوراة.
- وثالثها: الزبور.
- ورابعها: الإنجيل.
- وخامسها: القرآن.

فهذه الخمسة الكتب هي التي وردت تسميتها والنص عليها في كلام الله سبحانه وتعالى.

أولها: صحف إبراهيم، وهو الكتابُ الذي أنزله الله تعالى على إبراهيم فيه ما يهدي به الناس، قال الله تعالى: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧﴾

[سورة النجم:٣٦-٣٧]، أي: وصحف إبراهيم الذي وفَّى، وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الأعلى:١٦-١٩].

ثانيًا: التوراة وهو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى بن عمران عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والتوراة: أعظمُ كتب بني إسرائيل وأكبرُها، ذكر الله تعالى أنه شامل للمواعظ والأحكام والحلال والحرام، قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [سورة الأعراف:١٤٥]، ﴿مَّوْعِظَةً﴾ أي: فيه المواعظ والرقائق والتذكير، ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ} أي: من الحلال والحرام والأحكام التي يحتاج إليها الناس.

ولذا كانت التوراةُ شريعةً لكل أنبياء بني إسرائيل من لدن موسى إلى آخر نبي من بني إسرائيل وهو عيسى، كلُّهم يحكمون بالتوراة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [سورة المائدة:٤٤]، فالتوراة هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى، وكان يحكم بها أنبياء بني إسرائيل من بعده.

ومن فضل التوراة ما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عند البخاري ومسلم أن الله عَزَّوَجَلَّ كتبها بيده [(١)].

---

(١) رواه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢ -١٣-).

فالتوراة أخذها موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مكتوبة في الألواح، وقال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف:١٥٤]، ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [سورة الأعراف:١٤٥].

وكما نؤمن أن الله تعالى كتبها في الألواح، أيضًا نؤمن أنه تكلم بها، فهي كلام الله ووحيه سبحانه وتعالى.

ثالث هذه الكتب الزبور: وهو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على داود، وكان بعد موسى، والزبور كما قال السلف: هو عبارة عن دعاء وتمجيد وتحميد لله تعالى، وليس فيه من الحلال والحرام، وإنما كان عمدتهم في الحلال والحرام على التوراة، والزبور هو كتاب دعاء وكتاب تحميد وتمجيد لله سبحانه وتعالى، قال الله سبحانه: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة النساء:١٦٣]، فأوتي داود الزبور.

وكان داود يتلوه وخُفِّفَ على لسانه، جاء في صحيح البخاري (٣٤١٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ «**خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ القُرْآنُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ القُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ**». والمراد بالقرآن الزبور الذي أُنزل عليه، فكان يقرأُه ويفرغ منه قبل أن تسرج دوابه، فخففه الله تعالى على لسانه.

وهكذا أعطاه الله صوتًا حسنًا فكان إذا قرأ تُرَجِّع الجبال قراءته وتردد الطير معه، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة سبأ:١٠]، وقال الله سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [سورة ص:١٧-١٩]، فكان إذا قرأ القرآن أي: كتابه الزبور تُحشر له الطير تستمع قراءته لما أعطاه الله تعالى من الصوت الحسن.

ولذا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما سمع ليلةً أبا موسى الأشعري يقرأ القرآن وكان صوته حسنًا قال: «**لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**»(١).

الكتاب الرابع مما وود تسميته: الإنجيل وهو الكتاب الذي أنزله الله على آخر أنبياء بني إسرائيل وهو نبي الله عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكان بينه وبين نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ستمائة عام، فأنزل الله عليه الإنجيل، وكان الإنجيل فيه شيء من الأحكام، ولكن عمدتهم في الأحكام هي التوراة، والإنجيل هو كتاب مواعظ ورقائق وزهديات، وفيه شيء من الأحكام، أُحِلَّ لبني إسرائيل في الإنجيل بعض ما حرم عليهم في التوراة كما قال الله تعالى عن نبي الله عيسى أنه قال لهم: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة آل عمران:٥٠]، وقال الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا

(١) رواه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣-٢٣٦).

بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة المائدة:٤٦-٤٧].

إذن، فالإنجيل هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وخامس هذه الكتب هو: القرآن وهو أعظمها وأوسعها وأشملها وأبقاها إلى يوم القيامة، هذا القرآن هو الكتاب الذي أنزله الله على نبيه محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فهذه هي الكتب التي ورد تسميتها في كلام الله سبحانه وتعالى والتي يكون الإيمان بها من الإيمان المفصل بالكتب.

ومما يدخل في الإيمان المفصل بالكتب أن نؤمن أنها كلَّها من عند الله، فكلُّها وحيُ الله وكلامُه أنزله على أنبيائه ورسله، فكلها وحي وكلها يُصدِّق بعضها بعضاً، وليس بينها اختلاف ولا تناقض، بل متَّفقة ملتئمة، والأصول التي دعا إليها القرآن هي الأصول التي دعت إليها كل الكتب وإن اختلفت الشرائع، لكن أصول الدين دعت إليها كل الكتب.

فهذه الكتب يصدق بعضها بعضاً، قال الله سبحانه عن نبيه عيسى أنه قال لقومه، قال الله: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [سورة المائدة:٤٦]، فهو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جاء بكتاب يصدق ما قبله، ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ

﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ [سورة الصف:٦]، أي لست مكذبا لها.

وهكذا قال الله تعالى في القرآن يخاطب نبيه: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [سورة المائدة:٤٨]، فهو مصدق لما بين يديه من الكتب ليس مكذبا له، بل شهد لها بأنها من عند الله وأنها وحيُ الله عَزَّوَجَلَّ وكلامُه.

هكذا من الإيمان المفصل بالكتب أن نؤمن أنها تتفاضل وأن بعضها أفضل من بعض، فأفضل كتب بني إسرائيل هو التوراة الذي كان شريعة لكل أنبيائهم، وأفضل من التوراة القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والقرآن نفسه بعضه أفضل من بعض، وليس معنى كونه يتفاضل أن بعضه مفضول، بل كله في أعلى درجات الفضل والكمال.

ولكن بعضه يكون أعظم من بعض وأكثر أجرا وأعظم فضيلة، ولذا جاء في صحيح البخاري (٤٤٧٤) عن أبي سعيد رافع بن المُعَلَّى أن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال له: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ»، قَالَ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [سورة الفاتحة:٢] «**هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**».

وفي مسند الإمام أحمد (٩٣٤٥) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَتُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟**». قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَيْ رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**مَا تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟**»، قَالَ: فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ أُمَّ الْقُرْآنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا، وَإِنَّهَا لَلسَّبْعُ مِنَ الْمَثَانِي**».

وجاء في صحيح مسلم (٨١٠ -٢٥٨-)، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال لأبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ**»، قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**». أي هنيئا لك العلم حين عرفت أن هذه الآية هي أعظم آية في كتاب الله.

ومن الإيمان المفصل بالكتب: أن نؤمن أن جميع الكتب التي كانت قبل القرآن منسوخةٌ بالقرآن، فكلُّ الكتب -التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم- كلها نسخها القرآن فلم يبقَ لها حكم بعد نزول القرآن، فلا يجوز التعبد لله بتلاوتها ولا العمل بأحكامها، ولا تُعتبَر دينًا مقبولاً بعد بعثة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبعد نزول القرآن، لأن القرآن قد نسخها جميعًا وهيمن عليه، قال الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة:٤٨]، فهذا القرآن مهيمن على كل الكتب السابقة، ناسخ لها.

جاء في صحيح مسلم (١٥٣ -٢٤٠-) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ -وهو هذا القرآن- إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**». فلو وُجِدَ إنسانٌ بعد بعثة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: إنه يهودي وعلى دين اليهودية، ومتمسك بالتوراة لا يقبل الله منه ذلك، وإن مات على ذلك فهو من أهل النار، ولو وجد نصراني يقول: إنه على ملة الإنجيل ويدين بالإنجيل والتوراة ولا يخرج عنهما بل يلتزم بما جاء فيهما، فلا يقبل ذلك منه وهو من أهل النار إن مات على هذا الحال.

فإذاً القرآن ناسخ لكل الكتب لا يقبل الله تعالى بعد نزول القرآن ديناً سواه؛ لأنه الشريعة الناسخة لما قبلها والباقية إلى يوم القيامة.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، من الإيمان المفصل بالكتب أيضاً: أن نؤمن أن الكتب السابقة دخلها التحريف والتغيير والتبديل، فنالتها الأيدي وغَيَّرت منها ما غَيَّرت، وكَتبَتْ فيها ما لم ينزل من عند الله وزعمَتْ أنه من عند الله، قال الله سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة البقرة:٧٩]، وقال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [سورة النساء:٤٦]، فحرَّفوا هذه الكتب وغيروا فيها وبدلوا.

وقال الله سبحانه: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة البقرة:٧٥]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة آل عمران:٧٨]، فالله تعالى قضى وقدر في سابق علمه

جل وعلا أن هذه الكتب يدخلها تحريف وتبديل وتنالها الأيدي، لما له سبحانه في ذلك من الحكمة البالغة.

وكان التحريف شاملا لألفاظها ومعانيها، فحرَّفوا معناها وفسروها بحسب أهوائهم، وحرَّفوا ألفاظها فكتبوا فيها ما ليس من كلام الله وادّعوا أنه من عند الله سبحانه، ولذا تجد النصارى اليوم بأيديهم عِدَّة أناجيل وليس إنجيلاً واحداً، كلُّ طائفة منهم تدَّعي أن هذا الإنجيل هو الذي نزل على عيسى.

وترى التوراة فيها اختلاف واضطراب لأنها قد نالتها الأيدي بالتحريف والتغيير.

أما القرآن فهو محفوظ أنزله الله وتكفَّل بحفظه، فلم يُرِدْ أحدٌ تغييرَه وتبديلَه إلا فضحه الله، فلا يمكن أن يُغيَّر فيه حرفٌ واحد، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ أي هذا القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩]، فالله تكفَّل بحفظه، وقال الله عن كتابه العظيم: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [سورة فصلت:٤٢]، فهذا القرآن لا يمكن أن يدخله الباطل، ولا يمكن أن يصل إليه التحريف والتبديل، لأن الله تعالى تكفَّل بحفظه وذلك لأنه هو الكتاب الباقي إلى يوم القيامة، وهذا من الحكمة العظيمة أن الله تعالى حفظه لأنه علم أنه سيبقى دينا للناس إلى يوم القيامة.

قال أهل العلم: إن الكتب السابقة نالتها الأيدي بالتغيير والتحريف لأن الله علم أنه سيأتي كتاب بعدها ينسخها ويجعلها في حكم العدم، فلذا تسلَّطت عليها أيدي البشر،

بخلاف القرآن فإن الله علم أنه لا يأتي بعده كتاب إلى قيام الساعة، بل هو الكتاب الباقي وهو الدين الباقي إلى يوم القيامة، فلذا تكفل الله تعالى بحفظه، ليبقى دينا محفوظا يدين به الناس.

أيضـًا لو تأملت في آيات القرآن تجد أن الله تعالى أسند حفظ القرآن إلى نفسه، وأسند حفظ التوراة والإنجيل إلى علماء بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩]، فجعل الله حفظ القرآن إلى نفسه سبحانه، وقال الله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [سورة المائدة:٤٤]، فجعل الله حفظ التوراة إليهم، فلما كان حفظ التوراة إلى البشر لم يستطيعوا حفظها ودخلها ما دخلها من التغيير، ولما كان حفظ القرآن إلى الله سبحانه حفظه الله وأبقاه محفوظـًا وسيبقى محفوظـًا إلى يوم القيامة.

فنؤمن أن الكتب السابقة نالتها الأيدي كما في الآيات الكثيرة التي تقدمت، وأما هذا القرآن فهو محفوظ، أجمع العلماء رحمهم الله على أنَّ من أنكر حرفـًا واحداً من القرآن متفقـًا عليه أنه كافر خارج من الإسلام، فمن أنكر حرفـًا واحداً من كلام الله جل وعلا مما هو متفق عليه فهو كافر.

فكيف بمن يقول: إن القرآن حُرِّف وبُدِّل كما تعتقده الرافضة قبحهم الله، فإنهم يقولون: إن القرآن دخله التحريف والتبديل وزِيد فيه ونُقِص منه، فصاروا بعقيدتهم هذه مكذِّبين لكلام الله، ورادِّين له، ولم يؤمنوا به، فربنا يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩].

والرافضة يقولون: لا، ليس بمحفوظ بل دخله تغيير وتبديل، ونَقصتْ منه آيات وزِيدتْ فيه آيات، وربنا عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [سورة فصلت:٤٢]، والروافض يقولون: بل أتاه الباطل ودخل فيه ما ليس منه وحُذف منه ما هو منه، هل بعد هذا الكفر من كفر؟؟ لو لم يكن عند الرافضة إلا هذه لكَفَتْ في كفرهم وخروجهم من الإسلام، علما أن هذه العقيدة من ضروريات مذهب الرافضة الإمامية الاثني عشرية، وهم مجمعون على اعتقادها كما حكاه غير واحد من علمائهم.

فيجب الإيمان قطعًا وجزمًا لا شك فيه ولا تردُّد: أن هذا القرآن محفوظ، وأن هذا القرآن صانه الله وحفظه وأبقاه محفوظًا وسيبقى محفوظًا إلى أن تقوم الساعة، حتى يرفعه الله تعالى في آخر الزمان وهو محفوظ.

ومن الإيمان بالكتب: الإيمان بأن هذا القرآن مُعْجِزٌ لا يستطيع أحد أن يأتي بآية مثله، فقد تحدَّى الله المشركين في الزمن الأول الذين كانوا أهل الفصاحة والبلاغة والذين لم يأتِ بعدهم من يساويهم في فصاحتهم وبلاغتهم تحداهم الله أن يأتوا بمثل

هذا القرآن فعجزوا، وتحدَّاهم أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا، وتحدَّاهم أن يأتوا بسورة ولو بأقصر سورة من مثل القرآن فعجزوا، وهم العرب الفصحاء البلغاء الذين نزل القرآن بلغتهم.

وبعض كبارهم وهو الوليد بن المغيرة لما سمع القرآن من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انذهل مما فيه من العظمة وعجب من جزالته وبلاغته، وهم العرب الفصحاء، وقال: (والله ليس بكلام البشر وليس بسحر ولا شعر، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه) إلى آخر ما قال، ولم يستطع تكذيب القرآن.

كان إذا سمعه أحدٌ تأثَّر به، ولذا كان المشركون إذا سمعوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ القرآن رفعوا أصواتهم وضجُّوا بالصياح لأجل أن لا يصل القرآن إلى آذانهم؛ لأنهم يعلمون أنه إذا وصل إلى آذانهم سيؤثر في قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ أي: ارفعوا أصواتكم وتكلموا لأجل أن لا تسمعوه ﴿لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [سورة فصلت:٢٦]، أما إذا سمعتموه فسيغلبكم محمد.

كان أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصلي ويرفع صوته بالقراءة، فأتاه المشركون وقالوا له: إنا نخشى أن تفتن أبناءنا ونساءنا، إما أن تخفض صوتك بالقراءة وإلا أخرجناك من مكة. كما في حديث عائشة الطويل في صحيح البخاري (٢٢٩٧)، فخاف

المشركون أن أبناءهم ونساءهم يسمعون القرآن فيؤثر في قلوبهم، لأنه كتاب مُعجِزٌ عظيم.

جاء جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى المدينة في فداء أسارى بدر بعد غزوة بدر وكان حينئذٍ مشركًا، فسمع الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقرأ في صلاة المغرب بسورة الطور، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الطور:٣٥-٣٧]، قَالَ: **كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ**(١).

سمعه النجاشي وأصحابه من النصارى فبكوا حتى بَلُّوا لحاهم من البكاء، قال الله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة المائدة:٨٣]، فتأثروا بسماع القرآن ونفذ إلى قلوبهم.

فهذا كتاب معجز، كتابٌ يعجز عنه البشر، كتابٌ ما سمعه أحد إلا أثَّر في قلبه، كم اهتدى من أهل الكفر والشرك في أزمنة ماضية وفي أزمنة حاضرة بمجرد سماع بعض الآيات من كلام الله سبحانه، لما له من الحلاوة، ولما له من العظمة، ولما له من التأثير على هذه القلوب.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٤) ومسلم (٤٦٣).

ولذا انظر كم يقرأه القارئ ولا يسأم منه، تجد الشخص قد بلغ ستين أو سبعين أو ثمانين سنة وهو يقرأ القرآن طيلة حياته ولا يسأم منه ولا يحصل له من ذلك ملل، لو قرأ كلامَ أحدٍ من البشر مرارا لَسَئِمَهُ، لو أن الإنسان قرأ كتابًا مؤلفًا مما كتبه البشر مرةً ومرتين وثلاثا وأربعا لسئم منه، أما القرآن فيقرأه المؤمن طيلة حياته وكلما تقدم به العمر وازداد إيمانه وَجَدَ لهذا القرآن لذة وعظمة لم يجدها فيما سبق، فهذا من عظمة هذا الكتاب ومن جماله وجلاله وكماله، كيف لا يكون كذلك وهو كلام رب العالمين.

فهذا بعض ما يتعلق بالإيمان بالكتب، وما فيها من الإيمان المجمل والمفصل، نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا علما ينفعنا.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين.



(٦) الإيمان بالرسل

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لا زال حديثنا عن أصول الإيمان التي يقوم عليها إيمان المؤمن، ولا إيمان له إلا بذلك، وهي: الإيمان بالله، وثانيها: الإيمان بالملائكة، وثالثها: الإيمان بالكتب، وقد مضى الحديث عنها، ورابعُ هذه الأصول والأركان العظيمة هو: الإيمان بالرسل، فالإيمان برسل الله عليهم الصلاة والسلام الذين بعثهم الله تعالى إلى الأمم، ركن من أركان الإيمان لا يتم الإيمان إلا به.

والإيمان بالرسل المراد به الإيمان بالرسل وبالأنبياء، فإن الله سبحانه وتعالى أرسل رسلاً وأنبياء إلى الأمم، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ﴾ [سورة الحج:٥٢]، فالذين أرسلهم الله تعالى منهم رسل ومنهم أنبياء، والرسل أرفع درجة وأعظم منزلة من الأنبياء.

والرسول عند أهل العلم هو: من أوحى الله تعالى إليه وأرسله إلى قوم مكذِّبين لم يؤمنوا بنبي قبلَه، فيأتيهم يدعوهم إلى الإسلام فيعاندونه ويردُّون عليه دعوته، ويفتح الله تعالى قلوب من شاء منهم للإيمان به.

والنبي هو: من أوحى الله تعالى إليه وبعثه إلى قوم مصدقين بأنبياء قبله.

فالرسول يأتي إلى قوم أهل كفر وعناد، والنبي يأتي إلى قوم قد صدقوا من قبله وآمنوا به، فمقام الأنبياء في الأمم كمقام العلماء يدعون الناس إلى ما تقرَّر وثبت من دينهم، ولذا جعل النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ العلماء ورثة الأنبياء، أي أن العلماء قاموا في الناس كمقام الأنبياء دعوهم إلى رسالة قد آمنوا بها وصدقوا بها.

فالإيمان بالرسل شامل للإيمان بالرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والرسول عند أهل العلم أرفع مكانة من النبي، والأنبياء هم في الطبقة التي تليهم، والإيمان بالرسل الذي هو الأصل الرابع من أصول الإيمان يكون على درجتين:

١- **إيمان مجمل لا يتم إيمان أحد إلا به، وهو**: أن يؤمن أن الله سبحانه وتعالى أرسل أنبياء ورسل إلى الأمم، دعوهم إلى الله سبحانه وبلَّغوهم ما أمرهم الله تعالى بتبليغه، وقامت حُجَّة الله تعالى بهم على كلِّ من وصلته دعوتهم من الأمم، فهذا القدر من الإيمان واجب على كل أحد ولا يتم إيمان مؤمن إلا بذلك.

٢- **والدرجة الثانية: الإيمان المفصل**: وهو الإيمان بكل ما ورد في القرآن والسنة من أخبار الأنبياء والرسل وأوصافهم وسائر شؤونهم، ويدخل في ذلك أمور كثيرة، فمن الإيمان المفصل بأنبياء الله تعالى ورسله:

*- **أن نؤمن بعددهم**، فقد أخبرنا النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن عدد الرسل في حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه الإمام الطبراني (٧٥٤٥)، أنهم قالوا: يا رسول الله، أنبيًّا كان آدم؟ قال: «**نعم، نبي مُكلَّم**»، قيل: كم بين آدم ونوح؟ قال: «**عشرة قرون**»، أي ألف سنة، قيل: كم بين نوح وإبراهيم؟ قال: «**عشرة قرون**»، قيل: كم كانت الرسل؟ قال: «**ثلاثمئة وخمسة عشر**». وفي رواية: «**ثلاثمئة وبضعة عشر**». والبضع من الثلاثة إلى العشرة.

فهذا الحديث بيَّن فيه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن آدم كان نبيًّا، وأن بين آدم ونوح عشرة قرون، أي ألف سنة، وأن بين نوح وإبراهيم عشرة قرون، وأن عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام ثلاثمئة وبضعة عشر رسولاً.

*- **أول الرسل هو نوح** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، جاء في الصحيحين(١) في حديث الشفاعة أنهم يأتون نوحًا فيقولون له: «**يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا**». فأول الرسل هو نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

*- **وآخرهم هو محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الذي خُتمت به النبوة والرسالة، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الأحزاب:٤٠]، وقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أحاديث عدة: «**لا نبي بعدي**»(٢).

فإذاً، هذا عدد الرسل، وهذا أولهم وآخرهم.

*- وأما الأنبياء فورد في بيان عددهم أحاديث مختلف فيها بين أهل العلم، جاء في بعضها أنهم كانوا مائةً وأربعةً وعشرين ألفًا من الأنبياء، وأول الأنبياء هو آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهو نبي مُكَلَّم، وآخر الأنبياء هو محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤ -٣٢٧-)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢ -٤٤-)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

*- **ومن الإيمان بالرسل أيضًا أن نؤمن أنهم من البشر، ليس لهم من صفات الألوهية ولا من صفات الربوبية شيء**، فهم بَشَرٌ اختارهم الله تعالى واصطفاهم واجتباهم بالرسالة، وإلا فهم بشر، يأتون ما يأتيه البشر، ويحتاجون إلى ما يحتاج إليه البشر، يأكلون ويشربون وينكحون ويمرضون ويموتون، فهم بشر كالبشر لا يعلمون الغيب، ولا يستطيعون لغيرهم نفعًا ولا ضراً، بل لا يملكون ذلك لأنفسهم.

قال الله تعالى عن نبيه: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [سورة الأعراف:١٨٨]، وقال الله عنه أنه قال: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [سورة الكهف:١١٠].

فنؤمن أنهم من البشر ولكن الله تعالى اصطفاهم واختارهم من بين سائر الناس لهذا المنصب العظيم وهو النبوة والرسالة، كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي﴾ أي يختار ﴿مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ} [سورة الحج:٧٥]، وقال الله سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٧﴾ [سورة ص:٤٥-٤٧]، فهم أناس اختارهم الله واصطفاهم، ومع ذلك هم بشر، وهم عباد من عباد الله وصفهم الله تعالى بالعبودية في كثير من آيات القرآن، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا

شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [سورة الإسراء:٣]، فهو عبد من عباد الله، ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة ص:٤٥].

وهكذا قال الله سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾ [سورة ص:١٧]، ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [سورة ص:٤١]، ووصف الله نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بالعبودية في كثير من الآيات، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ [سورة الفرقان:١]، ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [سورة الإسراء:١]، فهم عباد من عباد الله.

وبهذا نعلم خطأ طائفتين:

١- طائفة غَلَتْ فيهم ورفعتهم إلى الألوهية أو الربوبية، وهؤلاء على ضلالة.

٢- وطائفة أخرى تنقَّصت الأنبياء والرسل ولم تعرف لهم فضلهم وقدرهم، وهؤلاء أيضا على ضلالة.

بل نؤمن أنهم بَشَرٌ، وأنهم عبادٌ من عباد الله، لكن الله تعالى اصطفاهم واختارهم واجتباهم لهذا الأمر العظيم وهو أمر الرسالة، فهم عبادٌ من عباد الله فلا يجوز أن يُعبدوا من دون الله، وهم رسلٌ من الله لا يجوز أن تُكَذَّب أو تُرَدَّ دعوتهم.

***- أيضًا من الإيمان بالرسل أن نؤمن أنهم جميعًا صادقون بارُّون راشدون**، وأن نؤمن أنهم بلَّغوا ما أمرهم الله تعالى به أتَمَّ البلاغ.

***- أيضًا من الإيمان بالرسل أنه يجب الإيمان بهم جميعًا وتصديقهم من أولهم إلى آخرهم**، ومن كذَّب رسولاً واحداً منهم فقد كذَّب جميع المرسلين، من كفر برسول واحد فقد كفر بالرسل كلهم وإن زعم أنه مؤمن ببعضهم، فالله تعالى قد أخبر عن كُفْرِ من فعل ذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١﴾ [سورة النساء:١٥٠-١٥١].

فهؤلاء هم أهل الكفر، فدعوى اليهود اليوم أنهم يؤمنون بموسى دعوى كاذبة، ودعوى النصارى اليوم أنهم يؤمنون بعيسى دعوى كاذبة، فلو آمنوا بموسى وعيسى حقًّا لآمنوا بمحمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيكون كفرُهم بمحمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كفراً بجميع الأنبياء والرسل، قال الله تعالى عن قوم نوح: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥﴾ [سورة الشعراء:١٠٥].

فتأمل كيف قال الله عنهم: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥﴾ [سورة الشعراء:١٠٥] مع أنه لم يرسل إليهم إلا نوح، ونوح هو أول رسول إلى أهل الأرض، ولكن لما كذبوه كانوا مكذبين لكل المرسلين، لأنهم إذا كذبوا نوحًا وردوا دعوته حين جاءهم داعيا إلى الله، فكذلك لو أتاهم غيره لكذبوه وردوا دعوته.

فإذاً، يجب الإيمان بكل الرسل، ويجب الإيمان بصدقهم جميعا، ويجب الإيمان بأنهم بلغوا دين الله تعالى أتم البلاغ، فقد شهد الله تعالى لهم بذلك، ويشهد بذلك أنبياؤه وعبادُه المؤمنون، يأتي نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يوم القيامة كما في صحيح البخاري[١]: «**يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ. فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ**». ينكرون أنه بلغهم وقد بقي فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً. «**فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ**».

فيشهدون لنوح أنه بلغ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة:١٤٣]، فهذه الأمة شهداء على الناس يوم القيامة.

نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان في حجة الوداع قائماً يخطب الناس فجعل يرفع يده إلى السماء ويقول: «**اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟**» فيقولون: نعم، فيقول: «**اللهم اشهد**»[٢].

وجاء في رواية مسلم أنهم قالوا: (نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ).

فهم بلغوا رسالة الله تعالى التي أرسلهم بها.

---

(١) البخاري (٣٣٣٩)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٧٠٧٨)، ومسلم (١٢١٨ -١٤٧-)، جاء عن جابر وعن أبي بكرة وعن غيرهم.

*- **من الإيمان بالرسل أيضًا: أن نؤمن أنهم معصومون عن كل ما لا يليق بمقامهم**، عصمهم الله وحفظهم من الوقوع في الذنوب أو المخالفات التي لا تليق بمقاماتهم السامية، فهم معصومون فيما يتعلق بتبليغ الوحي، فلا يمكن أن يكتموا منه شيئًا، ولا أن يَكذِبوا في شيء، ولا أن يقولوا على الله خلاف ما قال، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لمسروق كما في صحيح مسلم(١٧٧ -٢٨٧-): (ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ)، أي أعظم الافتراء على الله، وذكرت من هذه الثلاث، قالت: (وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ).

فهم معصومون فيما يتعلق بتبليغ رسالة الله، لا يمكن أن يحصل منهم شيء خلاف ما أمرهم الله تعالى به، وهم معصومون أيضًا أن يقع منهم شرك أو كفر بالله سبحانه وتعالى، وهم معصومون أيضًا من ارتكاب كبائر الذنوب عمداً وقصداً، عصمهم الله سبحانه وتعالى من ذلك.

*- **أيضًا مما يتعلق بالإيمان بالرسل أن نؤمن أنهم يتفاضلون فليسوا في درجة واحدة**، بل فضَّل الله تعالى بعضهم على بعض، قال الله سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة:٢٥٣]، وقال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة الإسراء:٥٥]، فالله تعالى فضَّل بعضهم على بعض.

وأفضل الرسل أولو العزم، وذهب كثير من أهل العلم أن أولي العزم خمسةٌ من الرسل، وهم الذين ذكرهم الله في سورة الأحزاب وفي سورة الشورى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [سورة الأحزاب:٧]، وقال الله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [سورة الشورى:١٣]، فهؤلاء الخمسة هم أفضل الرسل، وأفضلهم محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ثم يليه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ثم يليه موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ثم يليه عيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام، ثم يليهم سائر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

فيجب أن نؤمن أن الله سبحانه وتعالى فضَّل بعضهم على بعض كما أخبرنا ربنا عزَّ وجلَّ ونبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأما ما جاء في قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ**»، فإن المراد منه لا تفضلوا بين أنبياء الله إذا كان الدافع لهذا التفضيل هو التعصب لنبي من الأنبياء، أو كان الدافع لهذا التفضيل تَنَقُّصُ نبي آخر من الأنبياء.

فقد جاء في الصحيحين[١] أن رجلاً من المسلمين كان في السوق فسمع رجلاً من اليهود يحلف ويقول: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ، فضربه المؤمن وقال: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فجاء اليهودي يشتكي هذا المسلم إلى رسول الله

(١) البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣ -١٥٩-)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ**»، أي تفضيلاً على سبيل الحمِيَّة والعصبيَّة وأما التفضيل ببيان منازلهم التي جعلهم تعالى عليها مع حبهم وتعظيمهم وإجلالهم فهذا مما جاء في كتاب ربنا وفي سنة نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فنبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو القائل: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

*- **أيضًا مما يجب تجاه الأنبياء والرسل: محبَّتُهم وتعظيمُهم والثناءُ عليهم وتوقيرُهم**، ويحرم سبُّهم أو تنقُّصُهم أو الإزراءُ بهم أو ذِكْرُ ما ينسب إليهم من العيوب، فمقام الأنبياء مقام عظيم، أنبياء الله هم خيرة خلق الله وأحب الخلق إلى الله، فالواجب على كل مسلم أن يكون مُحبًّا لهم من آدم إلى محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أن يكون معظِّمًا لهم، أن يكون مثنيًا عليهم، وذاكراً لهم بالجميل، ويحرم سبهم وتنقصهم، ويحرم ذكر شيء مما يعيبهم الإنسان به.

بل قد أهدر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دم من تنقص الأنبياء أو طعن فيهم أو سبهم، جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند أبي داود (٤٣٦١)، والنسائي (٤٠٧٠)،أَنَّ رجلاً أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقَعُ فِيهِ، فَيَنْهَاهَا، فَلَا تَنْتَهِي، وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَشْتُمُهُ، فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا، فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ، فَلَطَّخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَمَعَ النَّاسَ

(١) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤ -٣٢٧-)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَقَالَ: «**أَنْشُدُ اللهَ رَجُلًا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ**»، فَقَامَ الْأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ يَتَزَلْزَلُ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا، فَلَا تَنْزَجِرُ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَخَذْتُ الْمِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ**».

فهذه المرأة لما سَبَّتْ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهدر دمها لأنها تنقَّصت شيئًا عظيمًا، فسَبُّ الأنبياء والرسل كفرٌ وردَّةٌ عن دين الإسلام.

بعض اليهود لما كان يسب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويتنقَّصُه أرسل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من يقتله، فأرسل من يقتل كعب بن الأشرف فقتله محمد بن مسلمة ومن معه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأرسل من يقتل تاجرَ أهل الحجاز أبا رافع ابن أبي الحُقَيْق، فذهب إليه عبد الله بن عتيك وغيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقتلوه.

فسَبُّ الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتنقُّصُه والطعن فيه رِدَّةٌ عن الإسلام، فمن سبَّ رسولاً من الرسل فهو مرتد عن الإسلام، ويجب أن يقام عليه حد الردة، فإن تاب وأصلح ورجع عما قال، فيقتل حدًّا، يجب قتله إقامة لحد الله عليه في تنقص الأنبياء والرسل، فسابُّ الأنبياء يُقتَل في كلِّ الأحوال، والفرق بينهما أنه إن تاب يُقتَل حدًّا وهو مسلم، وإن لم يتب يُقتل ردة وهو كافر بالله سبحانه وتعالى. فهذا مما يتعلق بالإيمان المُفصَّل بأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام. والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، من الإيمان بالرسل أن نؤمن أن الله تعالى أيدهم بالآيات البينات التي تدل على صدقهم، وأنهم مرسلون من الله، فما من الأنبياء نبي إلا وآتاه الله تعالى من الآيات ما يدل على صدقه، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

فما من الأنبياء نبيٌّ إلا وآتاه الله تعالى من الآيات ما يدل على صدقه وأنه مرسل من الله جل وعلا.

أعطى الله تعالى أنبيائه آيات عظيمة، اجتمع قوم إبراهيم فأحرقوه وهم ينظرون إلى نار عظيمة مشتعلة فخرج منها لم يصبه شيء، وهذه آية عظيمة، طلب قوم صالح منه أن يُخرِج لهم ناقة من صخرة أشاروا إليها فأخرج الله تعالى لهم ناقة من تلك الصخرة كما طلبوا وكما أرادوا، جاء موسى قومه وأيده الله تعالى بالآيات العظيمة أيده الله بالعصا كان يرميها فتصير ثعباناً عظيماً، أيده الله بالآيات العظيمة منها أنه كان يُدخل

(١) البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢ -٢٣٨-)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يده في جناحه أي تحت إبطه فيخرجها فتخرج بيضاء، وأرسل الله على قوم فرعون الجراد والقمل والضفادع والدم، وهكذا ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق البحر وصار طريقًا يبسا، وهذه آيات عظيمة تدل على صدق أنبياء الله، بعث الله نبيه عيسى في زمن اشتهر فيه الطب وبلغوا فيه ذروته فجاءهم بأمر عجز عنه الأطباء، كان يبرئ الأكمة وهو مَن ولدته أمَّه أعمى يمسحه فيبرأ، ويبرئ الأبرص ويحيي الموتى بإذن الله.

ومن حكمة الله تعالى أن الرسل والأنبياء كانوا يأتون بما اشتهر عند أقوامهم ومع ذلك يعجزون أن يفعلوا مثل فِعْلهم، فموسى بعثه الله في زمن اشتهر فيه السحر وانتشر وبلغ الناس فيه مبلغًا كبيراً، فجاءهم موسى بما انبهر منه السحرة، فكان يرمي العصا فتصير ثعبانًا عظيمًا وتأكل العِصِّي والحبال التي ألقاها السحرة، والتي قد خيَّلوا للناس أنها ثعابين تمشي، فلما رأى السحرة ما جاء به موسى، كان حالُهم كما قال الله: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝٧١﴾ [سورة طه:٧٠-٧١].

وهكذا عيسى جاء في زمن كان الطبُّ فيه مشتهرا فجاءهم بما عجز عنه الأطباء، فكان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله.

ونبينا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بُعث في قوم تباهوا بالفصاحة والبلاغة ونظموا القصائد البليغة، حتى عُلِّق بعض تلك القصائد على جدار الكعبة تباهيا بها، وسُمِّيت بالمعلقات، وكان الناس يحفظونها لما فيها من الألفاظ الجزلة والمعاني العظيمة، فجاءهم الرسول بهذه الآية العظيمة وهو القرآن، وتحداهم أن يأتوا بسورة مثله ولو بأقصر سورة، وهم العرب الفصحاء البلغاء فلم يستطيعوا أن يأتوا بآية واحدة مثل هذا القرآن، فتبين عجزهم وظهر عدم استطاعتهم على ذلك، وكان هذا القرآن معجزا، وهكذا سألوا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيةً فأراهم انشقاق القمر فصار القمر قطعتين، فجعل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «**اشْهَدُوا اشْهَدُوا**».

نبع الماء من بين أصابعه، كان يضع يده في الماء القليل فينبع الماء من بين أصابعه وتصير عينا يشرب منها الناس ويَسْتَقُون، سَلَّمت عليه الحجارة، وأطاعته الأشجار، وكلَّمته الوحوش، وآتاه الله من الآيات العظيمة ما يدل دلالة واضحة على نبوته وصدقه.

فكلُّ الأنبياء وكلُّ الرسل أيَّدهم الله بالآيات العظيمة التي تدل على صدقهم.

***- من الإيمان بالرسل أن نؤمن أن دين الرسل جميعًا واحد وهو دين الإسلام وإن اختلفت الشرائع والتفاصيل**، فدين الرسل من أولهم إلى آخرهم هو الإسلام، وأركان الدين في هذا الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي أركان الدين في الأمم السابقة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران:١٩]،

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران:٨٥]، وإنما اختلفت شرائع الأنبياء، فكل نبي جعل الله له شريعة في كيفية العبادات وصفاتها وفي تحليل بعض الأمور وتحريم بعض الأمور ونحو ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة:٤٨]، وقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ**».(١) وإخوة العَلَّات هم من يكون أبوهم واحدًا وأمهاتهم مختلفة، فالأنبياء إخوة لعلات أي دينهم واحد وهو الإسلام، وشرائعهم مختلفة.

فنؤمن أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء والرسل، ولكن الله تعالى بعث نبيه بالإسلام الخاص الذي كان ناسخا لكل ما سبقه من الشرائع، فلا يُقبل دينٌ بعد بعثة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا ما جاء به، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(٢).

فهذا بعض ما يتعلق بالإيمان بأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام الذي هو الركن الرابع من أركان الإيمان.

نستفيد فوائد كثيرة من الإيمان بالرسل، من هذه الفوائد:

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥ -١٤٤-)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (١٥٣ -٢٤٠-) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

*- أننا إذا عرفنا هذه التفاصيل من الإيمان بالرسل نعرف رحمة الله تعالى بنا وفَضْلَ الله تعالى علينا، فالله تعالى خلقنا ولم يتركنا هملا ولم يجعلنا سدى، بل خلقنا وبعث إلينا الرسل تدلُّنا إلى طريق الصواب وترشدنا إلى طريق الجنة، تبيِّن لنا ما يضرنا مما ينفعنا، فهذا مما يبين رحمة الله وفضله وكرامته على عباده، وهذا مما يدعونا إلى شكر الله، مما يدعونا إلى تعظيم ربنا جل وعلا والازدياد في شكره، حين نعلم رحمة الله تعالى بنا، فالرسل رحمة من الله، ولذا قال الله لنبيه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧].

*- من الفوائد التي نستفيدها من الإيمان بالرسل: أننا نحبهم إذا عرفنا صفاتهم وعرفنا ما بذلوه وما قدموه لهذا الدين، إذا عرفنا ما جعلهم الله تعالى عليه من الكمال، فإننا نحبُّهم ونعظِّمُهم ونوقِّرُهم ونثني عليهم.

مما نستفيد من الإيمان بالرسل: أن معرفتنا بالرسل وإيماننا بهم على وجه التفصيل يحملنا على التأسي بهم والاقتداء بهم والسير على طريقهم التي هي أكمل الطرق وأفضل السبل.

*- وهكذا مما نستفيده من الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام: أن نعرف تفاصيل دينهم وشرائعهم وما جاءوا به من الله سبحانه وتعالى.

*- هكذا مما نستفيده: أن معرفتنا بالرسل يجعلنا نعاملهم معاملة شرعية فلا نغلوا فيهم كغلو أهل الباطل الذين جعلوا الأنبياء والرسل في مقام الربوبية والألوهية

فعبدوهم من دون الله، أو أثنوا عليهم بما لا يجوز إلا في حق الله سبحانه، وهكذا نبتعد عن طريقة من جفاهم أو تنقَّصهم وسبهم وطعن فيهم.

كلُّ ذلك مما نستفيده من الإيمان بأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

فنسأل الله جل وعلا أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(٧) الإيمان بالقدر

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كنا قد تكلمنا فيما سبق عن أربعة أصول من أصول الإيمان وهي: الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل.

والأصل الخامس هو: الإيمان باليوم الآخر، والأصل السادس هو: الإيمان بقدر الله عَزَّوَجَلَّ.

أما الأصل الخامس فالكلام فيه طويل وسيأتي ذكره -إن شاء الله-.

وأما الأصل السادس وهو: الإيمان بالقدر، فمعناه أن يؤمن العبد أن كل شيء -بدون استثناء سواء مما كان أو ما سيكون في المستقبل- بقدر الله، فما من مخلوق من المخلوقات، وما من قَوْلٍ من أقوال المخلوقين، ولا فِعْلٍ من أفعالهم، ما من شيء يقع مما يحبه الناس أو مما لا يحبونه، إلا وهو بقدَر الله سبحانه وتعالى، فكل شيء بقدر، ليس هناك شيء يُستأنَف من اليوم أو مما سيأتي من الأيام، بل كلُّ شيء قد مضى في علم الله تعالى الأزلي، كلُّ شيء قد مضى في تقدير الله سبحانه وتعالى.

فيجب على المؤمن أن يؤمن بقدر الله سبحانه وتعالى، وأن كل شيء في هذا الكون بقدر الله، ولا يتم إيمان المؤمن حتى يؤمن بذلك.

جاء في حديث أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند الإمام أحمد (٢٧٤٩٠)، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ**».

فما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يؤمن بذلك: أن كل شيء أصابه في هذه الحياة الدنيا فهو بقدر الله، ولم يكن ليخطئه أبدًا، ولا يمكن أن يُصرَف عنه أبدًا ما دام قد

أصابه، وأن كل شيء أخطأه فلم يصبه ولم يحصل له لا يمكن أبداً أن يصيبه، فإذا علم ذلك بلغ حقيقة الإيمان.

وجاء أيضاً عند الإمام أحمد (٢٢٧٠٥)، عن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ، أَوْصِنِي، وَاجْتَهِدْ لِي. فَقَالَ: أَجْلِسُونِي، فَلَمَّا أَجْلَسُوهُ قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغْ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ، وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ مِنْ شَرِّهِ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**». يَا بُنَيَّ، إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ.

إن القلم حين أمره الله وقال له اكتب جرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، فكل شيء بقدر الله سبحانه وتعالى، ولا إيمان لمن لم يؤمن بقدر الله.

وجاء عند الإمام أحمد (٢١٥٨٩)، وأبي داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، أن عبدالله بن فيروز الديلمي رَحِمَهُ اللَّهُ أتى أُبيَّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له: (إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِي)، فقال له أُبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ لَهُمْ خَيْرًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ جَبَلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ

مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَدَخَلْتَ النَّارَ).

قال ابن فيروز الديلمي، قال: فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ.

فإذن هذا أمر فُرِغ منه، فيجب اعتقاده ولا يتم إيمان المؤمن إلا به.

وهكذا وُجِد رجالٌ في أواخر زمن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ معبد الجهني وأصحابه ينكرون القدر، ويقولون إن الأمر أُنف، ومعنى أُنف: أي أنه مستأنف في ذلك الوقت، ليس له تقدير سابق، وإنما يكون إحداثه في ذلك الوقت أي حين يقع، فأتى بعض علماء التابعين إلى عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يسألونه، فقالوا: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، -أي: يطلبون العلم ويتتبَّعونه- وَيَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ.

قال: ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ). أي: أنه كافر ليس بمسلم إذا أنكر قدر الله، فإن الصدقة إنما تُرَدُّ ولا تقبل من أهل الكفر ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [سورة التوبة:٥٤]، فابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تبرأ منهم وأعلمهم أن أحدهم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر.

فيجب على المؤمن أن يؤمن بقدر الله السابق، فإنَّ كلَّ شيء بقدر الله، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة القمر:٤٩]، وقال الله سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [سورة الفرقان:٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الأحزاب:٣٨]، وقال الله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ [سورة الرعد:٨]، كل شيء بمقدار، وقال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ [سورة التوبة:٥٠].

وهذا خطاب للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إن تصيبك حسنة أيها الرسول ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ أي: أهل النفاق يستاؤون إذا أصابتك حسنة، ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة التوبة:٥٠]، قال الله تعالى لنبيه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [سورة التوبة:٥١]، لن يصيبنا في هذه الحياة الدنيا إلا ما كتبه الله لنا، لا يمكن أن يصيبنا شيء لم يقدَّر لنا، فكلُّ شيء بقدر، ولا مخرج للإنسان من ذلك.

جاء في صحيح مسلم (٢٦٥٣ -١٦-)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**».

فكتب الله مقادير الخلائق وما من مخلوق إلا وقد كتب الله تعالى له قدره قبل أن تُخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وخَلْقُ السماوات والأرض قبل خلق الإنسان بكثير.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».(١)

فكل شيء مكتوب على العبد، رُفعت الأقلام التي كُتبت بها المقادير وجَفَّت الصحف بما سبق في علم الله، كما جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في سنن الترمذي (٢٥١٦) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له يوصيه: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**». الأقلام التي كتبت بها المقادير رفعت لأن القدر انتهى أي مضى في الزمن الأول، وجفت الصحف التي كتبت بها مقادير العباد.

وجاء في الصحيحين(٢) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، -أي نطفة- ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ** -أي بعد مُضِيِّ أربعين وأربعين وأربعين، أي أربعة أشهر،

---

(١) رواه أحمد (٢٢٧٠٥)، وأبو داود (٤٧٠٠)، عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣ -١-) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مائة وعشرون يومًا-، **يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ»**. فما يخرج من بطن أمه إلا وقد كتب الله تعالى قدره، ولا يفوته منه شيء.

وجاء في صحيح مسلم (٢٦٦٣ -٣٢-)، أن أم حبيبة أم المؤمنين زوج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ**». أي هذا شيء مفروغ منه قد كتبه الله جل وعلا.

وجاء في صحيح مسلم (٢٦٥٥ -١٨-)، عن طاووس بن كيسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ. قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ**».

العجز هو: عدم القدرة على الشيء، يريد إنسانٌ شيئًا ولا يستطيعه، والكَيس أي الفطنة والذكاء والمعرفة بالأمور، فهذه بتقدير الله، عَجْزُ العاجز عما يريده بقدر الله، وفطنة الفطن وكَيسُ الكَيِّس وذكاء الذكي فيما يريد ويفعل بقدر الله تعالى، كل شيء بقدر حتى العجز والكيس.

ولذا لو أراد الإنسان فعل شيء ولم يستطعه نُهي أن يقول: (لو أني فعلت)، لأن (لو) ما تنفع، فهذا شيء مقدر، لا يمكن أن ترده بـ(لو)، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ».[١]

أي هذا شيء مُقدَّر مفروغٌ منه، حتى لو قلت: (لو) لن تردَّه، لن تستطيع فعله وإيجاده، إنما كما قال الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». فيُدخِل عليك الشيطانُ الحسرة والندامة والأسف بقولك: (لو) وإلا فقَدَرُ الله تعالى لا يرده راد، فإذاً كل شيء بقدر الله سبحانه وتعالى.

فيجب على العبد أن يؤمن بذلك وأن يحقق ذلك فإن إيمان المؤمن لا يصح إلا إذا آمن بقدر الله وتعالى.

والحمد لله رب العالمين.



(١) رواه مسلم (٢٦٦٤ -٣٤-)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، إن الإيمان بقدر الله سبحانه وتعالى ينبني على تحقيق الإيمان بمراتب القدر، وقد دلت الأدلة في كلام الله وفي كلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن القدر له أربع مراتب، لا يتم إيمان المؤمن بالقدر حتى يحقق الإيمان بهذه المراتب الأربع.

المرتبة الأولى: مرتبة العلم: أي أن نؤمن بعلم الله تعالى السابق، فما من شيء صغير ولا كبير ما من شيء قد وقع في الماضي، أو هو واقع في الحال، أو سيقع في المستقبل، ما من شيء يجري في هذا الكون، في حق بني آدم أو في حق البهائم والوحوش أو في حق دواب الأرض وسكانها أو في حق ساكن البحر وما فيه أو في حق ساكن السماء وما فيها، ما من شيء حيٍّ ولا جماد، إلا والله تعالى يعلمه ويعلم تفاصيل أمره ويعلم كلَّ ما يتعلق به من صغير وكبير، فلا شيء يخفى على الله سبحانه وتعالى.

قال الله سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأنعام:٥٩]، فما تسقط من ورقة من

شجرة على وجه هذه الأرض صغيرة أو كبيرة إلا بعلم الله سبحانه وتعالى، وما من حبة في طبقات الأرض، وما من مخلوق في بر أو بحر، ولا رطب ولا يابس إلا وهو في علم الله سبحانه وتعالى.

وأخبرنا الله سبحانه أنه خلق السماوات لنعلم علمه العظيم، فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ۖ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الطلاق:١٢]، وتأمل كيف عبَّر بهذا التعبير العظيم: أحاط بكل شيء علما. أي أنه عَلِمَهُ من جميع جوانبه حتى صار علمًه محيطا به من كل وجه، فيعلم تفاصيله ويعلم كل ما يكون فيه ويتعلق به، فلا يخفى على الله سبحانه وتعالى شيء.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ [سورة الرعد:٨]، سمى الله نفسه بالعالم وبالعليم ومن صفاته العلم الذي لم يسبقه جهل ولا يلحقه نسيان، فهذه المرتبة الأولى من مراتب الإيمان بالقدر، وهي الإيمان بعلم الله الواسع، الإيمان بعلم الله الشامل لكل شيء، ومن أنكر هذه المرتبة فليس بمؤمن، كما كفَّر ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا القدرية الذين ظهروا في الزمن الأول يقولون: إن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها.

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقَرُّوا به خُصِمُوا وإن أنكروه كفروا)، والمراد بالقدرية الذين ينكرون القدر.

المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بالكتابة، بمعنى أن الله تعالى كتب كل شيء، فكما علم الله تعالى كل شيء، كذلك كتب كلَّ شيء، فكلُّ شيء مكتوب، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»(١).

وجاء في حديث عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الله لما خلق القلم «**قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».(٢) فكل شيء مكتوب، وكما في الآية التي تُليت قبل: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأنعام:٥٩]، مكتوب، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الحج:٧٠]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ﴾ [سورة الحديد:٢٢]، أي: من قبل أن نخلق الخليقة، وتلك المصيبة مكتوبة على العبد.

فالمرتبة الثانية من مراتب القدر: الإيمان بكتابة الله للأشياء، فما من شيء إلا وهو مكتوب، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ﴾ [سورة الأنعام:٣٨]، الكتاب هو اللوح المحفوظ، ما فرطنا فيه من شيء بل كل شيء مكتوب، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣ -١٦-)، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٠٥)، وأبو داود (٤٧٠٠).

أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ [سورة يس:١٢]، والإمام المبين هو اللوح المحفوظ، أحصى الله تعالى فيه كل شيء، فنؤمن بكتابة الله لكل شيء.

المرتبة الثالث من مراتب الإيمان بالقدر: أن نؤمن بمشيئة الله النافذة، ومعناه أن كل شيء في هذا الكون فهو بمشيئة الله، كلُّ شيء يقع بمشيئة الله ولا يمكن أن يقع شيء في الكون إلا بمشيئة الله، أما إذا لم يشأه الله فلو اجتمع أهل الأرض كلهم على إيجاده وفعله لم يقدروا عليه. كما قيل:

ما شئتَ كان وإن لم أشأ * وما لم تشأ إن أشأ لم يكن.**

فما شاءه الله كان وإن لم يشأه الخلق وما شاءه الخلق إن لم يشأه الله جل وعلا فلن يكون، فكلُّ شيء بمشيئة الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ [سورة التكوير:٢٩]، فكل شيء واقع بمشيئة الله، سواء مما تحبه أو مما لا تحبه، سواء مما ترضاه أو مما لا ترضاه، سواء كان من الأفعال أو من المخلوقات، كل شيء بمشيئة الله جل وعلا.

لا يمكن أن يكون في ملك الله شيء لا يشاؤه أبدا، هذا لا يمكن، إذا كان الإنسان وهو بشر لا يكون في ملكه شيء لا يشاؤه، فلا يكون في بيته شيء لا يشاؤه، وهكذا ملوك الأرض لا يكون في ملكهم ما لا يشاؤون، فكيف بملك الله؟ إذ أن هذا الكون العلوي والسفلي ملك لله لا يكون فيه إلا ما شاءه الله، ومن قال: إنه يكون في الكون أشياء لا يشاؤها الله فقد نسب النقص إلى الله تعالى.

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق، فالله علم الأشياء وكتبها وشاءها ثم خلقها، فكلُّ شيء مخلوق لله تعالى، كل شيء مما وقع ومما سيقع مخلوق لله، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ [سورة الزمر:٦٢]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢﴾ [سورة الفرقان:٢]، فهذه المرتبة الرابعة مرتبة الخلق، فالله تعالى علم الأشياء وكتبها وشاءها وخلقها، ولا يتم إيمان المؤمن بالقدر حتى يُحقِّق هذه المراتب الأربع.

عباد الله، هذا الأمر العظيم وهذا الأصل الأصيل في هذا الدين وهو الإيمان بالقدر، يكتسب العبد من تحقيقه والإيمان به ثمرات عظيمة، فالمؤمن بالقدر يجني من ذلك ثمرات عظيمة ينتفع بها في حياته الدنيا والآخرة، من هذه الثمرات:

*- أن الإيمان بالقدر تحقيقٌ للإيمان، ولا يتم إيمان المؤمن حتى يؤمن بالقدر، ومن لم يؤمن بالقدر لم يحقق الإيمان، وتقدم في حديث أبي الدرداء أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ**». رواه أحمد (٢٧٤٩٠).

*- من ثمرات الإيمان بالقدر: أنه يُقوِّي توكُّلَ المؤمن على الله تعالى، لأنه إذا علم أن كل شيء بقدر ولا يمكن أن يقع شيء لم يقدره الله، ولا يمكن أن يُرَدَّ شيءٌ قدَّرَه الله، كما جاء في الحديث: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**». فإذا علم المؤمن ذلك عظم توكلُه على الله، وقَوِيَتْ ثقتُه

بالله، فلا يخاف إلا الله ولا يخشى إلا الله ولا يرجو النفع إلا من الله ولا يطلب دفع الضرر إلا من الله، لأنه يعلم أن كل شيء بقدر، إذن، على ماذا يخاف من الخلق؟ أو يخشى الخلق؟ أو يرائي الخلق؟ أو يجامل الخلق؟ أو يفعل لأجل الخلق؟ هو متوكل على الله تعالى واثق بالله لأنه حقَّق الإيمان بالقدر.

*- من ثمرات الإيمان بالقدر: أن المؤمن لا يعتمد على الأسباب، حتى ولو فعل الأسباب لا يعتمد عليها، فإذا مرض يتداوى ويعتقد أن هذا سبب وقد يُقدِّر الله فيه الشفاء وقد لا يقدر، وهكذا إذا تزوج يريد الولد قد يقدر الله له الولد وقد لا يقدر.

إذن، فالسبب هو سبب لا يعتمد عليه العبد ولا يتعلق به من دون الله، وإنما يكون تعلُّقُه أولاً وآخراً بالله، لأن الله تعالى هو القادر أن يجعل السبب اليسير مؤثراً أثراً عظيمـًا، فقد تبذل سببـًا يسيراً في شفاء المرض فيشفيه الله، وقد تبذل أسبابـًا كثيرة فلا يحصل الشفاء، وقد تبذل سببـًا يسيراً في حصول الرزق فيملأ الله يديك رزقـًا وقد تبذل أسبابـًا كثيرة تريد الوصول إلى الرزق والسعة فلن تحصل عليها، إذن كل شيء بقدر.

قد يجعل الله بالسبب اليسير الأمر العظيم، انظر إلى موسى ضرب البحر بعصا وهذا سبب يسير، وإلا ما عسى أن تصنع هذه العصا بجانب البحر، ولكن الله تعالى جعل هذا السبب اليسير مؤثِّراً، فانشق البحر حتى صارت كل فرقة منه كالجبل العظيم، ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ

رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الشعراء:٦١-٦٣]، وهذا آية من آيات الله بسبب يسير.

وهكذا مريم عليها السلام وهي في نفاسها بعد أن ولدت وهي في حال ضعف، أمرها الله أن تهزَّ النخلة وهي امرأة نِفاس بجانب نخلة عظيمة طويلة لو اجتمع الجماعة من الرجال أولي القوة ما استطاعوا تحريكها، ولكن الله شاء أن يكون ذلك السبب اليسير مؤثِّرا في نزول الرُّطَب، قال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة مريم:٢٥-٢٦]، فانظر إلى هذا السبب اليسير الذي جعله الله سبحانه وتعالى سببًا، كيف حركت به مريم تلك النخلة العظيمة؟

فالإيمان بقدر الله يجعل العبد لا يتعلق بالأسباب، هناك كثير من الناس اليوم نسي التعلق بالله وانصرف قلبه إلى التعلق بأسباب مادية، تعلق قلبه في رزقه أو فيما يأتيه من مال بوظيفة يظن أنه لولا الوظيفة لفسدت حياته، وهكذا تعلقت قلوب بعض الناس في حصول النصر بالجيوش الكثيرة والأسلحة المتطورة والجنود المُدَرَّبة، ونسي التعلق بالله، وأن هذه إنما هي أسباب قد يجعل الله تعالى فيها التأثير وقد لا يجعل فيها التأثير، فلا تتعلق بالأسباب، وتعلق بالله الذي هو مُسَبِّبُ السبب وموجدُه وخالقُه.

*- من ثمرات الإيمان بالقدر: أنه يُخرِج الإعجاب من القلوب، فلا يَعجَبُ الإنسان بعمله، مهما عمل يعرف أنه بقدر الله، إذن يزول العجب، قد يعمل الإنسان الخير قد يعمل الطاعات قد يُنجِز أعمالا عظيمة يراها خيراً كثيراً فيأتيه الشيطان يداخله بالعجب وأنك قد صنعتَ وقد فعلتَ وقد أَوجدتَ وقد جرى على يديك كذا وكذا من الأعمال، فاعلم أيها الضعيف أن هذا بقدر الله، ولولا قدر الله ما فعلت شيئا من ذلك.

فالإيمان بقدر الله ينفي العجب عن القلوب، ويجعل الإنسان متواضعـًا لله عارفـًا بفضل الله عليه، وأنه لولا الله ما فعل شيئـًا، ولولا الله ما استطاع على شيء، ولولا الله ما أنجز شيئـًا في هذه الحياة.

*- هكذا من ثمرات الإيمان بالقدر: أنه يجعل في القلوب الطمأنينة والراحة والاستقرار، وينفي عنها القلق والخوف والاضطراب والتَّشَتُّت، وكم حصل عند الناس من قلق وخوف بسبب ضعف الإيمان بالقدر، ولو حقَّق الإنسان إيمانه بقدر الله لاطمأن قلبُه وطابت حياته، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ [سورة التغابن:١١]، فمن آمن بالله أي آمن أن هذا الشيء من الله وبتقديره يهدى قلبه، أي: يهدي قلبَه إلى الصواب والاطمئنان والسكينة، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: وَمَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَعَلِمَ أَنَّهَا بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ وَاسْتَسْلَمَ لِقَضَاءِ اللهِ، هَدَى اللهُ قَلْبَهُ، وعَوَّضه عَمَّا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا هُدى

فِي قَلْبِهِ، وَيَقِينًا صَادِقًا، وَقَدْ يُخْلِفُ عَلَيْهِ مَا كَانَ أَخَذَ مِنْهُ، أَوْ خَيْرًا مِنْهُ، وقال عَلْقَمَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴿١١﴾﴾ [سورة التغابن:١١]: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ.

وقال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الحديد:٢٢-٢٣]، أي أن الله أخبركم بتقديره السابق ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [سورة الحديد:٢٣]، فلا تأسفوا على ما فات ﴿وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [سورة الحديد:٢٣] أي فرحا مذموماً يحمل على الإعجاب والفخر على الناس، أي: لَا تَفْخَرُوا عَلَى النَّاسِ بِمَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِسَعْيِكُمْ وَلَا كَدِّكُمْ، وَإِنَّمَا هُوَ عَنْ قَدَرِ اللهِ وَرِزْقِهِ لَكُمْ، فَلَا تَتَّخِذُوا نِعَمَ اللهِ أَشَرًا وَبَطَرًا، تَفْخَرُونَ بِهَا عَلَى النَّاسِ.

فالإيمان بالقدر يجعل في قلب المؤمن السكينة والاطمئنان، ويُكْسِبُهُ الراحة النفسية، لأنه يعلم أنه لا يمكن أن يتغير شيء إلا بقدر الله، ولا ينافي هذا أنه يبذل السبب الشرعي فيسعى فيما شرع الله تعالى له السعي فيه، يسعى في اكتساب الخير، ويسعى في دفع الشر، ويسعى في التقليل من المنكرات، ويسعى في طلب الرزق، ويسعى في أمور حياته الدنيا، لكن يعلم أن الأمر أولاً وآخراً لله، فيطمئن وينشرح صدره ويثق بالله ولا يتعلق في هذه الدنيا بسوى الله جل وعلا.

فهذه بعض ثمرات الإيمان بالقدر، وهو باب عظيم، وللكلام في هذا الركن وهو الإيمان بالقدر بقية تأتي إن شاء الله جل وعلا.

فنسأل الله جل وعلا أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خير من زكَّاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الكفر والكافرين.

اللهم فرِّج عن المستضعفين من المسلمين في كل مكان.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

والحمد لله رب العالمين.



(٨) مسائل مهمة متعلقة بالإيمان بالقدر

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كنا قد تحدثنا فيما سبق عن الإيمان بالقدر ووجوبِ ذلك، وأنه ركنٌ من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان المؤمن حتى يحقق الإيمان بالقدر، وهكذا تحدثنا عن ثمرات الإيمان بالقدر وفوائده، وفي هذا المقام نتمم ذلك -بإذن الله تعالى- بذكر مسائل مهمة متعلقة بالإيمان بالقضاء والقدر، مما يُوَضِّحُهُ ويُجَلِّيه.

فمن هذه المسائل أن نؤمن بالتقادير كلِّها التي مَرَّت بها المخلوقات، فهذه المخلوقات سواء كان من البشر أو من غير البشر هي داخلة في تقديرات الله سبحانه وتعالى دل عليها كتاب الله وسنة نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

التقدير الأول: هو التقدير العام الشامل لكل المخلوقات، ولكل ما يكون في الأرض والسماوات، هذا التقدير كان قبل أن يخلق الله تعالى السماوات والأرض بخمسين ألفَ سنة، كما جاء في حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في صحيح الإمام مسلم (٢٦٥٣ -١٦-)، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**».

وجاء في حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عند أحمد (٢٢٧٠٧) وغيره، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: الْقَدَرَ، قَالَ: فَكَتَبَ مَا يَكُونُ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ**».

فهذا التقدير الأول وهو أعم التقادير وأشملُها.

والتقدير الثاني: تقدير عام شامل أيضًا ولكنه خاص ببني آدم، وهو الذي يسميه بعض العلماء بالتقدير البَشَري، وهو الذي كان بعد أن خلق الله تعالى آدم، فإن الله لما

خلق آدم أخرج ذريته من ظهره، وأخرج بعضهم من ظهر بعض في صورة الذَّر، ثم استنطقهم رب العالمين وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ۛ﴾ [سورة الأعراف:١٧٢]، شهدنا أنك أنت ربُّنا، فقال الله تعالى لهم: إني مُرسِلٌ إليكم رسلاً ومُنزِلٌ إليكم كتبًا يذكرونكم هذا الميثاق، وقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على هذا المعنى.

جاء الحديث عن أنس بن مالك في الصحيحين، وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خارج الصحيح، وجاء عن هشام بن حكيم بن حزام، وعن غيرهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكلها تدل على هذا المعنى، وهو الذي يسميه أهل العلم بمسألة الميثاق.

هذا الميثاق أخذه الله علينا وإن كنا لا نذكره، لكن أنزل الله كتابه وجاءت رسله يذكروننا بهذا الميثاق، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ﴾ [سورة الأعراف:١٧٢] أي أشهدهم فشهدوا نطقا ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة الأعراف:١٧٢-١٧٣]، فالله تعالى ذكَّرهم هذا الميثاق لئلا يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة الأعراف:١٧٢].

وجاء في الصحيحين[١] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي».

فهذا التقدير البشري تقدير عام، ميَّز الله تعالى به أهل السعادة من أهل الشقاوة، جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الْأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ: دَاوُدُ.

فَقَالَ: رَبِّ، كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً. قَالَ: أَيْ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً. قال الله تعالى: إذاً يُكْتَبُ في الكتاب، فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَالَ: أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ. قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ آدَمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ».[٢] فهذا هو التقدير الثاني، وهو التقدير البشري وهو أيضاً تقدير عام.

---

(١) البخاري (٦٥٥٧)، ومسلم (٢٨٠٥ -٥١-).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٧٦) و(٣٠٧٨)، والحاكم (٤١٣٢) بإسناد صحيح.

التقدير الثالث: التقدير العمري، الذي يكون لكل شخص وهو في بطن أمه حين يمضي عليه أربعة أشهر، فقد جاء في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين[1] أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ -أي أربعون يومًا-، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ -أي أربعون يومًا فإذا تم له مائة وعشرون يومًا أربعة أشهر-، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ**». فهذا تقدير خاص بالإنسان وهو في بطن أمه، يقدر الله تعالى له ما يكون في عمره؟ ما يكون من أعماله؟ وما يكون من رزقه؟ وكم يكون أجله؟ وهل يكون من السعداء أو من الأشقياء؟

التقدير الرابع هو: التقدير السنوي، وهو تقدير لكل المخلوقات، ويكون في ليلة القدر، في رمضان، يقدر الله تعالى في ليلة القدر كلَّ ما يكون وكلَّ ما سيحدث في العام، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [سورة الدخان:٣-٤]، أي: في ليلة القدر، كلُّ أمر يقدِّره الله مما يكون في العام المُقبل فإنه يُفْرَقُ في ليلة القدر.

قال أهل العلم: وهذا من معاني تسمية هذه الليلة بليلة القدر، أن الله تعالى يُقدِّر فيها ما يكون في الحول كله.

---

(١) البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣ -١-).

التقدير الخامس هو: التقدير اليومي، فالله تعالى له في كل يوم تقدير، يخلق ويميت ويعز ويذل، يعطي الملك من يشاء ويأخذه ممن يشاء، يرزق فلانـًا ولا يرزق فلانـًا، كلُّ ذلك بتقدير الله جل وعلا، ويكون هذا في كل يوم، قال الله سبحانه: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ثم قال: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ ٢٩﴾ [سورة الرحمن:٢٩]، قال أهل العلم في تفسير هذه الآية: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ ٢٩﴾ أي يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويوجد ويعدم، ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ ٢٩﴾، سبحانه وتعالى.

فهذه أنواع التقادير الخمسة التي يجب الإيمان بها، وهي من الإيمان بهذا الركن العظيم: الإيمان بقدر الله سبحانه وتعالى.

ويتعلق بالإيمان بالقدر أيضا مسائل مهمة، فمن هذه المسائل:

***- أن الإيمان بالقدر لا ينفي أن العبد له قدرة وله مشيئة وله اختيار**، فليس معنى سَبْقِ القدَر وأنه قد مضى أن الإنسان ليس له مشيئة ولا اختيار، بل أثبت الله تعالى له المشيئة في آيات كثيرة من كتابه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩﴾ [سورة النبأ:٣٩]، من شاء منكم أيها الناس أن يتخذ إلى ربه مئابـًا فليتخذ، وقال الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ [سورة التكوير:٢٨].

فأثبت الله تعالى لهم المشيئة، وأن من شاء منهم أن يستقيم يستطيع ذلك ويفعل أسبابه، وأثبت الله لهم الإرادة قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ﴾ [سورة التوبة:٤٦] لو أرادوا الخروج إلى الجهاد لفعلوا أسبابه، وهكذا قال الله تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة التوبة:٣٢]، فالعبد له مشيئة وله إرادة وله اختيار، ليس مجبورا، بل هذا يشهد له الواقع ويرى الإنسان من نفسه أن له قدرة وإرادة ومشيئة، بها يفعل وبها يترك، إن شاء أن يحضر إلى الصلاة حضر وإن شاء ألا يحضر تخلَّف، إن شاء أن يقرأ القرآن قرأ وإن شاء ألا يقرأ لا يقرأ، وهكذا، فيرى العبد من نفسه في واقع حياته أن له إرادة واختيارا وقدرة بها يفعل وبها يترك.

فالإيمان بقدر الله سبحانه وتعالى لا ينفي أن العبد له قدرة وأن له مشيئة وأن له اختيارا، ولكن قدرة العبد ومشيئته تابعة لقدرة الله ومشيئته، كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة التكوير:٢٩]، فما تشاؤون من شيء إلا إذا شاءه الله سبحانه وتعالى.

ومما يتعلق بالإيمان بالقدر:

*- **أن الإيمان بالقدر لا ينافي فعلَ الأسباب** وإنما يمنع الاعتماد على السبب، فالإيمان بالقدر لا ينافي فعلَ السبب الذي شرعه الله، بل فعلُ الأسباب المشروعة مأمورٌ به، أمر الله تعالى كثيراً في القرآن بفعل الأسباب، ألم يقل الله: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٦٠]، فهذا أمر بأسباب النصر مع أن النصر من عند الله، ألم يقل الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الجمعة:١٠].

فهذا أمر من الله بالانتشار في الأرض والسعي فيها لطلب الرزق، مع أن الرزق بقدر الله، ورزق العبد مقسوم له، ولكن الله أمره بالسعي له، ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الملك:١٥]، أي امشوا في مناكبها طالبين للرزق، وقال الله سبحانه وتعالى لمريم: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [سورة مريم:٢٥]، فأمرها الله تعالى بفعل السبب مع أنها في ذلك الحال التي هي فيه في غاية الضعف، وقال الله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ [سورة الشعراء:٦٣]، فأمره الله بفعل السبب مع أن تلك العصا اليسيرة لا تغني شيئًا بجانب ذلك البحر العظيم، ولكن الله تعالى أمر بفعل السبب.

ألـــم تـــرَ أن الله قـــال لمـــريمَ * وهُزِّي إليك الجذعَ يُساقِطِ الرُّطَب**

ولـو شـاء أن تَجْنِيْهِ مـن غيـر هَزِّهَـا * جَنَتْـهُ ولكـن كـلُّ شـيء لـه سـبب**

فكلُّ شيء جعل الله تعالى له سببًا، كلُّ أمر قدره الله جعل له سببًا، وذلك لا ينافي أن هذا الأمر قدَّره الله.

ولذا ضلَّ الصوفية وأمثالهم الذين تركوا دعاء الله بحجة أن الله قد قدر الأشياء فلو كتب الله لنا هذا الشيء لأتانا من غير دعاء، ويقول أحدهم: عِلْمُهُ بحالي -أي علم الله تعالى بحالي- يغني عن سؤالي. فهذا من الضلال الذي خالفوا فيه أدلة الكتاب والسنة.

بل أمر الله بالدعاء وأمر بفعل الأسباب كما يبذل الإنسان الأسباب في أمر دنياه، فيتزوج لأجل أن يحصل له الولد، ويأكل لأجل أن يشبع، ويفعل الأسباب من أمر

الدنيا لأجل أن تحصل له مُسَبَّبَاتُها، فهكذا في كل شيء الأسباب المشروعة مأمور بها ولا تنافي قدر الله جل وعلا.

وإنما قدر الله يجعل المؤمن لا يعتمد على الأسباب، فالسبب لا يُعتمَد عليه فقد يؤثر في وجود الشيء الذي رُتِّبَ عليه وقد لا يؤثر في وجوده، وإلا ففعل السبب مشروع ومأمور به وليس منافياً لقدر الله.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، مما يتعلق بالإيمان بالقدر:

أنه لا يجوز للمسلم أن يحتج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الطاعات، فكونه قد مضى تقدير الله جل وعلا للأشياء فيما سبق وقد قدر الله تعالى أهل السعادة وأهل الشقاوة، لا يُبَرِّرُ للإنسان أن يحتج بقدر الله على معصيته أو على ترك طاعته، فإن هذه حجة باطلة أبطلها الله في القرآن، فقد احتج المشركون على شركهم بالقدر وأخبر الله تعالى أن هذا تكذيبٌ منهم، قال الله تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [سورة الأنعام:١٤٨]، يريدون أن يبرروا لشركهم بأن شركهم هذا واقع بقدر الله، فقالوا: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾ [سورة الأنعام:١٤٨]، قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي بمثل هذه الحجة كذَّب المشركون الأوَّلون ورَدُّوا دعوة الرسل، ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨﴾ [سورة الأنعام:١٤٨]، فكذَّبهم الله تعالى وأخرَصَهُم بقولهم هذا.

الله جل وعلا جعل الحجة بالرسل لا بالقدر، فالحجة على الناس برسل الله وكتبه ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [سورة النساء:١٦٥]، ولو كان يسوغ الاحتجاجُ بالقدر لم يكن هناك داعٍ لإرسال الرسل وإنزال الكتب، لكنَّ الله أرسل الرسل وأنزل الكتب وأقام الحجة على الناس بذلك، وتكون مؤاخذته لهم بعد وصول الرسل والكتب إليهم.

وهكذا لا يجوز ترك الطاعات بحُجَّة أن الأمر مُقدَّر، بل يجب العمل، فقد جاء في الصحيحين[1] عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، -وبمعناه في الصحيحين أحاديث عن غير واحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: «**لَا، اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ [سورة الليل:٥-١٠].

فلا يجوز للإنسان أن يَتَّكِل على القدر ويترك العمل، بل أنت مأمور بالعمل، واللهُ تعالى لا يحاسبك على ما مضى في القدر، ولكنه يحاسبك على ما أمرك ونهاك، فالذي

---

(١) البخاري (٤٩٤٨)، ومسلم (٢٦٤٧ -٦-).

أمرك الله به عليك أن تمتثله والذي نهاك الله عنه عليك أن تجتنبه، وهذا هو الذي يحاسبك الله عليه، فلا يجوز الاحتجاج بالقدر على ترك طاعة الله، ولا يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي والاستمرار فيها.

ومما يروى عن أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أتاه رجل قد سرق، فلما وقف بين يديه، قال: يا أمير المؤمنين إنما سرقتُ بقدر الله، أو قدَّر الله عليّ أن أسرق، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وهذا من حسن قضاءه-: وأنا أقطع يدك بقدر الله، -أقطع يدك بقدر الله وهو أيضا حُكْمٌ شرعي- فزجر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا السارق الذي جاء يحتج بقدر الله على فعله للمعصية، وأخبره أن ذلك لا يُبَرِّر له موقفه بل يجب إقامة حدِّ الله عليه.

مما يتعلق بالإيمان بالقدر:

أنه لا يجوز للمسلم أن يعترض على قدر الله بل يجب أن يرضى به وأن يسلم وألا يقول: لو، لو أني فعلت، ولا يقول: يا ليتني فعلت، وهو يعترض بذلك على قدر الله، فإن هذا لا يفيده شيئًا، فلا يرجع ذلك الأمر الذي قد وقع، لا يمكن أن يرجع ولا يستفيد شيئًا وإنما يفتح على نفسه باب الشيطان الذي يريد إدخال الحسرة والندامة والحزن عليه، ولذا جاء في صحيح مسلم(٢٦٦٤ -٣٤-)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ. فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**». هذه (لو) التي يؤتى بها للاعتراض على القدر ليس فيها

فائدة إلا أنها تفتح باب الشيطان، فيَدخُل الشيطان من هذا الباب ويُدخِل الأسف والحزن والندامة على المؤمن باعتراضه على قدر الله.

الله تعالى ذم المشركين الذين يعترضون بـ(لو) على قدر الله، فلما قُتل من قُتل من الصحابة يوم أُحد قال المشركون ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [سورة آل عمران:١٥٦]، أي لو بقوا عندنا في المدينة كما أشرنا عليهم أن لا يخرجوا إلى أُحد ما ماتوا وما قتلوا، قال الله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [سورة آل عمران:١٥٦]، أي هذا أمر بتقدير الله.

وقال الله عن المنافقين أنهم يقولون: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ﴾، حين خرجوا إلى بعض الغزوات فلما شعروا بالخطر قالوا: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ﴾، قال الله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤]، قل إن الأمر كله لله، أي فلا اعتراض على قدر الله تعالى بـ(لو).

وقال الله في آية أخرى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤]، أي لخرجوا إلى أماكنهم التي يُقتَلون فيها ولو كانوا في بيوتهم.

فلا يجوز للمسلم أن يعترض على قدر الله، ولا فائدة له في الاعتراض على قدر الله، وإنما يجني من وراء ذلك الحسرة والندم والأسف، فابذل السبب الشرعي وما قدَّر الله وقوعه فسَلِّم الأمر لله سبحانه وتعالى.

مما يتعلق بالإيمان بالقدر أيضـًا:

أن كلَّ شيء في هذه الدنيا واقع بقدر الله، ولا يخرج عن ذلك شيء، وقولُنا: إنَّ كل شيء بقدر الله، وإنَّ كل ما كان وكل ما يكون وكل ما هو كائن بقدر الله، لا يلزم منه نسبة نقص إلى الله تعالى كما يقوله أهل البدع الذين قالوا: إن في المُقَدَّرات ما هو شر، ففيها الكفر وفيها المعاصي وفيها المصائب والابتلاءات وفيها الأشياء الضارة التي تؤذي الإنسان، فكيف يقال: كلُّ شيء بقدر الله؟

والجواب: أن الله تعالى هو الذي قال ذلك ولسنا نحن الذين قلنا ذلك، فالله جل وعلا يقول: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾ [سورة القمر:٤٩]، فكل شيء في هذا الكون بقدر الله نؤمن بذلك ونُقِرُّ به كما أخبرنا الله به، وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورٗا ٣٨﴾ [سورة الأحزاب:٣٨]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾ [سورة الفرقان:٢]، فكلُّ شيء خلقه الله وقدَّره.

فالذي ينكر أن يكون شيء من الأشياء الواقعة بقدر الله، هذا ردَّ كلام الله وكذَّب به، ولكن لا يلزم من إثبات أن كلَّ شيء بقدر الله أننا ننسب النقص إلى الله تعالى، بل نقول: إنَّ كلَّ فعلِ الله خير، وكل تقدير الله خير، وإن كان قد يوجد الشَّرُّ في المُقَدَّرات والمقضيات، أما فعل الله الذي هو صفتُه والذي هو منسوب إليه، فكله خير، ولا ينسب الشر إلى الله تعالى.

جاء في صحيح مسلم (٧٧١ -٢٠١-)، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستفتح صلاة الليل بدعاء طويل وفيه كان يقول: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»، فلا ينسب الشر إلى الله.

وفي سنن الترمذي (٤٦٤)، وغيره أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم الحسن بن علي دعاء يدعو به، وفيه يقول: «**وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ**». ولم يقل: شرَّ قضائك، لأن قضاءه كله خير، لكن الشر قد يكون في الأمر المقضي أي المخلوق، وأما قضاء الله تعالى فكله خير، ولا ينسب إليه الشر.

ولذا تأمَّل في قول المؤمنين الجن حين ذكروا الخير والشر، نسبوا الخير إلى الله ولم ينسبوا الشر إليه، فقال الله تعالى عنهم: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الجن:١٠]، فلما ذكروا الرشد أضافوه إلى الله وقالوا ﴿أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الجن:١٠]، ولما ذكروا الشر لم يضيفوه إلى الله ولكن قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الجن:١٠]، فالشر لا ينسب إلى الله، وليس في فعل الله جل وعلا شر بل فعله كله خير سبحانه وتعالى.

ولذا يجب على العبد أن يرضى بقضاء الله وقدره، ولا يجب أن يرضى بالمقضيَّات، لا يجب أن يرضى بالكفر ولا يجب أن يرضى بالمعاصي ولا يجب أن يرضى بالمنكرات، ولكن يجب أن يرضى بقدر الله تعالى لهذه الأشياء، فالواجب على العبد هو الرضا بقضاء الله لا بمقضياته ومخلوقاته.

فهذه مسائل مهمة مما يتعلق بالإيمان بالقدر، وهي مما يُثِيرُه أهل الضلال والبدع الذين خالفوا القرآن والسنة، فيثيرونها في أيامنا هذه وينشرونها بين الناس لقصد التضليل والتلبيس عليهم، فيجب على المؤمن أن يتعلم العلم الصحيح، وأن يسعى في تصحيح عقيدته بالله تعالى بأسمائه وصفاته، وبملائكته، وكتبه، ورسله، وقدَره، واليوم الآخر، وغيرها من أمور العقيدة.

نسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا واجعل علمنا حجة لنا لا حجة علينا يا رب العالمين.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفِّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

والحمد لله رب العالمين.



(٩) الإيمان باليوم الآخر (١) القبر أول منازل الآخرة

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كنا قد تحدثنا فيما سبق عن خمسة أركان من أركان الإيمان، وهي الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، والإيمان بالقدر.

والركن السادس من أركان الإيمان هو: الإيمان باليوم الآخر، وهذا الركن يتعلق به أمور كثيرة، فإن الإيمان باليوم الآخر شاملٌ لكلِّ ما يكون بعد الموت، فمنذ موتِ الإنسان إلى استقراره في الجنة أو النار كلُّ هذا من اليوم الآخر، والإنسان يَمُرُّ فيه بأحوال عظيمة.

وسمي هذا اليوم باليوم الآخر لأنه آخر الأيام، فليس بعده إلا الاستقرار في جنة أو في نار، وذلك اليوم هو آخر الأيام، وتلك الدار التي يستقر فيها المؤمن وهي الجنة أو الكافر وهي النار هي دار القرار وهي آخر الدور.

فإن النفس تمر في مراحلها في دُورٍ أربع، وتحيا في كل دار حياةً تناسبها:

الدار الأولى: هي بطن الأم، في ذلك الضيق والغم، وهذه الدار أضيقُ الدور وأقلُّها بالنسبة إلى ما بعدها، وتكون حياةُ الإنسان فيها كما شاء الله خلال أشهُرٍ عِدَّة، فإنه ينفخ فيه الروح بعد مضي أربعة أشهر، ويعيش بعد الأربعة الأشهر حيا في تلك الدار ما شاءه الله.

ثم الدار الثانية: هي دار الدنيا التي يعيشها بعد خروجه من بطن أمه، وهي أوسع بالنسبة إلى الدار التي قبلها.

والدار الثالثة: هي دار البرزخ، وهي القبور، وللأرواح فيها حياة كما شاء الله سبحانه وتعالى، وليست كحياة الدنيا.

والدار الرابعة: هي دار القرار، إما في جنة أو في نار.

فاليوم الآخر إذن، شامل لدارين من هذه الدور: دار البرزخ، ودار القرار. كلُّ هذا داخل في اليوم الآخر.

وسُمِّيَتْ القبور برزخاً لأن البرزخ هو الحاجز بين الشيئين، كما قال الله تعالى في البحرين: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الرحمن:٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الفرقان:٥٣]. أَيْ: حَاجِزًا بِقُدْرَتِهِ لِئَلَّا يَخْتَلِطُ الْعَذْبُ بِالْمِلْحِ وَلَا الْمِلْحُ بِالْعَذْبِ، ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ أَيْ: سِتْرًا مَمْنُوعًا فَلَا يَبْغِيَانِ، وَلَا يُفْسِدُ الْمِلْحُ الْعَذْبَ. فلهذا سُمِّيت القبور برزخا، لأنها حاجز بين دار الدنيا ودار القرار.

فالإيمان باليوم الآخر يدخل فيه كلُّ ما يكون بعد الموت، جاء في حديث عثمان ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الإمام أحمد (٤٥٤)، والترمذي (٢٣٠٨)، أنه كان إذا وقف على القبر يبكي بكاء شديداً، فقالوا له: تقف على القبر فتبكي بكاء شديداً، وتذكر الجنة والنار ولا تبكي هذا البكاء، فقال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**».

فالقبر هو أول منازل الآخرة، والفاصل في سعادة الإنسان وشقاوته من هذه اللحظة وهي القبر، إن نجا منه وكان من السعداء فما بعده من مواقف القيامة أيسرُ منه، وإن لم ينجُ منه ولم يكن من السعداء فيه كان ما بعده من أحوال القيامة أشدَّ منه.

وإذا علمنا أن القبر أول منازل الآخرة، فإيماننا باليوم الآخر يشمل الإيمان بكل ما يكون بعد الموت، ويدخل ذلك كلُّه في مسمَّى القيامة، فإن القيامة قد أُطلقت في كلام الله عز وجل وفي كلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وفي كلام السلف إطلاقات ثلاث:

الإطلاق الأول: القيامة الكبرى، وهي خروج الناس من قبورهم، وهي قيام الناس من القبور للحساب والجزاء، فهذه هي القيامة الكبرى، وسميت قيامة لأن الناس يقومون فيها من قبورهم لرب العالمين، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [سورة المطففين:٤-٦].

وأيضاً سمي ذلك اليوم بيوم القيامة لأنه يقوم فيه الأشهاد يشهدون، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يشهدون على أممهم، وأيضا لأنه يُقام فيه العدل.

والإطلاق الثاني: القيامة الوسطى، والقيامة الوسطى هي موت أهل القرن، والمراد بالقرن أي الجيل من الناس، والدفعة من الناس، فإذا ماتوا تكون قد قامت قيامتهم، جاء في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وبنحو حديث أنس أيضاً في الصحيحين[1] أن ناساً من الأعراب كانوا يأتون النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيسألونه متى الساعة؟ قال: فينظر النبي

(١) البخاري (٦٥١١)، ومسلم (٢٩٥٣ -١٣٧-).

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى أصغرهم فيقول: «**إِنْ يَعِشْ هَذَا الْغُلَامُ، فَعَسَى أَنْ لَا يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**». وفي لفظ حديث عائشة: «**إِنْ يَعِشْ هَذَا، لَا يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ**».

والمراد بساعتهم أي موتهم، وهو موت أهل القرن وانقراضهم بجملتهم، كما يقال: قرن الصحابة وقرن التابعين وقرن أتباع التابعين.

والإطلاق الثالث من إطلاقات القيامة هو: موت الشخص، فمن مات فقد قامت قيامته، جاء عند الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (٢٣/ ٤٦٨) بسند صحيح عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: يَقُولُونَ: الْقِيَامَةُ الْقِيَامَةُ، وَإِنَّمَا قِيَامَةُ أَحَدِهِمْ: مَوْتُهُ.

وجاء عند الطبري أيضاً (٢٣/ ٤٦٩) بسند صحيح عَنْ أَبِي قُبَيْسٍ، قَالَ: شَهِدْتُ جَنَازَةً فِيهَا عَلْقَمَةُ بن قيس النخعي التابعي المشهور رَحِمَهُ اللَّهُ، فَلَمَّا دُفِنَ قَالَ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ. فمن مات فقد قامت قيامته، من مات فهو في أول مراحل الآخرة.

فكلُّ هذه مما يطلق عليه يومٌ آخر، ومما يطلق عليه أنه قيامه، من موت الإنسان إلى استقراره في جنة أو في نار.

فأيماننا بهذا الأصل العظيم وهو الأصل السادس من أصول الإيمان، الإيمان باليوم الآخر شامل لذلك كله، بما فيه من أحوال عظيمة، وأهوال جسيمة، وأمورٍ تكون فيه، دلَّت عليها الأدلة من كلام الله وكلام الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

***

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، إن الإنسان في هذه الحياة الدنيا إذا فارق هذه الدار وهي دار الدنيا وانتقل إلى دار البرزخ يكون ذلك بمفارقة روحه لجسده، وهذا هو معنى الموت، أن الروح تفارق الجسد، ولا تفنى هذه الروح، بل لها موضع ومستقَر تكون فيه إلى أن ترجع إلى هذا الجسد يوم القيامة، وهكذا تتصل الروح بهذا الجسد أحياناً وهو في قبره، فقد جاء في حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الإمام أحمد (١٨٥٣٤)، وابن أبي شيبة (١٢٠٥٩)، وغيرهم، وهو حديث مشهور أجمع أهل السنة على اعتقاد ما جاء فيه، جاء فيه أن الميت إذا وضع في قبره «**يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ**»، قال: «**فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ**»، فالروح هذه بعد أن تفارق الجسد في الدنيا تعود إليه في القبر حين السؤال، وهكذا تتصل به في بعض الأحيان فيحصل لها معه النعيم أو العذاب.

وأحكام الدور الثلاث تختلف، ففي دار الدنيا الأصل أن النعيم أو العذاب، والراحة أو التعب أو المشقة يكون على الجسد، والروح تابعة للجسد، تتألم الروح لألم الجسد، وأما في القبر فتكون الأحكام من نعيم وعذاب وراحة ومشقة في الأصل

على الروح، والجسد على سبيل التبع، وقد تتصل الروح بالجسد في بعض الأحيان فيحصل لهما جميعاً النعيم أو العذاب.

والدار الثالثة وهي دار القرار وهي أكمل الدور: يجتمع الأمران، فأهل النعيم يكونون في نعيم بأرواحهم وأجسادهم، وأهل العذاب يكونون في عذاب بأرواحهم وأجسادهم.

إن الروح إذا فارقت الجسد مات هذا الجسد، ثم تستقر هذه الروح إما في جنة أو في نار، فأرواح المؤمنين تستقر في الجنة وتكون في نعيم إلى أن تعود إلى الجسد العودة النهائية يوم يُبعث الناس من قبورهم، وروح الكافر تكون في النار تعذب حتى ترجع إلى الجسد يوم يقوم الناس ليوم القيامة.

روح المؤمن إذا قُبضت وفارقت الجسد تلتقي بأرواح من سبقه من المؤمنين تجتمع بهم ويتساءلون عن أحوالهم وما كانوا فيه، جاء في سنن النسائي (١٨٣٣)،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكِ إِلَى رَوْحِ اللهِ، وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ، حَتَّى أَنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، فَإِذَا قَالَ: أَمَا أَتَاكُمْ؟ قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ**».

قال أهل العلم: ويُستدَل بهذا الحديث أن أرواح الكفار أو أرواح المعذبين لا تلتقي ولا تجتمع، بل هم في شغل بما هم فيه من العذاب، ولذا قالوا في الذي مات قبله وهو من أهل النار: ذُهِب به إلى أمه الهاوية، ولم يعلموا بمجيئه، وأما أرواح المؤمنين فهي التي تجتمع في هذه الحياة البرزخية كما شاء الله.

وجاء عند الإمام أحمد (١٥٧٧٧)، عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ**»، «**نسمة المؤمن**» أي: روحُه، تكون في هذه الدار دار البرزخ على هيئة طائر، «**تَعْلُقُ**» أي: تأكل من شجر الجنة، فالعُلْقَة هي الأكل اليسير، فروح المؤمن ونسمته طائر يعلُق من شجر الجنة ويأكل منها.

وجاء في روح الشهيد حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الإمام مسلم (١٨٨٧ - ١٢١-)، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذكر الشهداء، فقال: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ**». ثم قرأ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [سورة آل عمران:١٦٩-١٧٠]، فنسمة الشهيد أي روحه تكون في جوف طير خضر.

قال أهل العلم: وهذا هو الفرق بين أرواح الشهداء وأرواح سائر المؤمنين، أن أرواح سائر المؤمنين تكون هي بنفسها على صورة طير، تصير تلك الروح بصورة طير يَعلُق من شجر الجنة، وأما روح الشهيد فإنها تكون في جوف طير، يكون هناك طير وهذه الروح بداخله.

قال أهل العلم: وهذا عِوَضٌ من الله للشهيد؛ فإن الشهيد تقطع جسدُه، أو مُزِّقَتْ أشلاؤه في الحياة الدنيا، فعوَّضه الله تعالى بجسد تكون فيه روحه منذ أن تفارق جسده إلى أن تعود إليه يوم القيامة.

وهكذا أخبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن أرواح الشهداء تجتمع في موضع في الجنة جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عند الإمام أحمد (٢٣٩٠)، رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذكر الشهداء، فقال: «**الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ** -نَهَرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ- **فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا**». يكونون على بارق نهر، قال أهل العلم: بارق النهر هو الموضع الذي يبرُق ويخرج منه نهر الجنة، فيجتمعون في ذلك الموضع، ومعناه أن منتهى سيرهم يكون عند باب الجنة، ويُغدَى عليهم ويُراح عليهم برزقهم بكرة وعشيا، وهم في ذلك الموضع يتنعَّمون.

فهذا من الحياة البرزخية، روح المؤمن في الجنة، وأرواح الكفار في النار.

ونبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حين أتاه ملكان وقالا له: انطلق انطلق، فانطلق فرأى أرواح الكفار ورأى أرواح بعض العصاة كأرواح الزناة وأرواح آكلي الربا وأرواح الكذبة وغيرهم رآها في النار تعذب.

فروح المؤمن إذا فارقت جسده لا تفنى، وليس معنى الموت فناء الروح، بل معنى الموت مفارقة الروح للجسد، وهذه الروح تبقى في حياة، إما في جنة أو نار، إما في نعيم أو عذاب حتى تعود إلى هذا الجسد حين القيام والبعث من القبور.

وأخبرنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الأنبياء أحياء في قبورهم، أي: حياةً برزخية ليست كالحياة الدنيا، جاء في صحيح مسلم (٢٣٧٥ -١٦٤-)، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**». وكان قبره كما جاء في الصحيح على بُعْدِ رميةِ حَجَر من بيت المقدس.

وهكذا أخبرنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأن أجسادهم تكون كما هي حين ماتوا.

وأخبرنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الله وكَّل ملائكة تبلِّغ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمته السلام، فإذا صلى عليه أحد من البشر أو سلم عليه تبلغه سلام أمته، فقال: «**إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**».

وهكذا أخبرنا ربُّنا عز وجل أن الشهداء أحياء لم يموتوا ولكنها حياة برزخية، بل نهانا الله أن نقول عن الشهيد: إنه ميت، ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ [سورة البقرة:١٥٤] أي لا تقولوا: إنهم ماتوا، ولا تسمُّوهم أمواتا ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [سورة البقرة:١٥٤] أنتم لا تشعرون بحياتهم.

ونهى الله تعالى أن نظن حتى الظن أنهم ماتوا، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [سورة آل عمران:١٦٩].

فحياة البرزخ حياة ولكنها ليست كحياة الدنيا، وليست كحياة دار القرار، بل هي حياة يعلم الله سبحانه وتعالى كُنْهَهَا وكيفيتها.

فهذا من الإيمان باليوم الآخر، وهو مما يكون بعد الموت.

وللحديث في هذا الأصل من أصول الإيمان بقية يأتي ذكرها إن شاء الله الله سبحانه وتعالى.

فنسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته. اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، واجعل علمنا حجة لنا لا علينا.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمِنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا. اللهم يسر لهم البطانة الصالحة التي تدُلُّهم على الخير وتعينهم عليه.

اللهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

والحمد لله رب العالمين.

(١٠) الإيمان باليوم الآخر (٢- فتنة القبر)

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس لا زال حديثنا عن الأصل السادس من أصول الإيمان، وهو الإيمان باليوم الآخر، والإيمان باليوم الآخر شامل لكل ما يكون بعد الموت.

ومن الإيمان باليوم الآخر: **الإيمان بفتنة القبر**، والمراد بفتنة القبر: سؤال الملَكين منكر ونكير للمقبور عن ربه وعن دينه وعن نبيه، والفتنة بمعنى الاختبار، فما من ميت يموت إلا ويُسأل عن هذه الأسئلة ويُفتن -أي يُختبر- بها في قبره، ما من ميت يموت سواء دُفن في قبره، أو أكلته السباع، أو غرق في البحر، أو أحرقته النار حتى فني جسده، أو ظل باقيا على وجه الأرض لم يدفن، إلا ويُسأل في قبره عن هذه الأسئلة، فيثبت الله سبحانه وتعالى من يشاء ويضل من يشاء، وقد دلت على ذلك الأحاديث الكثيرة عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فقد جاء في الصحيحين[1] أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسَّر قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة إبراهيم:٢٧] بذلك، فعن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ قَالَ: «**نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾».

---

(١) البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١ -٧٣-).

وجاء في صحيح مسلم (٥٨٤ -١٢٣-)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ -أي: ممن كان في المدينة-، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟ قَالَتْ: فَارْتَاعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «**إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ**». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَبِثْنَا لَيَالِيَ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟**» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

فكان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قبل أن يوحى إليه يظن أن الفتنة في القبر إنما تكون ليهود، فأوحى الله تعالى إليه أن هذه الفتنة أيضاً لهذه الأمة.

وجاء في الصحيحين[١] عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في الحديث الطويل في قصة الكسوف، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا، حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا -أَوْ مِثْلَ- فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**». فالفتنة في القبر التي هي سؤال الملكين صحَّت بها الأدلة الكثيرة.

أيضاً جاء في الصحيحين[٢] عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان من دعائه أنه يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ،**

---

(١) البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥ -١١-).

(٢) البخاري (٦٣٦٨)، ومسلم (٥٨٩ -١٢٩-).

وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ». فكان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يستعيذ بالله من فتنة القبر.

وأمر أمته إذا صلوا أن يستعيذوا بالله من فتنة القبر، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،(١) أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ». فتنة الممات في هذا الحديث فسَّرها كثير من أهل العلم بأنها الفتنة بعد الموت، وهي الفتنة في القبور.

وجاء في الصحيحين(٢) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، يَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فيقول: هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقولان له: صدقت قد علمنا إن كنت لمؤمنا أو موقنا، ويقال للكافر أو المنافق: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فيقول: لا أدري، فيقال له: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ».

وجاء في صحيح مسلم (٩٦٣ -٨٦-)، من حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان إذا صلى على الميت يدعو له بدعاء يقول فيه: «وَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ، وَعَذَابَ النَّارِ».

---

(١) عند مسلم (٥٨٨ -١٢٨-).

(٢) البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠ -٧٠-).

فمما يؤمن به أهل السنة والجماعة -كما دلت عليه هذه الأحاديث- أن الميت إذا مات يُفتَن بسؤاله عن هذه الأسئلة الثلاثة: يُسأل عن ربه، ويسأل عن دينه، ويسأل عن نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وكلُّ أمة تُسأل عن نبيها، وإنما يثبت في ذلك من ثبَّته الله سبحانه وتعالى.

والسؤال يكون من ملكين، جاء وصفهما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في سنن الترمذي (١٠٧١) وكتاب "السنة" لابن أبي عاصم (٨٦٤)، وغيرهما أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ -أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: مُنْكَرٌ، وَالْآخَرِ: نَكِيرٌ**». ما من أحد يموت إلا ويأتيه «**مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ**» أسودان أي: في لونهما، أزرقان في عينيهما، يقال لأحدهما: منكر، وللآخر نكير. ومعنى النكارة في اسمهما أي: أنهما غير معروفين عند هذا الميت، كما قال لوط عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للملائكة حين أتوه: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الحجر:٦٢] أي: لا أعرفكم، فهذا الميت إذا رآهم لا يعرفهم.

وهكذا جاء في صحيح السنة أنهم يُجلِسون الميت في قبره، وأن روحه تُعاد في جسده وقت السؤال، جاء ذلك في حديث البراء بن عازب عند الإمام أحمد (١٨٥٣٤)، وغيره أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذكر المؤمن قال: «**فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ**»، ولذا جاء في حديث أنس المتقدم أنه يسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا عنه، أي: لأن روحه عادت في جسده، فإذا عادت روحه في جسده يأتيه ملكان

فيقعدانه، ونؤمن بذلك أنهما يقعدانه، وأمورُ الآخرة ليست كأمور الدنيا بل هي أمور غيبية يجب الإيمان بها كما دلَّ عليه الدليل.

«فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ. فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ. فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا».

وهذا الحديث قال شيخ الإسلام وابن القيم وغيرهما: (أجمع أهل السنة على اعتقاد كلِّ ما دل عليه حديث البراء ابن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

فهذه الأدلة تبين أن مما يدخل في الإيمان اليوم الآخر أنه يفتن ويسأل عن هذه الأسئلة، والمثبَّت في ذلك الموقف من ثبته الله سبحانه وتعالى، وأما من كان في الدنيا مرتابا أي شاكا، أو منافقا يُبطِن خلاف ما يُظهِر، أو كافرا، فإنه لا يستطيع الجواب وإن كان يحفظها في الدنيا كما يحفظ اسمه واسم أبيه.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

❋❋❋

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أيها الناس، الفتنة في القبر دلَّت الأدلة الصحيحة عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنها عامة لكل أحد إلا من استثناه الدليل، فهي عامة لهذه الأمة ولغيرها من الأمم، وقد تقدم حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**إنما تفتن يهود**» ثم أوحى الله إليه أن هذه الأمة أيضـًا تفتن في قبورها.

وكـلُّ أمـة تُسـأل عـن نبيهـا، فأمـة محمـد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُسـأل عـن محمـد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمة موسى تُسأل عن موسى، وأمة عيسى تُسأل عن عيسى، وهكذا كلُّ أمة تُسأل عن نبيها.

والناس بعد بعثة الرسول محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كلهم من أمته، وإن ادَّعوا أنهم من أمة موسى وعيسى فبعد بعثة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كل البشر من أمته.

وهكذا هذه الفتنة عامة لمن كان مسلماً مؤمناً، ولمن كان منافقا يُظهِر الإسلام ويُبطِن الكفر، ولمن كان كافرا ظاهراً، فتشملهم جميعاً كما دلت عليه الأحاديث، فقد جاء في الأحاديث «**إنَّ المؤمن**»، وقال: «**وأما الفاجر**»، وفي رواية: «**وأما الكافر**»، وفي بعض الروايات: «**وأما المنافق**». فكلُّهم يُسألون في قبورهم.

وإنما نستثني من هذه الفتنة من استثناه الدليل، وممن استثناه الدليل، وعَلِمْنَا أنهم لا يُسألون في قبورهم:

١- الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأن الأنبياء يُفتن الناس بهم ويُسألون عنهم، جاء في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في مسند الإمام أحمد (٢٥٠٨٩)، في حديث طويل قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لعائشة: «**فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ فَبِي تُفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ**». فبيَّن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن السؤال يكون عن الأنبياء وليس لهم.

وممن استثناه الدليل أيضـًا أنه لا يفتن في قبره:

٢- الشهيد، شهيد المعركة الذي قتل في أرض المعركة وهو يقاتل لإعلاء كلمة الله، جاء في سنن النسائي (٢٠٥٣)، عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ -وهو من التابعين- عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً**». ومعنى قوله: «**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً**». أي أنه قد وُجِد منه في الدنيا ما يدل على صدق إيمانه وما يدل على يقينه التام، حيث قدَّم رقبته للسيوف لأجل نصرة هذا الدين ولأجل إعلاء كلمة الله، فهذه فتنة عظيمة واختبار عظيم يدل على صدق إيمانه.

وممن جاء في الدليل أنه لا يفتن في قبره:

٣- من مات مرابطـًا في سبيل الله، مات وهو مرابط سواء مات بمرض أو لدغته حية أو عقرب أو حصل له برد شديد فمات أو غير ذلك من الأسباب، فكل من مات مرابطـًا في سبيل الله لا يفتن في قبره، جاء في صحيح مسلم (١٩١٣ -١٦٣-)، عن

سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفُتَّانَ**».

وجاء في سنن أبي داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١)، عن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ، إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ، مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ**».

فهذه الأدلة تدل على أن من مات مرابطًا في سبيل الله يأمن فتنة القبر، وتأمل أيضًا ما فيه من الفضل العظيم أن عمله الذي كان يعمله مستمر له لا ينقطع، وكلُّ ميت إذا مات انقطع عمله، وأما من مات مرابطًا ومن باب أولى من قتل شهيداً في أرض المعركة لا ينقطع عمله، بل كلُّ عمله الذي كان يعمله يجري عليه لأنه حي لم يمت.

فهؤلاء ممن دلت الأدلة الصحيحة على أنهم لا يفتنون في قبورهم.

جاء أيضًا في حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في سنن الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٠٧٤): «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ**».

وهذا الحديث مختلف فيه بين أهل العلم هل يصح أو لا يصح؟ ومن صححه من أهل العلم فهو محمول عندهم على مؤمن صالح، مؤمن من الصالحين المتقين مات في يوم الجمعة أو ليلة الجمعة، فهذا علامة حسن خاتمته، وشهادةٌ له أنه لا يفتن في قبره.

فهؤلاء من جاء استثناءهم بالدليل.

وأما الأطفال والمجانين فإنهم يفتنون في قبورهم كما يفتن غيرهم، لعدم الدليل الذي يُخرجهم من ذلك، والله تعالى يُكمِّل لهم عقولهم يوم القيامة، كما جاء في

أحاديث أنهم يُمتحنون في يوم القيامة في عرصات القيامة، كذلك تحصل لهم الفتنة في قبورهم، وهو مقتضى قول أهل السنة والجماعة كما نقله عنهم شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد صحَّ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الإمام مالك في الموطأ (٧٧٦) من طريق سعيد بن المسيب قال: صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى صَبِيٍّ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ). قال أهل العلم: إذا كان يُدعى له بالوقاية من عذاب القبر، فكذلك فتنة القبر جائزة في حقه.

وهكذا الصِّدِّيقون ممن يفتنون في قبورهم، لأن بعض أهل العلم قال: إذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق أرفع درجة من الشهيد فكذلك لا يفتن، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [سورة النساء:٦٩]، فمرتبة الصديقية بعد مرتبة النبوة وفوق مرتبة الشهداء.

والجواب عن هذا أن يقال: قد دلَّت الأدلة على أنهم يفتنون في قبورهم كما يفتن غيرهم، وهذه الخصوصية للشهيد لا يلزم أن تثبت لمن فوقه، فلا نستثني من الأدلة إلا من استثناه الدليل، وهم: الأنبياء، والشهداء، ومن مات مرابطًا في سبيل الله، وهكذا في قول لأهل العلم من مات في يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وهو من المؤمنين الصالحين، فهذا مما نؤمن به ومما هو داخل في الأصل السادس من أصول الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر.

فنسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلاء أن يَقيَّنا فتنة القبر وعذاب القبر، اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القبر وعذاب القبر.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفِّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أذل الكفر والكافرين، اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم أمِّنَّا في أوطاننا، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم يسِّر لهم البطانة الصالحة التي تدلُّهم على الخير وتحثُّهم عليه، اللهم مكِّن لدينك الحق في أرضك يا قريب يا مجيب، اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين.



(١١) الإيمان باليوم الآخر (٣- نعيم القبر وعذابه)

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضى الحديث عنه أن من الإيمان باليوم الآخر؛ الإيمان بفتنة القبر، وهي سؤال منكر ونكير للميت عن ربه ودينه ونبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بنعيم القبر وعذابه، ويكون بعد الفتنة في القبر، فمن أجاب عن أسئلة الفتنة نجا وصار إلى نعيم، ومن لم يجب عُذِّب.

جاء من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الإمام أحمد (١٨٥٣٤) وغيره أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما ذكر المؤمن وأنه يجيب على هذه الأسئلة التي يسأله منكر ونكير، قال: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ. فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ. وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ، فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ**».

ثم ذكر الكافر أو الفاجر، وأنه إذا سُئل يقول: «**هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**»، قال: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ. فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ، فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ**».

وهذا الحديث قد أجمع أهل السنة على اعتقاد ما تضمنه، فكل ما دل عليه حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُجمَعٌ عليه عند أهل السنة والجماعة، وكان مما دل عليه: أنه بعد فتنة القبر إما يُنعَّم هذا الميت، وإما يعذب، من أجاب كان في نعيم، ومن لم يجب كان في عذاب، والعياذ بالله.

فعذاب القبر ونعيمه حق نؤمن به ونعتقده.

قال أهل العلم: (كلُّ ميت يناله ما يستحقه من نعيم القبر وعذابه، سواء دُفن في قبرٍ، أو غَرق في بحر، أو أكلته السباع، أو أُحرق بالنار حتى صار رمادا، أو حصل له ما حصل). فكلُّ من مات يناله ما يستحقه من نعيم أو عذاب، فإن هذا النعيم أو العذاب ليس لأجل القبر، بل لأجل حياة البرزخ، فالحياة البرزخية وهي التي بين دار الدنيا ودار القرار إما نعيم وإما عذاب، وإنما يذكر أهل العلم: عذاب القبر ونعيم القبر، فيُقيِّدُونه بالقبر؛ لأن هذا هو المشروع عند المسلمين أن من مات يدفن في قبر، وإلا فكل ميت ولو لم يدفن يصل إليه ما يستحقه من نعيم أو عذاب، وهذا الأمر مجمع عليه بين أهل السنة والجماعة.

بل قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنه مما اتفق عليه المسلمون، ومما اتفق عليه أهل الملل والطوائف كلها من اليهود والنصارى وغيرهم). كما جاء في الأدلة الصريحة أن اليهود يؤمنون بعذاب القبر، وإنما أنكره أناس من الفلاسفة الذين لا يؤمنون بدين، ولا يتَقَيَّدون بوحي.

وهكذا تابعهم على هذا الضلال ممن ينتسب إلى هذه الأمة بعض الزنادقة كالرافضة، وبعض طوائف البدع كالمعتزلة والخوارج وأمثالهم الذين كذبوا بعذاب القبر ونعيمه.

وقد دلت الأدلة الصحيحة المتواترة من سنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على إثبات ذلك، بل دلت الأدلة الكثيرة من كلام الله بعشرات الآيات التي ذكرها أهل العلم، كلُّها تدل على نعيم القبر وعذابه.

من ذلك قول الله سبحانه وتعالى:

١- ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة غافر:٤٥-٤٦]. قال أهل العلم: ذكر الله تعالى عذاب آل فرعون قبل قيام الساعة فقال: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ﴾ [سورة غافر:٤٦]. ثم ذكر عذابهم بعد قيام الساعة فقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة غافر:٤٦]

فعلمنا بهذا أن قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ﴾ [سورة غافر:٤٦] قبل قيام الساعة، ولا يكون ذلك إلا في القبر، ولذا فهذه الآية أصل عظيم في إثبات عذاب القبر.

٢- وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة التوبة:١٠١]. فالعذاب العظيم الذي يردون إليه هو عذاب الآخرة عذاب النار، وأخبر الله أنه يعذبهم قبل هذا العذاب العظيم مرتين، ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة التوبة:١٠١] مرة في الدنيا بما حصل لهم من القتل والأسر والجراح والعذاب الذي نالهم في الدنيا. والمرة الثانية: في القبور بما يصيبهم من العذاب في قبورهم.

٣- وقال الله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة الأنعام:٩٣]. فقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [سورة الأنعام:٩٣]. تخاطبهم به الملائكة عند قبض أرواحهم، ويقولون لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ وذلك العذاب إنما هو عذاب القبر.

٤- وقال الله سبحانه: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة السجدة:٢١]. والعذاب الأكبر هو عذاب الآخرة. إذاً هناك عذابٌ أدنى دون ذلك العذاب، أذاقهم الله تعالى بعضه في الدنيا، وبقي منه بقية تنالهم في القبر، لأن ﴿مِّنَ﴾ في قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ [سورة السجدة:٢١] للتبعيض، أي نذيقهم بعضه وجزءًا منه، وبقي بعضُه وجزءٌ منه ينالهم في قبورهم.

وكثير من الآيات في كلام الله جل وعلا يخبر الله تعالى فيها عن عذاب القبر.

وهكذا دلت أحاديث السنة المتواترة على ذلك، فمنها:

ما جاء في صحيح البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢ -١١١-)، عن عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مر بقبرين، فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ** -وكان الله قد أعلَمَ نبيه بعذابهما في القبر-، **وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**». ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا بِنِصْفَيْنِ ثُمَّ غَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، ثُمَّ قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**».

فالرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أخبر أن صاحبي ذينك القبرين يعذبان في قبورهما.

وجاء في صحيح مسلم (٢٨٦٧ -٦٧-) عن زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ، وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ، فَكَادَتْ تُلْقِيهِ وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ، أَوْ خَمْسَةٌ، أَوْ أَرْبَعَةٌ، فَقَالَ: «**مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟**» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا. قَالَ: «**فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟**» قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ. أي ماتوا قبل الإسلام.

فَقَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**». «**لولا ألا تدافنوا**» أي: لولا مخافتي أن تتركوا التدافن، لدعوتُ الله أن يُسمعكم عذاب القبر، أي أنكم إذا سمعتم الذي أَسْمَعُ من عذاب المقبورين لا تدفنون موتاكم، ولا تستطيعون قربان القبور؛ لما تجدون من الخوف بسماع أصوات المعذبين.

وجاء في الصحيحين[١] عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خرج يوماً قبل أن تغرب الشمس فسمع صوتا، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**».

فعذاب القبر حق ونعيمه حق، ويعتقده سائر المسلمين، إلا من خالف هذه الأدلة الصريحة، وكذَّب بها من أهل الضلال والانحراف.

فمما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر: الإيمان بنعيم القبر وبعذاب القبر، وأن الميت إذا مات يكون في نعيم أو في عذاب، ما من ميت يموت إلا ويكون كذلك إما في نعيم وإما في عذاب. وقد أسمع الله تعالى نبيه ذلك.

وهكذا أسمعه الله تعالى البهائم، فالبهائم تسمع عذاب المقبورين. قال شيخ الإسلام: (ومن ذلك ما يفعله الناس في مصر والشام أن خيولهم إذا مغلت -أي: أصاب المَغْلُ بطونَها وهو إمساك في بطونها وألم، قال:- يذهب بها أصحابها إلى قبور اليهود وقبور النصارى وقبور المنافقين والزنادقة من القرامطة والإسماعيلية من بني عبيد وغيرهم، قال: فإذا ذهبوا بها إلى تلك القبور وجعلوها بجانب القبور فزعت مما تسمع من أصوات المقبورين فاستطلقت بطونها وذهب عنها ما أصابها).

لأن الله سبحانه أسمع هذه الحيوانات والبهائم عذاب القبر، ولا يزال إلى يومنا هذا كما أخبرنا بعض من يعيش في دول الغرب أنهم إذا مرضت خيولهم وبهائمهم في

---

(١) البخاري (١٣٧٥)، ومسلم (٢٨٦٩ -٢٦-).

بطونها يذهبون بها إلى قبور اليهود والنصارى فتستطلق تلك البطون مما تسمع من عذابهم الذي أسمعها الله عز وجل إياه.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.



الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، مما يتعلق بهذا الأمر العظيم وهو عذاب القبر ونعيمه: أن الأدلة قد دلت على أن عذاب القبر منه ما يكون دائما لا ينقطع إلى يوم القيامة، ومنه ما يكون منقطعا، فعذابُ الكفار عذابٌ دائمٌ لا ينقطع، بل قد دلت الأدلة على أن بعض المسلمين الذين عظُمت جرائمهم لا يزالون يعذبون في قبورهم إلى يوم القيامة، كما جاء في حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل وهو في صحيح البخاري (٧٠٤٧) حين جاء جبرائيل وميكائيل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقالا له: انْطَلِقِ انْطَلِقْ. قال: «**أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الْحَجَرُ هَاهُنَا، فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ، حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى**».

ولا يزال يفعل به ذلك إلى يوم القيامة. وهذا في حق من نام عن الصلاة المكتوبة ورفض العمل بالقرآن. وهكذا في الكذاب الذي يخرج من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق، يُشَرْشَرُ شِدْقُه إلى قفاه ومنخرُه إلى قفاه وعينُه إلى قفاه، إذا فعل ذلك بالجانب الأيمن انتقل إلى الجانب الأيسر، فلا يفرغ من الجانب الأيسر إلا وقد صَحَّ الجانب

الأيمن كما كان، ويعود مرة أخرى، ولا يزال يفعل به ذلك، وهكذا الزُّناة والزواني يكونون في تنور، وهكذا آكل الربا يسبح في بحر الدم، كلُّ هؤلاء ذكر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنهم لا يزالون يُفعَل بهم ذلك إلى يوم القيامة. فهذا يدل على أن عذاب القبر منه ما يدوم، وهذا في حق أهل الكفر، وأيضا قد يكون في حق بعض المسلمين الذين عظمت ذنوبهم وجرائمهم.

ولذا الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حين مرَّ بقبرين أحدهما لِنَمَّام والآخر لرجل كان لا يستتر من بوله، رجا أن يُخفَّف عنهما بشفاعته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبفعله ذلك، وإلا فظاهره أن العذاب مستمر عليهم.

وقد ينقطع عذاب القبر، وذلك في حق بعض العصاة الذين خَفَّت جرائمهم، كما أنهم يعذبون في النار عذابا غيرَ دائم، بل يكون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون، فكذلك يحصل لهم في القبور، يُعذَّبون ما شاء الله جل وعلا ثم يستريحون.

فعذاب القبر منه ما يدوم ويستمر إلى قيام الساعة، ومنه ما ينقطع ويستريح صاحبه، ولله سبحانه وتعالى في ذلك الحكمة البالغة.

وهكذا النعيم، من كان منعما فهو في نعيم إلى قيام الساعة.

ومما دلت عليه الأدلة وهو مما اتفق عليه أهل العلم: أن عذاب القبر ونعيمه الأصل أنه يكون على الروح، والجسدُ يتنعَّم أو يُعذَّب تبعا للروح، فأحكام البرزخ جارية على الأرواح، والأرواح بعد أن تفارق الأجساد تكون في نعيم أو في عذاب.

فقد أخبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن «**نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ** -أي: روحه- **طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ**».(١) وأخبر أن أرواح الشهداء «**فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ**».(٢)

وأخبر أن أرواح الكفار معذَّبة، ولما أسري به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مرَّ بأبيه آدم وعن يمينه أَسْوِدَةٌ وعن شماله أسودة، والأسودة هي الأرواح، والسوادُ يطلق على المخلوقات، كما في حديث ابن عباس: «**فإذا سواد عظيم**» أي: بَشَرٌ كثير.

وآدم كان عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، فقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى**». فسأل النبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جبريلَ عن هذه الأسودة ما هي؟ قال: هذه نَسَمُ بَنِيهِ. أي: أرواح بنيه فأهل اليمين أهل الجنة، وأهل الشمال أهل النار، ولا يلزم أنهم يكونون في مستوى واحد، بل أهل النار في أسفل السافلين وهم عن جهة شماله، وأهل الجنة في أعلى العليين وهم عن جهة يمينه.

فالأرواح تبقى مُنعَّمةً أو معذَّبة في الحياة البرزخية، وقد تتصل الروح بالجسد في بعض الأحيان فيحصل لها معه النعيم أو العذاب، هذا هو الأصل في حكم دار البرزخ، **لأن أحكام الدور تختلف:**

---

(١) رواه أحمد (١٥٧٧٧)، عن كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (١٨٨٧ -١٢١-)، عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

- فدار الدنيا يكون النعيم فيها والعذاب على الجسد، فالجسد هو الذي يُنَعَّم بالمطاعم والمشارب والملذَّات، وهو الذي يُعَذَّب إذا جنى ما يستحق عليه العقوبة من جَلْدٍ أو رَجْمٍ أو قَطْعٍ، يكون على الجسد، لأن أحكام الدنيا على الأجساد، والأرواحُ تبعٌ للأجساد.

- وأما في الحياة البرزخية فالأحكام على الأرواح، والأجساد تابعة لها.

- فإذا كان في دار القرار، واستقر الناس في جنة أو في نار، كَمُلَ لأهل النعيم نعيمهم، ولأهل العذاب عذابهم، فيكون النعيم والعذاب على الروح والجسد معا.

فهذا مما يؤمن به أهل السنة والجماعة، أن هذه الأرواح تكون في نعيم أو عذاب إذا فارقت الأجساد، فأرواح المؤمنين في نعيم، وأرواح الكافرين في عذاب.

وهذا هو عذاب القبر ونعيمه الأصل أنه على الأرواح، لا كما ظَنَّهُ بعض الجهلة والفلاسفة والزنادقة الذين قالوا: إننا دَفَنَّا مسلماً وكافراً فأبقيناهما أياما ثم كشفنا قبر المسلم وقبر الكافر، فلم نرَ نعيما ولا عذابا.

وإنما أُوتوا من جهلهم، وعدم تسليمهم لأخبار الغيب من الكتاب والسنة، وإلا فأحكام البرزخ على الأرواح وليست على الأجساد، فهذه الأجساد تفنى وتأكلها الدود وتذهب، إلا من استثناه الدليل كأجساد الأنبياء، ولكن الأرواح هي التي تبقى في نعيم أو عذاب حتى يردها الله تعالى إلى أجسادها يوم البعث.

عبادَ الله، إن هذا الأمر وهو الإيمان بنعيم القبر وعذابه داخلٌ في الإيمان باليوم الآخر، كما جاء في حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**إِنَّ الْقَبْرَ**

أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»[1].

فيجب الإيمان بذلك والتصديق به كما دلت عليه هذه الأدلة من كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولا يجوز الالتفات إلى كلام أهل الكفر من الفلاسفة وأمثالهم، ولا إلى كلام أهل الزندقة من الرافضة والعقلانيين وأمثالهم، الذين أنكروا عذاب القبر ونعيمه وكذبوا به، لأنه لم يوافق عقولهم الفاسدة، ولم تدركه فُهومُهم الكاسدة، وهو أمر دل عليه كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأجمع عليه سلف الأمة لا خلاف بينهم في ذلك.

وقد ورد في الأدلة أسبابٌ كثيرة للعذاب في القبر، وقد سبقت الإشارة إلى بعضها:

كالنميمة، وعدم الاستتار من البول، بأن يبول وبوله يرجع إلى جسده وثيابه، إما أن يبول إلى جهة الريح فتَرُدُّ الريحُ بولَه على جسده وثيابه، أو إلى مكان صلب إذا اصطدم به بولُه رجع عليه.

- وهكذا من أسباب عذاب القبر: النوم عن الصلاة المكتوبة، وعدم العمل بالقرآن.

---

(١) رواه أحمد (٤٥٤)، والترمذي (٢٣٠٨).

- وهكذا أكل الربا، وهكذا الزنا، وهكذا الكذِب، الذي يكذبه الإنسان فينتشر عنه، وغيرها من الأسباب التي ورد بها حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل في صحيح البخاري (٧٠٤٧).

وقد جاء في أحاديث أن هناك أشياء تقي من عذاب القبر، وتبعد المسلم عنه، من ذلك:

- ما جاء في قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ يَقْتُلْهُ بَطْنُهُ فَلَنْ يُعَذَّبَ فِي قَبْرِهِ**»(١).

أي: المبطون الذي هو شهيد، الذي يموت بسبب مرض في بطنه.

- ومنها: من حفظ سورة الملك، وحافظ على قراءتها، فقد أخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنها تشفع له، وأنها تقيه عذاب القبر(٢).

---

(١) رواه النسائي (٢٠٥٢)، وأحمد (١٨٣١٠)، بإسناد صحيح عن سليمان بن صُرد وخالد بن عرفطة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه الترمذي (٢٨٩٠) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بلفظ: «**هِيَ الْمَانِعَةُ، هِيَ الْمُنْجِيَةُ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**». وبنحوه عند الترمذي (٢٨٩١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**». وجاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفا وله حكم الرفع، أخرجه عبد الرزاق (٦٠٢٥) عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يُؤْتَى الرَّجُلُ فِي قَبْرِهِ فَتُؤْتَى رِجْلاَهُ فَتَقُولاَنِ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلَنَا سَبِيلٌ، قَدْ كَانَ يَقْرَأُ عَلَيْنَا سُورَةَ الْمُلْكِ، ثُمَّ يُؤْتَى جَوْفُهُ فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَيَّ سَبِيلٌ كَانَ قَدْ أَوْعَى فِيَّ سُورَةَ الْمُلْكِ، ثُمَّ يُؤْتَى رَأْسُهُ فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ كَانَ يَقْرَأُ بِي سُورَةَ الْمُلْكِ. قَالَ عَبْدُالله: وَهِيَ الْمَانِعَةُ تَمْنَعُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَهِيَ فِي التَّوْرَاةِ هَذِهِ سُورَةُ الْمُلْكِ وَمَنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطْيَبَ. إسناده حسن، وله إسناد آخر صحيح عند عبد الرزاق (٦٠٢٤) بنحوه. فالحديث حسن بهذه الطرق.

وهكذا ما ورد من الأسباب التي تُنجي من فتنة القبر، هي كذلك تُنجي من عذاب القبر.

ومما يتعلق بالقبر ما يحصل للمقبور من ضَمَّةٍ في قبره، وما من أحد يُقبَر إلا ويُضَمُّ في قبره، وقد جاء في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا، نَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ**»(١).

وضمة القبر ليست من عذاب القبر، وإنما هي من الألم الذي يصيب كل مقبور، كالسكرات التي تصيب كل ميت، وكالأهوال التي يجدها كل من يبعث من قبره يجد أهوالاً وألماً لتلك الأهوال وفزعا.

فضمة القبر هي من هذا الباب فليست من العذاب، ولكنه أمر مما ابتلى الله تعالى به العباد، كما ابتلاهم بسكرات الموت، وكما ابتلاهم بغير ذلك من الأمور، فيكون للمؤمن خيراً ورفعةً ودرجاتٍ عند الله سبحانه وتعالى، ويكون في حق الكافر عذابا كما جاء في حديث البراء أنه: «**يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ**»(٢)، وأما المؤمن فليس كذلك، إنما هي ضَمَّةٌ تحصل للمقبور في قبره كما أخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ(٣).

---

(١) رواه أحمد (٢٤٦٦٣).

(٢) رواه أحمد (١٢٢٧١).

(٣) قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩٠-٢٩١): (هَذِهِ الضَّمَّةُ لَيْسَتْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ فِي شَيْءٍ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ يَجِدُهُ المُؤْمِنُ، كَمَا يَجِدُ أَلَمَ فَقْدِ وَلَدِهِ وَحَمِيْمِهِ فِي الدُّنْيَا، وَكَمَا يَجِدُ مِنْ أَلَمِ مَرَضِهِ، وَأَلَمِ

فنسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يقينا عذاب القبر.

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم أصلح وولاة أمورنا، اللهم يسر لهم البطانة الصالحة التي تدلهم على الخير وتعينهم عليه.

اللهم أمِّنَّا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا.

والحمد لله رب العالمين.



=

خُرُوْجِ نَفْسِهِ، وَأَلَمِ سُؤَالِهِ فِي قَبْرِهِ وَامْتِحَانِهِ، وَأَلَمِ تَأَثُّرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وَأَلَمِ قِيَامِهِ مِنْ قَبْرِهِ، وَأَلَمِ المَوْقِفِ وَهَوْلِهِ، وَأَلَمِ الوُرُوْدِ عَلَى النَّارِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذِهِ الأَرَاجِيْفُ كُلُّهَا قَدْ تَنَالُ العَبْدَ، وَمَا هِيَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَلاَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّم قَطُّ، وَلَكِنَّ العَبْدَ التَّقِيَّ يَرْفُقُ اللهُ بِهِ فِي بَعْضِ ذَلِكَ أَوْ كُلِّهِ، وَلاَ رَاحَةَ لِلْمُؤْمِنِ دُوْنَ لِقَاءِ رَبِّهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [سورة مريم:٣٩]، وَقَالَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ [سورة غافر:١٨]. فَنَسْأَلُ اللهَ -تَعَالَى- العَفْوَ وَاللُّطْفَ الخَفِيَّ، وَمَعَ هَذِهِ الهَزَّاتِ، فَسَعْدٌ مِمَّنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَرْفَعِ الشُّهَدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَأَنَّكَ يَا هَذَا تَظُنُّ أَنَّ الفَائِزَ لاَ يَنَالُهُ هَوْلٌ فِي الدَّارَيْنِ، وَلاَ رَوْعٌ، وَلاَ أَلَمٌ، وَلاَ خَوْفٌ، سَلْ رَبَّكَ العَافِيَةَ).

(١٢) الإيمان باليوم الآخر (٤- النفخ في الصور والبعث والنشور)

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، تحدثنا فيما مضى عن بعض الأمور المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر، وإن مما يدخل في الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالنفخ في الصور والبعث من القبور، فإن الله تعالى يرسل في آخر الزمان ريحا تقبض نفس كل مؤمن، كما ورد ذلك في كثير من الأحاديث عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويبقى شرار الخلق، فعليهم تقوم الساعة، وقد زين لهم الشيطان سائر المنكرات، فعبدوا الأوثان وأشركوا بالله وأقبلوا على المحرمات، فعليهم تقوم الساعة، ويكون قيام الساعة أوله بالنفخ في الصور.

والصور كما أخبر نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو قرن ينفخ فيه ملك، قرن وبوق عظيم، جاء في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عند الإمام أحمد (٦٥٠٧)، وأهل السنن[1] أن أعرابيًا قال: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الصُّورُ؟ قَالَ: «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**».

وجاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند أبي يعلى (١٠٨٤)، والترمذي (٢٤٣١) (٣٢٤٣)، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كَيْفَ أَنْعَمُ** -أي: أنعم بالعيش وكيف أهنأ فيه- **وَصَاحِبُ الصُّوْرِ قَدِ الْتَقَمَهُ**»، وفي رواية الترمذي: «**وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ**» أي: وضعه في فمه-، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ». قَالَ الْمُسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، تَوَكَّلْنَا عَلَى اللهِ رَبِّنَا**».

---

(١) أبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠).

فالصور هو قرن عظيم ينفخ فيه ملك من ملائكة الله بين السماء والأرض، وقد جاء في أحاديث أن الذي ينفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام، وأجمع على ذلك أهل العلم.

وينفخ في الصور نفختين، النفخة الأولى يموت منها كل من في السماوات ومن في الأرض إلا من استثناه الله جل وعلا.

والنفخة الثانية يقوم فيها جميع الموتى، يخرجون أحياء ويبعثون من قبورهم ومن أماكن تواجدهم. قال الله سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [سورة الزمر:٦٨]، هذه النفخة الأولى، قال: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [سورة الزمر:٦٨].

وقال الله سبحانه: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [سورة النمل:٨٧]، وهذه النفخة الأولى ثم قال: ﴿وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ٨٧﴾ [سورة النمل:٨٧]، أي: بالنفخة الثانية التي يقوم الناس فيها إلى رب العالمين.

وقال الله سبحانه: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾ [سورة النازعات:٦-٧]، أخرج ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن الحسن البصري وقتادة أنهما قالا: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦﴾ [سورة النازعات:٦]، النفخة الأولى في الصور، ﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾ [سورة النازعات:٧]، هي النفخة الثانية.

فالنفخة الأولى في الصور ينفخ الملك في الصور بين السماء والأرض والناس غافلون غير منتبهين، بل هم في أمور دنياهم كما جاء في الصحيحين[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أخبر أن الساعة تقوم والناس غافلون، فمنهم من نشر ثوبه لمن يشتريه منه فلا يتمان البيع، ومنهم من حلب لقحته -أي من اللبن- فلا يسقيه أهله حتى تقوم الساعة، وهكذا هم في أشغالهم، منهم من يعمل في عمله ويصلح حوض إبله، فتقوم الساعة وهو كذلك. فينفخ النفخة الأولى في الصور وأول ما يسمعها الناس يفزعون، ما هذا الصوت الذي يسمعون؟

وبعد هذا الفزع يكون الصعق، وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة النمل:٨٧]. جاء في حديث عبدالله بن عمرو في صحيح الإمام مسلم (٢٩٤٠ -١١٦-)، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا**».

واللَّيت هو صفحة العنق، أي أنه يميل عنقه يستمع، فتميل صفحة من العنق وترتفع الأخرى، يتسمع ما هذا الصوت؟ «**لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ** -أي: يطينه ويصلحه-، **فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ**». فهذه النفخة الأولى: نفخةٌ يموت بها كل من في السماوات وكل من في الأرض إلا من

---

(١) البخاري (٧١٢١)، ومسلم (٢٩٤٠ -١١٦-).

استثنى الله، فإن الله تعالى قال: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [سورة الزمر:٦٨].

جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الحاكم (٣٠٠٠)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل جبريل قال: «**يا جبريل، من الذين استثناهم الله في هذه الآية؟**». قال: هم الشهداء عند الله عز وجل.

فالشهداء لا يموتون وهم أحياء، وعند النفخ في الصور يموت كل من في السماوات ومن في الأرض إلا الشهداء.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (أيضاً ممن لا يشمله الموت؛ من في الجنة، من الحور العين، والولدان الذين خلقوا للبقاء ولم يخلقوا للموت).

وهكذا قال بعض أهل العلم ممن لا يشمله ذلك: جبريل وميكائيل وإسرافيل الذي هو النافخ في الصور وملك الموت. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا يمكن الجزم بكل من استثناه الله جل وعلا، فممن استثناه الله الشهداء، وممن يدخل في ذلك من في الجنة ممن خلقوا للبقاء ولم يخلقوا للموت، كالحور العين والولدان ونحوهم. فهذه النفخة الأولى نفخة الصعق.

وبين النفخة الأولى والنفخة الثانية مدة من الزمان لا نعلمها، جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥ -١٤١-)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**»، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ:

أَبَيْتُ. أي: لا أخبركم وليس عندي علم بذلك. قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. فبين النفختين أربعون.

جاء في حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وجاء أيضاً في قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن أبي شيبة (٣٧٦٣٧)، بسند صحيح، أنه في هذه المدة بين النفخة الأولى وبين النفخة الثانية يُنزل الله تعالى مطراً من السماء كأنه الطَّلُّ كذا جاء في حديث عبدالله بن عمرو، وقال ابن مسعود: (ينزل الله مطراً من السماء كمني الرجال، تنبت منه أجسادهم ولحومهم).

وذلك النبات الذي تنبت منه أجسادهم يكون من عَظْمٍ يسير في أسفل الصلب، ويسمى: عَجْب الذنب، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في الصحيحين[1] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

فبعد النفخة الأولى وقد مات الجميع وقد فنيت أجسادهم ولم يبق إلا هذا العظم اليسير الذي هو عجب الذنب الذي ينبت منه جسد الإنسان كما تنبت الشجرة والزرع من الحبة، ينزل الله مطراً فتنبت الأجساد وتنبت منه لحومهم.

---

(١) البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥ -١٤١-).

ثم تأتي النفخة الثانية، وقد نبتت تلك الأجساد ولكنها لم يكن فيها حياة، أجساد لا أرواح فيها، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فيقوم ملك بين السماء والأرض فينفخ النفخة الثانية فتعود كل روح إلى جسدها، ويقومون لرب العالمين).

النفخة الثانية نفخة القيام ليس بعد النفخة الثانية إلا البعث والحشر في أرض المحشر والحساب والجزاء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَٰقِعَةُ ١٥﴾ [سورة الحاقة:١٣-١٥]، وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [سورة المؤمنون:١٠١]، وقال الله سبحانه: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ١٠٢ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣﴾ [سورة طه:١٠٢-١٠٣]، كل هذا في النفخة الثانية التي يعقبها قيام الناس لرب العالمين.

فهاتان النفختان اللتان تكونان في الصور، نفخة يموت منها كل الخلائق إلا من استثنى الله جل وعلا، ونفخة أخرى تعاد فيها الأرواح إلى أجسادها فيقومون لرب العالمين سبحانه وتعالى.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، فإذا كانت النفخة الثانية وعادت الأرواح إلى أجسادها فهنالك يقومون لرب العالمين سبحانه وتعالى، هنالك يبعثون من أماكنهم، من كان في القبور يبعث من القبور، ومن غرق في البحار يبعث من البحار، ومن أكلته السباع يبعث من مكانه الذي هو فيه، فكلٌّ يُبعث لرب العالمين سبحانه، من مكانه الذي هو فيه.

والبعث حق لا ريب فيه أجمعت الأمم على الإيمان به، إنما أنكر البعث المشركون في زمن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهكذا تبعهم الفلاسفة الذين هم من أهل الكفر، وأما سائر الأمم من المسلمين وغيرهم من الأمم كاليهود والنصارى فهم يُقِرُّون ببعث الأجساد.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة يس:٧٧-٧٩]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [سورة العنكبوت:١٩]، وهكذا أخبر الله تعالى عن إنكار الكفار ورد عليهم، بقوله: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ﴾ [سورة التغابن:٧]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ [سورة سبأ:٣]، وقال الله سبحانه: ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ﴾ [سورة يونس:٥٣] أي: البعث والخروج من القبور هل هو حق؟ ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٥٣﴾ [سورة يونس:٥٣]، فالبعث والخروج لأرض المحشر حق لا ريب فيه، وقد تكرر ذكره في القرآن وأبطل الله تعالى مقالة المشركين الذين كانوا يكذِّبون به.

فالبعث حق لا ريب فيه، والبعث كما أخبر النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يكون في يوم الجمعة، بل النفخة الأولى والثانية تكون في يوم الجمعة، جاء في حديث أوس بن أبي أوس، ويقال: أوس بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، عند الإمام أحمد (١٦١٦٢)، وأبي داود (١٠٤٧)، أن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ**».

قال أهل العلم: «**النفخة**» أي: النفخة الثانية التي هي نفخة البعث، «**وفيه الصعقة**» أي: النفخة الأولى التي فيها يصعق الناس ويموتون.

وجاء عند الإمام أحمد (١٠٣٠٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ بسند صحيح، أن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا**

وَهِيَ مُسِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ». ما من دابة في يوم الجمعة إلا وتكون مُسِيخَةٌ أي: خاضعة خاشعة خائفة منذ أن تصبح عند طلوع الفجر إلى أن تطلع الشمس، وهي تخاف وتشفق أن تكون الساعة، إلا الجن والإنس.

فالنفخة الأولى في الصور التي فيها الصعق تكون في يوم الجمعة، والنفخة الثانية في الصور التي فيها يبعث الناس من قبورهم وقيامهم لرب العالمين تكون في يوم الجمعة.

وهكذا أخبرنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه أول من يبعث وأول من ينشق عنه القبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في صحيح مسلم (٢٢٧٨ -٣-)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ**». فلا يقوم أحد قبله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إكراماً من الله سبحانه وتعالى له، ثم تنشق القبور عن سائر الخلق، وقد نبتت أجسادهم فيخرجون من قبورهم، كما ذكر الله تعالى في صفتهم كيف يحشرون مما سيأتي ذكره -إن شاء الله-، فهذا النفخ في الصور والبعث من القبور الذي هو من الإيمان باليوم الآخر، الذي هو أحد أركان الإيمان.

فنسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم أمِّنَّا في أوطاننا. اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا. اللهم يسر لهم البطانة الصالحة التي تدلهم على الخير وتحضُّهم عليه.

اللهم أعِنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١٣) الإيمان باليوم الآخر (٥- الحشر)

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لا زال حديثنا عن الركن السادس من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر، وكان آخر ما ذكرنا: الإيمان بالنفخ في الصور وبعث الناس من القبور.

وبعد بعثهم من قبورهم يحشرون إلى موضع واحد، فإن الناس جميعاً موتى إلا من استثنى الله، فقد مات من في السماوات ومن في الأرض بالنفخة الأولى في الصور ولم يبقى إلا من استثنى الله جل وعلا.

وبعد هذه النفخة يُنزل الله تعالى مطراً من السماء، جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند ابن أبي شيبة (٣٧٦٣٧)، أنه مطرٌ كَمَنِيِّ الرجال. فتَنبُت منه أجساد الناس سواء الذين هم في القبور أو الذين في الشعاب والجبال والبحار، تَنبُت أجسادهم كما يَنبُت الزرع، فإذا تكامل نبات تلك الأجساد وتَمَّتْ نَفَخَ صاحب الصور وهو إسرافيل عليه السلام النفخة الثانية فتعاد الأرواح إلى الأجساد، فهنالك يقومون من قبورهم ويُجمَعون من كل الأرض إلى موضع واحد، لأن الناس يموتون متفرقين ويدفنون حيث يموتون، فإذا كان يوم القيامة الذي هو يوم الحشر فإنهم يحشرون من كل الأرض، ويُجمعون في موضع واحد.

تتشقق الأرض عن الذين في القبور كما تتشقق الأرض لخروج النبات، قال الله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة ق:٤٤]، وقال الله سبحانه: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة القمر:٦-٧]، كأنهم جراد يموج

بعضه في بعض، وينتشر في الأرض، وقال الله سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩﴾ [سورة الكهف:٩٩].

فيُجمع الناس إلى أرض المحشر يخرجون من قبورهم متوجهين نحو الداعي ﴿مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ﴾ [سورة القمر:٨] أي: مسرعين إليه ﴿يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ٨﴾ [سورة القمر:٨]، ويخرجون من قبورهم كما أخبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **حُفَاة** -ليس عليهم نعال-، **عُرَاة** -ليس عليهم ثياب-، **غُرْلاً** -غير مختونين-، **بُهْمًا** -لا يملكون شيئًا من أموالهم-، مُشَاة على أقدامهم ليسوا راكبين، قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في حديث عائشة في الصحيحين(١): «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا عَائِشَةُ، الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**». أي: لا يبالون بهذا الأمر لشدة ما يرون.

وهكذا جاء في الصحيحين(٢)، عن ابن عباس أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**». ثُمَّ قَالَ: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾ [سورة الأنبياء:١٠٤]. ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ...».

---

(١) البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩ -٥٦-).

(٢) البخاري (٤٦٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠ -٥د٨-).

فيُحشر الناس كما ذكر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من حالهم حفاة عراة غرلا لا يملكون بأيديهم شيئا كما بدأ الله تعالى خلقهم، وأول من يكسى من الخلائق: إبراهيم، إكراماً له.

تُحشر كل نفس ومعها سائق يسوقها إلى الله سبحانه وتعالى، ومعها شهيد يشهد عليها، أي: من الملائكة، قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١﴾ [سورة ق:٢٠-٢١]، يحشر أهل الإيمان في كرامة وتعظيم كالوفد الذي يُستقبَل بالحفاوة، ويحشر أهل الإجرام على العكس من ذلك، قال الله سبحانه: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ٨٦﴾ [سورة مريم:٨٥-٨٦]، أي: عطاشا شديدي العطش، فأهل الإيمان وأهل التقوى يحشرون في كرامة كأنهم وَفْدٌ يَقدَم على من يحبهم، وأهل الإجرام يحشرون ذليلين خاسئين.

يُحشر الناس على أرض غير هذه الأرض، وتحت سماء غير هذه السماء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨﴾ [سورة إبراهيم:٤٨].

جاء في حديث سهل بن سعد في الصحيحين[1] أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ**». أي: كقرص الخبز

(١) البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠ -٢٨-).

من الدقيق الأبيض النقي «**لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ**»، أي أنها مستوية ليس فيها بيت ولا جبل ولا شجر.

وجاء في الصحيحين[١] عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَكْفَؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ**».

هذه الأرض تكون في قبضة الملك سبحانه وتعالى، وهذه السماوات تُطوى كما يُطوى الكتاب، قال الله سبحانه: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [سورة الزمر:٦٧]، وقال الله سبحانه: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الأنبياء:١٠٤].

استشكل بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فسألوا النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إذا كانت الأرض في قبضة الملك والسماوات مطويات بيمينه، وإذا كانت الأرض ستُبَدَّل غير هذه الأرض والسماء تبدل غير هذه السماء، فأين يكون الناس؟ أين يكون الناس الذين خرجوا من قبورهم من لدن آدم إلى آخر من يوجد من البشر؟ فأجابهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك، فقد جاء في صحيح مسلم (٢٧٩١ -٢٩-)، عن عائشة

---

(١) البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢ -٣٠-).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قلت: يا رسول الله أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**عَلَى الصِّرَاطِ**»، أي: على صراط جهنم.

وجاء في صحيح مسلم (٣١٥ -٣٤-)، عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جاءه يهودي فسأله عن أسئلة، ومنها هذا السؤال، قال: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ قال: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ**».

وجاء عند الإمام أحمد (٢٤٨٥٦)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها سألت النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يا رسول الله أين يكون الناس يوم تكون الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطوية بيمينه؟ قال: «**هُمْ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ**».

فتُبَدَّل الأرض كما أخبر الله سبحانه وتبدل السماء والناس يكونون على جسر جهنم، وهذا يدل على أنه جسر عظيم، جسر لا يَقْدُرُ قَدْرَهُ إلا الله سبحانه وتعالى، إذا كان الناس جميعًا يكونون عليه، فهذا يدل على أنه شيء عظيم.

وللسلف قولان في تبديل الأرض: هل تُبَدَّل الأرض بعينها غير هذه الأرض والسماوات كذلك؟ أو تبدل صفاتها وتبقى هي بعينها؟

وظاهر كلام الله وكلام الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنها تبدل بعينها لأن هذه الأرض تكون في قبضته سبحانه، والسماوات تطوى بيمينه.

جاء في الصحيحين[١] عن أبي هريرة أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**». فيكون الناس على هذه الأرض التي ذكر الله سبحانه وتعالى ما شاء الله أن يكونوا عليها، ثم يكونون على الأرض التي بُدِّلت.

يجتمع الجن والإنس والحيوانات والبهائم والطيور، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الأنعام:٣٨]، يحشر الجميع إلى الله سبحانه وتعالى.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾ [سورة التكوير:٥].

ويُحشَر كل صنف مجموعا إلى صنفه، أهل الإيمان مع أهل الإيمان، وأهل الإجرام مع أهل الإجرام، يكون اليهود مع اليهود، والنصارى مع النصارى، والمنافقون مع المنافقين، وعبدة الأوثان مع عبدة الأوثان، وأهل الإيمان مع أهل الإيمان، ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة يس:٥٩]، أي: تميزوا عن المؤمنين ولا تكونوا في أوساطهم، وقال الله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [سورة الصافات:٢٢]، أي: أشكالهم وأمثالهم ومن هو على طريقتهم كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ [سورة التكوير:٧]، أي: جُمع كل صاحب عمل إلى صاحبه،

---

(١) البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧ -٢٣-).

جمع كل صاحب عقيدة إلى صاحبه، ويكونون كذلك كما شاء الله سبحانه في هذا الموقف العظيم موقف القيامة الذي هو يوم الحشر.

فإذا تكامل عدد الناس وتم اجتماعهم من كل مكان في هذه الأرض نزلت الملائكة من السماء فأحاطت بهم، كما أخبر الله سبحانه أنهم يحيطون بهم من كل جهة، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر:٢٢] أي: يحيطون بالناس.

فإذا كان كذلك فهناك مجيء الجبار سبحانه وتعالى لفصل القضاء بين العباد، فتشرق الأرض بنوره، ويحضر الشهود، ويوضع الكتاب، ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة الزمر:٦٨-٦٩]، فيكونون في ذلك الموقف لفصل القضاء بينهم من الله سبحانه وتعالى، ويكونون في ذلك الموقف ما شاء الله.

أخبر الله تعالى عن طولِ هذا اليوم، أخبر الله في آيات أن مقداره ألف سنة، وأخبر الله تعالى في آيات أن مقداره خمسون ألف سنة، قال بعض أهل العلم: يكون على الكافر أشد من كونه على المؤمن، فالكافر إذا رآه ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [سورة القمر:٨]، وقال الله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [سورة المدثر:١٠]، أي: هذا

اليوم العظيم، فقال بعض العلماء: يكون على الكافرين كخمسين ألف سنة، ويكون على أهل الإيمان كألف سنة.

وتدنو الشمس من الخلائق، ويعظم الكرب، ويشتد الحال الذي هم فيه، ويأتون إلى الأنبياء يستشفعون بهم، يريدون أن الله سبحانه وتعالى يقضي بينهم ويعجل لهم بذلك حتى يستريحوا مما هم فيه من العناء، وهذا كما أخبر الله تعالى وكما أخبر نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الشدة يومئذ تكون على أهل الكفر، وأما أهل الإيمان فهم في كرامة الله وفي ظل الله سبحانه وتعالى، وفي فضل عظيم من الله يستبشرون ويفرحون بما يرون من أعمالهم كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أيها الناس، جاء عند الإمام أحمد (٤٨٠٦) والترمذي (٣٣٣٣) عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ:** ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [سورة التكوير:١]، **وَ**﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ [سورة الانفطار:١]، **وَ** ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [سورة الانشقاق:١]».

من أراد أن يرى يوم القيامة كأنه يراه الآن؛ فليقرأ أوائل هذه السور التي بيّن الله تعالى فيها أحوال يوم القيامة وما يكون فيه، حتى كأنَّ القارئ لها يشاهده.

قال الله سبحانه: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [سورة التكوير:١-٢].

ومعنى ﴿كُوِّرَتْ ۝١﴾ [سورة التكوير:١] التكوير معناه: لَفُّ الشيء بعضه إلى بعض كما تُكوَّر العمامة على الرأس، ومعنى تكوير الشمس والقمر: أن تلف، يلف بعضها إلى بعض ثم ترمى في نار جهنم.

جاء في صحيح البخاري (٣٢٠٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

وليس تكويرُهما في النار تعذيبا لهما، فإن الشمس والقمر ليسا مكلفَينِ، وأيضاً هما في طاعة الله تسجد لله وتمتثل أمره، ولكن تكويرهما في النار؛ كما قال أهل العلم: لتكون من ضمن عذاب أهل النار فيعذبون بشدة إحراق الشمس وما فيها كما يعذبون بسائر ما في النار.

وقال بعض العلماء: إنهما يكوران في النار تقريعا وتبكيتا لمن عبدهما في الدنيا، أي: هذه المخلوقات التي عبدتموها من دون الله تكون معكم في النار تعذبون بها.

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [سورة التكوير:٢] أي: تناثرت وتساقطت ولم يبق منها شيء في السماء.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ [سورة التكوير:٣] تُسيَّر كما قال الله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ [سورة النمل:٨٨] أي: يوم القيامة ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾ [سورة النمل:٨٨]، فالجبال تسير.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ [سورة التكوير:٤]، والعشار هي النوق الحوامل التي بلغت في حملها الشهر العاشر، والتي هي من أشد ما يكون الناس حرصا عليها في الدنيا، ففي ذلك اليوم لا يلتفت أحد إليها لأن الكل مشغول بحاله والكل مشغول بما يصير إليه، فتُعطَّل العشار ولا يلتفت إليها أحد.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [سورة التكوير:٥]، كل الوحوش تُحشر يوم القيامة، وتحشر كل البهائم «**حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»، وحتى يُقْتَصَّ للوحوش بعضها من بعض، ثم تكون ترابا.

ويكون الجزاء والحساب على المكلفين من الإنس والجن.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [سورة التكوير:٦]، ومعنى ﴿سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [سورة التكوير:٦] أي: أُشعلت نارا، تصير هذه البحار يوم القيامة نيرانا تحترق وتخرج منها نار، كما جاء في أحاديث أن نارا تخرج من قعر بحر عدن، فهذه البحار تصير كما أخبر الله نارا.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ [سورة التكوير:٧] أي: جُمع كل قرين إلى قرينه، جُمع كلُّ صاحب عمل إلى صاحبه ومثيله، فيكونون سويا ويتميز أهل الإيمان عن أهل الإجرام.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [سورة التكوير:٨-٩]، الموءودة هي الطفلة التي كانت تُدفَن حَيَّةً في الجاهلية، قال أهل العلم: تُسأل الموؤودة وهي مظلومة؛ فإذا كانت تُسأل وهي المظلومة فكيف بالظالم؟!

وقال بعض العلماء: إن معنى سئلت في هذه الآية أي: سَألت، تَسأل ما هو سبب قتلها؟ وما هو سبب دفنها حية؟ حتى يُجاء بقاتلها، فيُسأل عن ذلك.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ [سورة التكوير:١٠]، صحائف الأعمال التي فيها الخير والشر تُنشر وتتطاير وتصير في أيدي العباد.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١﴾ [سورة التكوير:١١] أي: تُزال ويُذهَب بها كما يكشط الشيء فيزال عن موضعه.

﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢﴾ [سورة التكوير:١٢]، أي: أُضرمت وأُشعلت نيرانها وعظم فيها ذلك.

﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣﴾ [سورة التكوير:١٣]، أي: قُرِّبت من أهلها وأُظهرت لهم ليروها، فإن أهل الجنة يرون الجنة وهم في أرض المحشر، تبشيرا من الله تعالى لهم، ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣﴾ [سورة التكوير:١٣]، قال الله تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾ [سورة التكوير:١٤]، أي: في ذلك الموقف وعند أن ترى هذه الأمور تعلم كل نفس ما أحضرت من الأعمال وما قدمت من خير وشر.

وقال الله تعالى في السورة التي بعدها: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١﴾ [سورة الانفطار:١]، انفطرت أي: تشقَّقت.

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢﴾ [سورة الانفطار:٢]، أي: تساقطت، ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣﴾ [سورة الانفطار:٣]. أي: فُجِّرَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ فَفَاضَتْ وَاخْتَلَطَ الْعَذْبُ بِالْمِلْحُ فَصَارَتْ بَحْرًا وَاحِدًا.

﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤﴾ [سورة الانفطار:٤]، أي: حُرِّكَت وأُخرِج ما فيها من المقبورين الذين دفنوا في الأرض.

قال الله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ [سورة الانفطار:٥]، أي: في ذلك الموقف وعند أن ترى هذه الأمور تعلم كل نفس ما قدمت من خير وشر.

وقال الله تعالى في السورة التي بعدها: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [سورة الانشقاق:١]، وانشقاقها هو بمعنى انفطارها، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾ [سورة الانشقاق:٢]، أذنت، أي: استمعت لأمر الله، فالله تعالى أمرها بالانفطار والتشقق فاستمعت أمر الله واستجابت له ولم تتخلف عنه، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾ [سورة الانشقاق:٥] أي: حُقَّ لها ذلك أن تأذن لأمر الله وأن تمتثل أمره سبحانه.

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾ [سورة الانشقاق:٣]، جاء في الحديث عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنها تمد مَدَّ الأديم[1]. أي كما يُمَدُّ الجلد، فتصير مستوية ممتدة ليس فيها جبل ولا بيت ولا شجر ولا عَلَمٌ لأحد.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤﴾ [سورة الانشقاق:٤]، ألقت ما في بطنها من بني آدم الذين دُفنوا في داخلها، وتخلت عنهم وتركتهم لأمر الله سبحانه وتعالى، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾ [سورة الانشقاق:٥] أي: امتثلت أمر الله تعالى، وانقادت لما أمرها به، ومنه: أن تُخرِج ما في بطنها ممن قُبِر فيها، تخرجهم في ذلك اليوم.

فهذه السور الثلاث، كما قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تصف يوم القيامة وكأن الإنسان ينظر إليه رأي عين، ويشاهد الذي يكون فيه، وما يبلغ الناس فيه من الشدة

---

(١) رواه أحمد (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٤٠٨١)، عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وإسناده ضعيف.

والهول والكرب مع كل هذه التغيرات وهم يرونها بأعينهم، يرون ذلك بأعينهم بعد أن يخرجوا من قبورهم، ولذا قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾ [سورة الحج:١-٢]، من شدة هذا الأمر وصف الله تعالى الناس كأنهم سكارى، ووصفهم في آية أخرى ﴿كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧﴾ [سورة القمر:٧]، أرأيت الجراد حين يخرج من موضع وينتشر بعضه في بعض، فيكون الناس يوم القيامة على هذا الحال.

فنسأل الله تعالى السلامة والعافية.

ونسأل الله جل وعلا أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان. اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا. ربنا اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين.

(١٤) الإيمان باليوم الآخر (٦- الحوض)

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لا زال حديثنا عمَّا يتعلق بالإيمان باليوم الآخر، فمن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالحوض الذي وعده الله نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والحوض يكون يوم القيامة في أرض المحشر إذا خرج الناس من قبورهم، وجُمعوا في أرض المحشر كان الحوض هنالك يَرِدُون عليه، وقد دلت على إثباته الأدلة الكثيرة، ورواها عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أكثرُ من خمسين صحابياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فيها ذِكْرُ الحوض أو ذكر صفاته أو ذكر شيء مما يتعلق به.

وقد أجمع السلف على الإقرار به وإثباته، وإنما أنكره بعض أهل البدع والضلال، كالخوارج وبعض المعتزلة وأمثالهم، وأما أهل السنة فأجمعوا على الإيمان به وإثباته، كما أخبر به نبيهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والحوضُ غيرُ الكوثر، فالكوثرُ نهرٌ في الجنة، والحوضُ يكون في أرض المحشر قبل أن يصير أهل الجنة إلى الجنة، وما جاء في بعض الأحاديث أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سمى الحوض كوثرا فإنما أطلق عليه ذلك لأن الحوض أصلُه من الكوثر، فالماء الذي في هذا الحوض هو من نهر الكوثر الذي في الجنة، فلأجل ذلك سماه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كوثرا.

أيها الناس، هذا الحوض الذي نؤمن به أخبرنا النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن صفاته في أحاديث كثيرة، فأخبرنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن طوله مسيرة شهر، وأن عرضه مسيرة شهر، وأن زواياه سواء، وأن ماءه أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وريحه أطيب من ريح المسك، وأن فيه ميزابين يمدَّانه بالماء من الجنة، وأن آنيته من

الذهب والفضة، وأنها كنجوم السماء، أي: في كثرتها وحسنها، فآنيته في الكثرة ككثرة نجوم السماء، بل جاء في بعض الروايات في صحيح مسلم (٢٣٠٠ -٣٦-)، (٢٣٠٣ -٣٩-، -٤٣-)، أنها أكثر من نجوم السماء، وكذلك هي في جمالها وحسنها وتلألؤها كجمال نجوم السماء، كما صح ذلك عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهكذا من صفته: أن من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا، فكل من ورد هذا الحوض وشرب منه زال ظمؤُه وانقطع عطشُه إلى الأبد، وما يشربه بعد ذلك إنما يشربه تلذذا كما يكون في الجنة لأهل الإيمان.

وهكذا مما نؤمن به مما يتعلق بالحوض: أنه يكون بعد الخروج من القبور قبل المرور على الصراط، فإن الناس إذا مروا على الصراط لم يكن بعد ذلك إلا الجنة، من سقط في النار ممن شاء الله أن يسقط من على الصراط سقط، ومن نجى كان من أهل الجنة، وأما الحوض فقد أخبر نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه يذاد عنه أناس إلى النار، وهذا يقتضي أنه قبل المرور على الصراط، وهكذا المعنى يقتضي ذلك فإن الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فإذا خرجوا كذلك وردوا الحوض فشربوا منه تكرمة من الله تعالى لمن شاء إكرامه بذلك.

ومما يكون على هذا الحوض أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يكرم أمته ويظهر فضلها فيقدمهم في الشرب على غيرهم، جاء في صحيح مسلم، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٢٤٦ -٣٧-)، وعن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٢٤٨ -٣٨-)، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنِّي لَأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الْإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ**».

أي: أُبْعِدُ الناس عنه من سائر الأمم كما يُبْعِدُ الرجل الإبل الغريبة عن إبله إذا أوردها لسقيها. قالوا: يا رسول الله وتعرفنا من بين الناس؟ قال: «**نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا**» أي: علامة ليست لأحد من الأمم، «**تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ، مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ**».

والغُرُّ مأخوذ من الغُرَّة، والغرة بياض في جبهة الفرس أي: تردون عليّ ووجوهكم بيضاء فيها غُرة في جباهكم كما يكون في غرة الفرس، «**مُحَجَّلِينَ**» والتحجيل هو بياض القوائم؛ اليدان والرجلان، تكون بيضاء من آثار الوضوء، فتكون هذه علامة لهذه الأمة يعرفهم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من بين سائر الأمم.

قال أهل العلم: يذود النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سائر الأمم عن حوضه ليس بخلا بالماء ومنعا لسائر الأمم من السقيا، ولكن يفعل ذلك إرشادا لهذه الأمم إلى أحواض أنبيائهم، وهذا عند من يقول بإثبات الأحواض للأنبياء، وأنه بذلك يُرشِدُهم إلى أحواض أنبيائهم، فيكون ذلك من إنصافه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومحبته الخير لسائر الأنبياء حيث أنه يرشد أممهم إليهم، أو أنه يذودهم ويُبعِدُهم عن أمته لتبدأ أمته بالشرب قبل سائر الأمم تكرمةً لها، وهذا عند من يقول إن الحوض خاص بنبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وهكذا ورد أن نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُكرِم أهل اليمن على حوضه، فكما يكرم أمته ويقدمهم بالشرب ويذود الناس عنهم كذلك جاء في صحيح مسلم (٢٣٠١ -٣٧-)، عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي** -أي: قائم حوله-، **أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ، أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ**».

قال أهل العلم: أهل اليمن بادروا بنصرة الإسلام وكانوا المتقدمين على غيرهم في ذلك، فالأنصار الذين آووا نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ونصروه هم من اليمن، وهكذا من جاء بعدهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من أهل اليمن، أو جاء في زمن الخلفاء الذين قال فيهم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنِّي أَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ**»(١) أي: تنفيسه عن المؤمنين وتفريجه الكربات عنهم كان على أيدي رجال من أهل اليمن، فكما تقدموا بنُصْرَةِ الدين وبادروا إلى نصرة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أكرمهم الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بتقديمهم قبل غيرهم في الشرب من حوضه؛ إكراما لهم ومجازاة لهم بحسن صنيعهم وما قدموه فقال: «**إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ، أَضْرِبُ بِعَصَايَ -أي: على الحوض- حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ**». أي: حتى يسيل عليهم ذلك الماء.

أيها الناس، هذه بعض أوصاف حوض نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي وعده الله عز وجل إياه. والحوض مخلوقٌ وموجودٌ الآن، أخبرنا نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في زمنه أنه موجود، ففي الحديث المتفق عليه،(٢) عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ**».

وجاء في الصحيحين(٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا بَيْنَ مِنْبَرِي وَبَيْتِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**».

---

(١) رواه أحمد (١٠٩٧٨)، والطبراني في الأوسط (٤٦٦١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦ -٣٠-)، عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) البخاري (١١٩٦)، ومسلم (١٣٩١ -٥٠٢-).

وقوله: «**مَا بَيْنَ مِنْبَرِي**» أي: الذي كان في مسجده، «**وَبَيْتِي**» أي: المسافة التي بين منبره وبين بيته، «**رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**» أي: أنها بقعة من الجنة وإن كانت في الدنيا، وهي التي تسمى اليوم عند الناس بالروضة، التي هي في مقدمة المسجد النبوي، وهي بين بيته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذي قُبِرَ فيه وبين منبره الذي هو في موضعه لم يُغَيَّر عن مكانه من زمانه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى يومنا هذا، ثم قال: «**وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**»، قال أهل العلم: معنى قوله: «**وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**» على الحقيقة، أي: أن منبره ذلك الذي في ذلك الموضع هو على حوضه الذي في أرض المحشر.

وقال بعض أهل العلم: إن معنى قوله: «**وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**» أي: أن هذا المنبر الذي كان يخطب عليه يوجد يوم القيامة على حوضه ليقوم عليه فيخطب الناس ويدعوهم كما كان يخطب عليه في الدنيا.

فنؤمن كما أخبرنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن هذا الحوض موجود ومخلوق الآن، كما أن الجنة موجودة ومخلوقة الآن، وكما أن النار موجودة ومخلوقه الآن، فكذلك الحوض وما شاء الله أن يُوجِدَه مما أخبر به نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، إن هذا الحوض من إكرام الله جل وعلا لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن إكرام الله جل وعلا لمن شاء من الناس ممن يردون عليه، فمن ورده فهو كرامة من الله تعالى له، ومن صُرِفَ عنه فهو عقوبة من الله تعالى له.

وقد أخبرنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن طوائف من الناس يُطرَدون عن الحوض ويُبعَدون عنه عقوبة من الله تعالى لهم.

فممن أخبرنا نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يُطرَد من حوضه:

١- المرتدون، الذين دخلوا في الإسلام ثم ارتدوا عنه، الذين عاشوا فترة من الزمان على الإسلام ثم كفروا بدين الإسلام، فيطردون ويُبعدون عن حوض نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. جاء في صحيح البخاري (٦٥٨٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وبنحوه في صحيح البخاري عن أسماء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ؛ إِذَا زُمْرَةٌ** -أي جماعة من الناس-، **حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ، خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ. فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِ. قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ...**».

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**» فأقول: «**إِنَّهُمْ مِنِّي**»، **فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: «سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»**.

وفي صحيح مسلم عن عَائِشَةَ وأسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالتا: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، فَوَاللهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»**.

فكل من دخل في الإسلام ثم ارتد عنه، وبدَّله بغير الإسلام -فكما أنه يكون من أهل النار المعذبين فيها- فإن الله يعاقبه بحرمانه من الشرب من هذا الحوض، ويُطرَد عنه وهو في أمَسِّ الحاجة إليه.

كذلك ممن يُطرَد عن الحوض يوم القيامة:

٢- أهل البدع والأهواء، الذين أحدثوا في هذا الدين، الذين غيروا وبدلوا ما كان عليه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وما كان عليه سلف هذه الأمة، جاء في صحيح مسلم (٢٤٩ -٣٩-) (٢٢٩٥ -٢٩-)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ. فَأُنَادِيهِمْ: يَا رَبِّ، هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُجِيبُنِي مَلَكٌ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي**».

وجاء في صحيح البخاري (٧٠٥٠)، عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا، لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**». أي: يُصرَفون ويُبعَدون عن حوض الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، «**فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، فيقال: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي**».

فكل من أحدث في الدين، وكان من أهل البدع الضالين، يعاقبه الله بصرفه عن هذا الحوض وإبعاده عنه؛ كما صُرِف في هذه الدنيا عن سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتِّباعه والتزام هديه، كذلك يُصرَف في الآخرة عن الورود على حوضه والشرب منه، وهذا مما يبين للمسلم خطر البدع والإحداث في الدين وأن عقوبتها ليست باليسيرة في الدنيا وفي الآخرة.

كذلك ممن يطردوا ويبعدوا عن حوض النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

٣- الأئمة الظالمون الذين يظلمون الناس، أي: من كان ظالما من أولي أمرهم يظلمهم ويشق عليهم، وهكذا يهدي بغير هدي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويستّنُّ بغير سنته، وكل من أعانهم على فعلهم ذلك وصدقهم على كذبهم الذي يكذبون.

جاء في الحديث عن جماعة من الصحابة، أخرجه الإمام أحمد (١٥٢٨٤)، عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والترمذي (٦١٤)، وغيره عن جابر بن عبد الله وعن كعب بن عجرة أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ، أُعِيذُكَ بِاللهِ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ**». قَالَ: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أُمَرَاءُ سَيَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي، مَنْ دَخَلَ**

عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِحَدِيثِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَرِدُوا عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِحَدِيثِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَأُولَئِكَ يَرِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ».

فكل من كان من الأمة الظالمين الذين يشُقُّون على الناس، والذين يَهْدُون بغير هدي الرسول ويستَنُّون بغير سنته، وهكذا كل من أعانهم على ما هم عليه من الظلم وصدقهم بالكذب الذي هم عليه؛ يعاقبه الله يوم القيامة بأن يُصرَف عن حوض نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حين يرده الناس ويشربون منه وهم في أمس الحاجة إليه، فيصرف الله عنه أناسا، منهم من ذكر في هذه الأحاديث.

فعلى المسلم أن يجتنب هذه الأسباب التي تحول بينه وبين الورود على حوض نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فالإيمان بالحوض هو من الإيمان باليوم الآخر، وهو مما دلت عليه الأدلة الكثيرة المتواترة عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فنسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعلنا ممن يرد حوض نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويشرب منه.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين.



(١٥) الإيمان باليوم الآخر (٧- الحساب)

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لا زال حديثنا عما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر الذي هو أصل من أصول الإيمان، فمن الإيمان باليوم الآخر: **الإيمان بالحساب**.

ومعنى الحساب: أن يُوقِف اللهُ سبحانه وتعالى عباده على أعمالهم، ويطلعهم على ما قدموه من خير وشر قبل أن ينصرفوا من أرض المحشر، ويكون هذا لكل المخلوقين من المسلمين والكافرين، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾ [سورة المجادلة:٦]، فإنباؤهم بما عملوا وإطلاعهم على ذلك مع ما يقترن به هذا هو الحساب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥﴾ [سورة الغاشية:٢٥]، أي: رجوعهم، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [سورة الغاشية:٢٦]، وهكذا يقول الله سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة:٦-٨]، وقال الله سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [سورة الحاقة:١٨].

فالعباد يعرضون على الله سبحانه وتعرض عليهم أعمالهم، جاء في الصحيحين[(١)] عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ**» أي: أنه يكلمه مباشرة، «**فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا**

(١) البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦ -٦٧-).

قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

فهذا الحديث يبين فيه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه ما من أحد من المكلفين إلا سيعرض على الله تعالى وسيكلمه ربه عز وجل، وأنه لا يرى في ذلك الموقف إلا ما قدمه، يطلعه الله سبحانه وتعالى عليه.

وقد جاء في الأدلة أن الحساب نوعان:

١- حساب المؤمنين.

٢- وحساب الكافرين.

فالأصل في حساب المؤمنين أنه تعرض عليهم ذنوبهم التي فعلوها، فإذا عرضت عليهم يقرون بها ويعترفون لا ينكرون منها شيئا، فيغفرها الله تعالى لهم، وهذا هو الحساب اليسير الذي يسمى بالعرض، وهذا هو حساب المؤمنين في الأصل.

جاء في الصحيحين[1] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: **«إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ. حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ».**

---

(١) البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨ -٥٢-).

وجاء في صحيح مسلم (١٩٠ -٣١٤-)، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ. فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً. فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَاهُنَا**». فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

فهذا هو حساب المؤمن، والمراد بالمؤمن المؤمن الطائع، المؤمن المتقي لله تعالى يكون حسابه العرض، تعرض عليه ذنوبه فيعترف بها، فإذا اعترف بها غفرها الله له، بل ويجعل مكان كل سيئة منها حسنة.

جاء في الصحيحين[1] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ**». وفي بعض الروايات: «**مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ**». قالت عائشة: يا رسول الله، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [سورة الانشقاق:٨]؟ فَقَالَ: «**لَيْسَ ذَاكِ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَاكِ الْعَرْضُ**».

أي: في حق المؤمنين، وكل من نوقش الحساب هلك، فحساب المؤمنين في أصله عَرْضٌ لذنوبهم وإقرارٌ منهم، ثم مغفرةٌ من الله تعالى لها وتبديلُها بحسنات.

---

(١) البخاري (١٠٣)، و(٦٥٣٧)، ومسلم (٢٨٧٦ -٧٩-).

وبعض المؤمنين الذين عندهم الكبائر والعظائم، جاء في أدلة أنهم يحاسبون حسابا في طول يوم المحشر، فقد جاء في تفسير قول الله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣﴾ [سورة فاطر:٣٢-٣٣]، فهذه طبقات المسلمين:

- منهم الظالم لنفسه بالكبائر والذنوب العظيمة.

- ومنهم المقتصد الذي أدى ما يجب عليه وترك ما حرم الله عليه، وليس له مسارعة إلى المندوبات والمستحبات، فهذا المقتصد.

- والثالث السابق بالخيرات.

فسَّر النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذه الآية كما في حديث أبي الدرداء[1] أن أهل الإسلام يكونون في الحساب على ثلاث درجات:

١- منهم من يدخل الجنة بغير حساب، وهؤلاء هم السابقون بالخيرات.

٢- ومنهم من يحاسب حسابا يسيرا بالعرض، وهم المقتصدون.

٣- ومنهم من يحاسب في طول يوم المحشر، وهم الظالمون لأنفسهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٧٢٧).

وقد جاء في أحاديث أيضاً تؤيد هذا المعنى أن من يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب يكونون على مقدار ثلث هذه الأمة، وثلث منهم يحاسبون الحساب اليسير، وثلث منهم يطول حسابهم لما عملوه من العظائم، فهذا حساب المسلمين، وهو النوع الأول من أنواع الحساب.

والنوع الثاني: حساب الكفار، وحساب الكفار هو النقاش، حساب الكفار هو الاستقصاء، يُستقصى عليهم في الحساب كل ما عملوه، فتعرض عليهم ذنوبهم لا لأجل أن تقابل بحسناتهم لأنه لا حسنات لهم، ولكن تعرض عليهم ذنوبهم فيقررون بها ويوقفون عليها **لأجل** أن تقوم عليهم الحجة، **ولأجل** أن يظهر عدل الله تعالى فيهم، وأنه لم يعذبهم عبثا، **ولأجل** أن يُعذِروا من أنفسهم فلا يكون لهم عذر، **ولأجل** أن يعلموا أن منازلهم التي دخلوها كانت باستحقاقٍ لما قدموه من أعمال.

فالكافر إذا عُرِضت عليه ذنوبه ينكر ويحلف الأيمان أنه ما فعل، ثم مرحلة أخرى يُقِرُّ ولكن يعتذر فيأتي بالمعاذير يريد النجاة، ثم المرحلة الثالثة يؤتى كتابه بشماله.

جاء في حديث أبي موسى أو أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عند الإمام أحمد (١٩٧١٥)، والترمذي (٢٤٢٥) وابن ماجه (٤٢٧٧)، وبنحوه عن ابن مسعود عند الطبري[1] أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ؛ فَأَمَّا عَرْضَتَانِ**

(١) عند قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ [سورة الحاقة:١٨].

فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ».

العرضة الأولى: جدال، يقال له: عملت يوم كذا وكذا!؟ فيقول: لا، لم أعمل. قال الله عنهم: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣﴾ [سورة الأنعام:٢٣]، يحلفون أنهم ما أشركوا، ينكرون ذلك ولا يقرون بأنهم قد فعلوا المحرمات، تُذكَر له ذنوبه، فيكذب بها ولا يعترف ولا يقر بشيء منها، ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٨﴾ [سورة المجادلة:١٨]، يحلفون الأيمان أنهم ما فعلوا، ويظنون أن أيمانهم تنفعهم في الآخرة كما كانت تنفعهم في الدنيا حين يحلفون كذبا.

بعد ذلك يعترفون، ولكن يعتذرون، يأتون بالمعاذير التي يظنون أنها تنجيهم، وبعد ذلك تطير الصحف فتأتيهم كتبهم بشمائلهم، فلا يجدون مناصا مما قد رأوه مكتوبا عليهم.

وفي حساب الكافر حين ينكر، يختم الله على فمه وتنطق جوارحه، جاء في صحيح مسلم (٢٩٦٩ -١٧-)، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟**» قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي.**

قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ».

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة فصلت:١٩-٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة يس:٦٥]، فتنطق جوارحه شاهدة عليه بما أنكره ولم يقر به، وهذا من تمام حساب الكافر.

وفي حسابه ونقاشه تعذيب له وتقريع وتوبيخ، كما في الحديث السابق: «**مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ**». وفي رواية: «**مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ**». فهؤلاء يُناقَشون الحساب فيكون عذابا لهم ويهلكون بذلك.

أقول ما سمعتم والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

أيها الناس، أخبرنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن من هذه الأمة سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فطائفة من هذه الأمة جاء في هذا الحديث: أنهم سبعون ألفًا، وجاء في رواية أخرى: أن مع كل ألف سبعون ألفا، وهذه أعداد كثيرة، جاء في أحاديث أخرى أنهم بمقدار الثلث من هذه الأمة، لا يحاسبون، لا حساب النقاش ولا حساب العرض، بل يدخلون الجنة مباشرة بغير حساب.

سئل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عنهم كما في الصحيحين[1] فقال: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**». أي: أنهم أناس حققوا توحيد الله، فـ«**لَا يَسْتَرْقُونَ**» أي: لا يطلبون من غيرهم أن يرقيهم بل يرقون أنفسهم لكمال توكلهم على الله، «**وَلَا يَتَطَيَّرُونَ**» أي: لا يتشاءمون بالأيام والأشهر والمرئيات والمسموعات لكمال توكلهم على الله أيضًا، «**وَلَا يَكْتَوُونَ**» أي: لا يتداوون بالكي لكراهة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له، «**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» أي: أناس حققوا توحيد الله

---

(١) البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢١٨ -٧٣٢-).

وعظم في قلوبهم التوكل على الله سبحانه وتعالى، فتعلقوا به دون ما سواه، فهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

ومما يتعلق بالحساب: أن هذه الأمة هي أول من يحاسب، إكراما من الله تعالى لها، وتخفيفا من الله تعالى عن هذه الأمة، فتكون أول من يحاسب، جاء في الصحيحين(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». أي: نحن الآخرون في الزمان، ونحن السابقون في الحساب، وفي دخول الجنة، وفي سائر الأمور.

جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند ابن ماجه (٤٢٩٠)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ: أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ**». فهذه الأمة أول من يحاسب من الأمم.

وأما أول ما يحاسب عليه العبد من الأعمال، فقد جاء في الصحيحين(٢) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ**».

وجاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أهل السنن(٣) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ**».

---

(١) البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥ -٢١-).

(٢) البخاري (٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨ -٢٨-).

(٣) أخرجه أبو داود (٨٦٤)، والترمذي (٤١٣)، والنسائي (٤٦٥)، وابن ماجه (١٤٢٥).

قال أهل العلم: فأول ما يحاسب عليه العبد من الحقوق التي بينه وبين الله هو الصلاة، فإن صلحت صلاته صلح سائر عمله، وإن لم تصلح صلاته لم يصلح سائر عمله.

وأول ما يحاسب عليه العبد من الحقوق التي بينه وبين الخلق هي الدماء، إن كان سفك دما بغير حق، فيُقتَص من بعضهم لبعض حتى يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء.

ومما يكون في حسابهم أن تتطاير الصحف في أيديهم، صحف الأعمال، التي هي حصيلة الإنسان في حياته، فكُلُّ ما حَصَّلَهُ في حياته مكتوب، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة ق:١٨]، فكل قول يلفظ به الإنسان في الدنيا مكتوب عليه، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [سورة المجادلة:٦]، هم نسوه، ولكن الله أحصاه، فيحصى عليهم عملهم ويكون في صحائف، ثم يوم القيامة يأخذون صحائفهم.

فأهل الإيمان يأخذون صحفهم بأيمانهم من أمامهم، وأهل الكفر يأخذون صحفهم بشمائلهم من وراء ظهورهم.

وكم يفرح المؤمن حين يرى صحائف عمله، أرأيتَ لو أن إنسانـًا في الدنيا درس في جامعة، فاجتهد وراجع وتعب خمس سنوات أو سبع سنوات أو عشر سنوات ثم يُعطَى شهادته في آخر دراسته ويكون فائزا فيها، كم يفرح؟! وهذا في شيء من الدنيا

يسير! في شيء من الدنيا حقير! أما هذا الكتاب الذي يأخذه الإنسان في يوم القيامة فهو حصيلة ما قدَّمه طيلة حياته، فيُعرَض عليه يوم القيامة ويُعطاه أمام الخلائق، فيفرح المؤمن فرحا عظيما ويستبشر استبشارا كبيراً.

ويحزن الكافر الخاسر حزنـًا لا وَصْفَ له، ويتمنى الهلاك، قال الله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الحاقة:١٩-٢٧].

ليت تلك الميتة التي مِتُّها كانت هي الميتة القاضية التي لا قيام بعدها، ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الحاقة:٢٧-٢٩]، يعترف أن ماله لا يغني عنه شيئا، وأن سلطانه هلك عنه، فيقول الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الحاقة:٣٠-٣٢]، إلى آخر الآيات.

وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ [سورة الانشقاق:٧-١٣]، كان في الدنيا

مسرورا سرور غفلة، ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الانشقاق:١٤]، ظن أنه لا يرجع إلى ربه سبحانه وتعالى.

فالصحائف تتطاير يوم القيامة، فمنهم من يعطى كتابه بيمينه، وهم أهل الإيمان، ومنهم من يعطى كتابه بشماله، وهم أهل الكفر.

وإعطاء الكتاب باليمين والشمال على حسب الإيمان وما فيه من الأعمال، فأهل الإيمان يكرمون باليمين، وأهل الكفر كالشخص المستحي يخفون كتبهم وراء ظهورهم، يلوي أحدهم يده إلى وراء ظهره ويأخذ كتابه من وراء ظهره بشماله أخذا مخزيا، أما المؤمن فإنه يتناول كتابه تناولا مشرفا عظيما، لأنه يعلم أن فيه الخير، ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الحاقة:٢٠]، أي: أنا كنت موقنا بهذا اليوم الذي سيأتي أني سألاقي حسابي على ما قدمت من الأعمال.

فعملك أيها المؤمن مهما تعبتَ فيه، ومهما شق عليك في الدنيا، فإنك ستجد كرامته، وتجد فضله، وتجد رفعته في يوم لا ينفع فيه إلا العمل، فهذا بعض ما يتعلق بالحساب الذي هو من الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان ولا يصح إيمان عبد إلا بذلك.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان، اللهم اجعل لهم من كل همٍ فرجا، ومن كل ضيقٍ مخرجا، ومن كل عسر يسرا.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا.

والحمد لله رب العالمين.

(١٦) الإيمان باليوم الآخر (٨- الميزان)

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لا زال حديثنا عما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أصول الإيمان الستة، فمن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالميزان الذي يُنْصَبُ يوم القيامة لتوزن فيه أعمال العباد.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الأنبياء:٤٧]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾﴾ [سورة القارعة:٦-١٠]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

فهذه الآيات يخبر الله سبحانه وتعالى فيها أنه يضع الميزان يوم القيامة، ويخبر الله تعالى فيها أن من ثقلت موازينه أي: موازين أعماله الصالحة فهو المفلح، وهو الذي يكون في عيشة راضية، وأن من خفت موازين أعماله الصالحة فهو الخاسر، وهو الذي يكون في نار جهنم والعياذ بالله.

فالميزان مما يؤمن به المسلمون، ومما أجمع عليه سلف الأمة، إثبات هذا الميزان الذي يكون في يوم القيامة توزن فيه أعمال العباد، جاء في الصحيحين[(١)] عن أبي هريرة

---

(١) البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**». فهاتان الكلمتان اللتان يُذكَر الله سبحانه وتعالى بهما في هذه الدنيا، تكونان ثقيلتين في الميزان يوم القيامة.

وهو ميزان حقيقي، يُنصَب ويُوضَع في أرض المحشر، وهذه الأعمال التي هي أعراض تصير يوم القيامة أجساما توزن، فـ«**سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**»، و«**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»، هاتان الكلمتان توزنان يوم القيامة.

وقد ورد في أدلة كثيرة أن أشياء من الأعراض تصير يوم القيامة أجساما، كالموت الذي هو مخلوق معنوي في الدنيا، يصير يوم القيامة بصورة كبش أملح، وهكذا ما جاء في ثواب بعض الحسنات أنه يكون يوم القيامة كذلك، جاء في حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [1] في قصة الذي يُدفَن في قبره: أن المؤمن يتمثل له عمله الصالح بصورة رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب، والكافر والفاجر يتمثل له عمله السيء بصورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب، والمراد بذلك: أن ثواب العمل يجسده الله جل وعلا فيصير في صورة رجل.

هكذا الأعمال يوم القيامة تُجَسَّد وتوزن في هذا الميزان الذي جعله الله سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه أحمد (١٨٥٣٤).

ووضع الميزان فيه حِكَمٌ عظيمة بالغة يعلمها الله سبحانه وتعالى، ومما ذكر أهل العلم من الحكمة في وضع الموازين:

- أن الميزان يوضع لإظهار عدل الله، فالله جل وعلا حرم على نفسه الظلم، والله سبحانه وتعالى يُظهِر عدله يوم القيامة، ومن إظهار عدله أن كل مخلوق يحضر وزن أعماله، فيظهر في ذلك عدل الله، وأنه لم يظلم أحدا، وأنه لم يعذب أحدا بغير ذنبه وفعله، وإنما توزن أعمال كل أحد أمام عينيه، ثم يجازى بها من نعيم أو عذاب، فيظهر عدل الله جل وعلا.

- أيضًا من الحكمة في نصب الموازين: أن يُقطَع العذر عن العباد، فلا يبقى لأحد عذر يعتذر به، والله جل وعلا يحب إزالة العذر وإقامة ما ينفيه، جاء في حديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين[١] وبنحو عن ابن مسعود في صحيح مسلم (٢٧٦٠ -٣٥-)، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ**». أي: ليقطعوا العذر عن العباد.

فالميزان ينصب يوم القيامة لقطع معاذير العباد، فلا أحد يعتذر ويقول أنا ظُلمت، أنا عُذبت بغير فعلي، أنا حصل لي كذا وكذا، بل يقال له كما في حديث عبدالله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة[٢]: «**احْضُرْ وَزْنَكَ**». فيرى وزنه بعينه، فلا يكون له بعد

---

(١) البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩ -١٧-).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٣٩).

ذلك عذر يعتذر به، وهذا من فضل الله وكرمه وحلمه جل وعلا أنه يجعل لعباده ما يقطع عنهم العذر.

هذا الميزان وردت صفته في أحاديث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وجاء في بعض الآثار الموقوفة، فمما ورد في صفته أن له كفتين، كفة توضع بها الحسنات وكفة توضع بها السيئات، جاء في حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند الترمذي (٢٦٣٩)، وغيره، المشهور بحديث صاحب البطاقة، أن رجلا يخلصه الله يوم القيامة على رؤوس الناس وتخرج له سجلات عددها تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر، كلها سيئات، فيقول الله سبحانه وتعالى له: «**أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟** -أو هل لك من حسنة؟- **فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ**». فطاشت تلك السجلات وثقلت تلك البطاقة التي فيها لا إله إلا الله، قال أهل العلم: لأن قائلها كان مخلصاً في قولها، صادقاً في نطقها، محباً لما دلت عليه، وإن لم يكن له كبير حسنات ظاهرة، لكن كان مقام هذه الكلمة في قلبه عظيماً.

فهذا الحديث يدل على أن الميزان له كفتان، كفة توضع بها تلك السجلات التي من السيئات، وكفة توضع بها تلك البطاقة التي فيها (لا إله إلا الله).

وجاء في صفته أيضـًا، أن له لسانـًا، ولسان الميزان هي الشوكة التي تشير إلى الكفة الراجحة وتميل معها، وقد أجمع أهل العلم على أن الميزان الذي يوضع يوم القيامة له لسان.

هكذا جاء في صفته أنه ميزان عظيم، أخرج الآجري في "الشريعة" (٨٩٥)، بسند صحيح عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: (يوضع الميزان يوم القيامة، ولو وضعت في كفته السماوات والأرض ومن فيهن لوسعتهم، فتقول الملائكة: يا ربنا لمن تزن بذلك؟ فيقول الله عز وجل: لمن أشاء من خلقي. فتقول الملائكة عند ذلك: يا ربنا ما عبدناك حق عبادتك، ما عظمناك حق تعظيمك).

فإذا كان هذا الميزان الذي هو مخلوق من مخلوقات الله لو وُضعَت في كِفَّتِهِ السماوات والأرض ومن فيهن لوسعتهم، فكيف بما هو أعظم من هذا المخلوق؟ وكيف بالخالق سبحانه وتعالى؟

ومما يدخل في الإيمان الميزان، أن نؤمن أنه ميزان واحد، وقال بعض أهل العلم: هي موازين متعددة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٤٧]، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾ [سورة القارعة:٦]، قالوا: فجَمْعُهُ في هذه الآيات يدل على أنه ميزان متعدد، ولكن أكثر العلماء على أنه ميزان واحد، وإنما جُمِع في هذه الآيات باعتبار تعدد ما يوزن فيه، ويدل عليه ما سبق في أثر سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه ميزان واحد عظيم الخلق، وهكذا يدل عليه حديث أنس عند الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٤٣٣)، أنه

قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: «**أَنَا فَاعِلٌ**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «**اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ**». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ**». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ، فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ**».

قال أهل العلم: ففي إرشاد الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأنس أن يطلبه عند الميزان دليل على أنه ميزان واحد، إذ لو كان متعددا لقال أنس: عند أي ميزان من هذه الموازين أطلبك يا نبي الله؟

ومما يدل على ذلك أيضا أن الله تعالى ذكره مجموعـًا في حق شخص واحد، قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ [سورة القارعة:٦-٧]، فقوله جل وعلا: ﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بجمع الموازين في حق شخص واحد يدل على أن المراد بالموازين أي ما يوزن فيه من الأعمال التي يقدمها العبد باختلاف أنواعها وأصنافها، وليس المراد تعدد الميزان؛ لأن الشخص الواحد لا يتعدد وزن أعماله بأكثر من ميزان.

فهو ميزان واحد يوضع في أرض المحشر عند أكثر العلماء، وأما ما ورد في الأدلة بلفظ الجمع فإنما جُمِع باعتبار كثرة ما يوزن فيه، فتوزن فيه أعمال العبد باختلافها، وتوزن فيه أعمال الأمم باختلافهم، فلكثرة ما يوزن فيه جمع في أدلة القرآن.

إذن فهو ميزان عظيم يُجعل في أرض المحشر، يظهر فيه عدل الله، ويُقطع العذر عن العباد، وتُوزن فيه أعمال الناس، ويترتب على ذلك الوزن السعادة أو الشقاوة.

أقول ما سمعتم والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس، أخبرنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أحاديث كثيرة أن أعمال العباد توزن، وأخبرنا أن العباد أنفسهم يوزنون، وأخبرنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن صحائف العباد التي تُكتب فيها الحسنات والسيئات تُوزن يوم القيامة.

قال أهل العلم: والجمع بين هذه الأدلة، بأنه من الممكن أن جميع هذه التي ذُكرت في الأدلة تُوزن في ميزان يوم القيامة، فتُوزن الأعمال، وهذا هو الأصل فيه، أن ثقل الميزان وخفته بثقل الأعمال وخفتها، فكم من عمل قليل ولكنه في الميزان ثقيل، كم من عمل يكتب في صحائف قليلة ولكنه عند الله عظيم، كما في الحديث: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ**»،(١) وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ**».(٢) وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ**»(٣).

---

(١) البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣)، عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه مسلم (٢٢٣ -١-)، عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وهكذا أخبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أحاديث كثيرة أن أعمال العباد توزن، وكما تقدم أن هذه الأعمال التي هي أعراض تصير أجسادا يوم القيامة حتى تكون قابلة للوزن.

وهكذا توزن صحائفهم التي كُتبت فيها أعمالهم كما دل عليه حديث عبدالله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة، أن السجلات توضع في كفة والبطاقة التي مكتوب فيها (لا إله إلا الله) توضع في الكفة الأخرى.

وهكذا يوزن العامل، جاء في الصحيحين[1] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**». رجل سمين عظيم أي: من أهل الكفر، لا يزن في الميزان عند الله جناح بعوضة.

وجاء عند الإمام أحمد (٣٩٩١)، أن عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**»، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ. فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**».

«**لَهُمَا أَثْقَلُ**» أي: ساقي عبدالله بن مسعود الضعيفتين الدقيقتين «**أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»، وأُحد جبل عظيم.

---

(١) البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥ -١٨-).

قال أهل العلم: هذا دليل أن العامل يوزن يوم القيامة، ويكون ثقل جسده أو خفة جسده على حسب أعماله التي قدمها، فمن كان عظيم العمل ثقيل العمل؛ ثقل في الميزان يوم القيامة، ومن كان بخلاف ذلك؛ خف في الميزان يوم القيامة.

فالإيمان بالميزان هو من الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالميزان يُكسِب العبد خيرا كثيرا، فإنه يجعل العبد يحاسب نفسه على أقواله وأفعاله وما يأتي ويذر في هذه الحياة، لأنه يعلم أن كل ذلك موزون.

الإيمان بالميزان يدعو العبد إلى أن يصحح نيته ويخلص قصده لله جل وعلا، فإن الأعمال تثقل وتعظم باعتبار ما في القلوب، ولذا انظر إلى كلمة (لا إله إلا الله) في حديث صاحب البطاقة كيف ثقلت بتسعة وتسعين سجلا كلُّ سجل منها مد البصر.

قال أهل العلم: لا شك أن كل مسلم له هذه الكلمة وعنده هذه البطاقة، وقد أخبرنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن بعض المسلمين ممن ارتكبوا الكبائر والعظائم يدخلون النار وعندهم هذه البطاقة، فلماذا نفعت هذا الرجل هذا النفع ولم يكن نفعها لمن دخلوا النار من المسلمين كنفعها لهذا الرجل؟

والجواب عن ذلك: أن ما قام في قلب هذا الرجل من شروط هذه الكلمة من صدق وإخلاص ويقين ومحبة وتعظيم جعلها تبلغ هذا المبلغ العظيم، فرُبَّ عملٍ يسيرٍ يصير عظيما وثقيلا في الميزان بما قام في قلب صاحبه.

فالإيمان بالميزان يدعو العباد إلى أن يصححوا نياتهم وأن يخلصوا في قصدهم لله سبحانه وتعالى.

فنسأل الله جل وعلا أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم يسر لهم البطانة الصالحة التي تدلهم على الخير وتحضهم عليه.

اللهم عليك بالرافضة الزنادقة المعتدين، اللهم عليك بهم يا قوي يا متين، اللهم انتقم منهم إنك على كل شيء قدير.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان، اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان.

والحمد لله رب العالمين.

(١٧) الإيمان باليوم الآخر (٩- الصراط)

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لا يزال حديثنا عما يتعلق بالركن السادس من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر، فمن الإيمان باليوم الآخر **الإيمان بالصراط**.

والصراط: هو الجسر الذي يُنصَب على متن جهنم يعبر عليه الناس إلى الجنة، ولا يدخل المؤمنون الجنة إلا بعبورهم على هذا الصراط، فهو الطريق إلى الجنة.

والإيمان بالصراط من الإيمان باليوم الآخر، وقد أجمع سلف الأمة على إثباته والإيمان به، ودلت عليه الأدلة الكثيرة في سنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وفُسِّر به قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [سورة مريم:٧١]، فُسِّر ذلك بالمرور على الصراط، فَسَّره بذلك جماعة من السلف.

وجاء في صحيح مسلم (٢٤٩٦ -١٦٣-) عن أم مبشر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول وعنده حفصة أم المؤمنين: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**» -أي: الذين كانوا في بيعة الرضوان في الحديبية-. قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ﴾ [سورة مريم:٧١]. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [سورة مريم:٧٢]».

فيكون الصراط مذكورا في القرآن دلت عليه هذه الآية، ودل عليه أحاديث كثيرة عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأجمع عليه سلف هذه الأمة لا خلاف بينهم في ذلك.

وهو صراط موصوف في الأدلة بأوصاف كثيرة، من هذه الأوصاف:

١- أنه جسر طويل عظيم، فإنه ينصب على متن جهنم من طرفها إلى طرفها، وجهنم لا يعلم قدرها إلا الله، كما في صحيح مسلم (٢٨٤٢ -٢٩-) عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**». فالصراط ممدود على متن جهنم كلها، وهذا يدل على أنه صراط عظيم.

٢- ومن أوصافه أنه دَحْضٌ مَزَلَّة، وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر، فلا تثبت عليه الأقدام إلا من ثبته الله تعالى.

٣- ومن أوصافه أيضاً: أن فيه كلاليب وخطاطيف تخطف من شاء الله جل وعلا وتلقيه في النار، جاء في الصحيحين[١] عن أبي سعيد، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُؤْتَى بِالْجَسْرِ، فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ**». قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: «**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ**».

٤- ومن أوصافه أيضاً: أنه أَدَقُّ من الشعرة وأَحَدُّ من السيف، قال أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما في صحيح مسلم (١٨٣ -٣٠٢-) بعد روايته لهذا الحديث الطويل: بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ.

وقد جاء عن صحابة آخرين في أحاديث مرفوعة وموقوفة أن الصراط أَحَدُّ من السيف.

---

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣ -٣٠٢-).

٥- ومن أوصافه أيضاً: أن فيه ظلمة شديدة لا يستطيع الواحد أن يضع قدمه عليه إلا بنور، ولا يمر عليه إلا من أعطاه الله جل وعلا نورا يبصر به، قال الله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [سورة الحديد:١٢] أي: يسعى نورهم بين أيديهم ويكون نورهم بأيمانهم، ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الحديد:١٢].

إذن، هؤلاء المؤمنون ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الحديد:١٢]، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -كما أخرج ذلك المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (٢٣٨)، وغيره-: منهم من يكون نوره كالجبل أو أعظم من الجبل، ومنهم من يكون نوره كالنخلة أو أرفع من ذلك أو دون ذلك، ومنهم من يكون نوره بإبهام رجله -أي: كالسراج- يضيء مرة وينطفئ أخرى، فإذا أضاء مشى وإذا انطفأ وقف لا يستطيع المشي لشدة الظلمة فيه.

فالمؤمنون يُعطَون نورا، كلٌّ يعطى من النور على قدر الإيمان، فعلى قدر نور الإيمان في القلب يكون نور المؤمن على الصراط، ويُحرَم المنافقون من هذا النور أو يعطون نورا يسيرا في أول الأمر ثم ينطفئ، جاء في حديث جابر في صحيح مسلم (١٩١-٣١٦-)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ**» أي: تذهب الأمم، أمم الشرك والكفر من اليهود والنصارى وغيرهم كلٌّ منهم يتبع ما كان يعبد، ولا يبقى إلا من كان يعبد الله، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ثُمَّ يَأْتِينَا**

رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ. قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ، وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ...».

إذن، المنافقون يُعطَون نوراً يسيراً لما كانوا يظهرون في الدنيا من الإسلام، فإذا بدأوا بالمشي على الصراط انطفأ ذلك النور، كما انطفأ نور الإيمان من قلوبهم في الدنيا كذلك ينطفئ نورهم على الصراط.

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [سورة الحديد:١٣]، ينادون المؤمنين انتظروا نمشي معكم ونستضيء بالنور الذي معكم، ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [سورة الحديد:١٣]، قال بعض المفسرين: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾ [سورة الحديد:١٣] أي: إلى الموضع الذي قُسِمَتْ فيه الأنوار فالتمسوا نورا، وقال بعض المفسرين: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾ [سورة الحديد:١٣] أي: إلى الدنيا فأخلصوا العمل وحققوا الإيمان حتى تحصلوا على النور في هذا الموقف.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ﴾ [سورة الحديد:١٣] أي: مما يلي المؤمنين ﴿فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ﴾ [سورة الحديد:١٣] أي: مما يلي المنافقين ﴿مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحديد:١٣]، فحيل بينهم بهذا السور، إذا عبر المؤمنون يُجعَل هذا السور بينهم وبين أهل النفاق على ذلك الصراط، ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [سورة الحديد:١٤] وتأمل إلى

قولهم: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ ولم يقولوا: (ألم نكن منكم)؛ لأنهم يعرفون أنهم ليسوا من المؤمنين، وإنما كانوا معهم وليسوا منهم، ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [سورة الحديد:١٤] كنتم معنا تظهرون الإسلام ولكنكم تبطنون خلاف ذلك، ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الحديد:١٤-١٥].

فهذه من صفات هذا الصراط، أن فيه ظلمة شديدة لا يجيزه أحد إلا بنور من الله سبحانه وتعالى يعطيه إياه، ويكون نور من يمرون على الصراط على قدر إيمانهم في هذه الحياة الدنيا.

وأما الذين يمرون على الصراط؛ فإنه لا يمر على الصراط إلا من يظهر الإسلام سواء كان مؤمنا حقيقة أو كان منافقا، وأما سائر ملل الكفر فإنهم يتساقطون في النار قبل أن يُضرب الصراط على متن جهنم.

جاء في الصحيحين[1] عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ** -أي: في أرض المحشر-، **تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ، وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ**

(١) البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣ -٣٠٢-).

تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ، وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ فَقَالُوا: عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ أَلَا تَرِدُونَ، فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ، كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ.

فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ، وَلَا وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الْأَوَّلِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، فَيُقَالُ: مَاذَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا: فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرِ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُ. فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ. فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة القلم:٤٢]، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا. وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ، سَلِّمْ سَلِّمْ».

يضرب الصراط على متن جهنم وهناك تقسم الأنوار فيعطى المؤمنون والمنافقون نورا كلٌّ على قدر ما معه من الإيمان، ولكن لا ينجو إلا أهل الإيمان كما تقدم في حديث جابر، وفيه: «تُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ. قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ، وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ

مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ...».

إذن، لا يمر على الصراط إلا من كان يُظهِر الإسلام، فإن كان مؤمنا حقيقة فيمر وينجو، وإن كان ممن يظهر الإيمان ويبطن الكفر فهذا والعياذ بالله كما سيأتي ممن يخدش ويكردس في نار جهنم وتخطفه تلك الخطاطيف والكلاليب فتلقيه في النار، نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أيها الناس، إذا علمنا ذلك وأن الصراط لا يمر عليه إلا مؤمن أو منافق ثم ينجو المؤمنون وينطفئ نور المنافقين فإن **أول من يمر على الصراط هو نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأمته**.

جاء في الصحيحين[1] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ**». فأول من يجيز هذا الصراط ومن يمر عليه هو نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهذه الأمة.

وعلى وجه الخصوص فقراء المهاجرين يكونون أول من يمر بعد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ففي صحيح مسلم (٣١٥-٣٤-)، عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سئل من أول من يمر على الصراط؟ أو من أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً -يعني على الصراط-؟ قَالَ: «**فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ**».

وهذه كرامة من الله تعالى لهذه الأمة التي هي آخر الأمم تكون يوم القيامة في مواقف كثيرة أول الأمم.

---

(١) البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢-٢٩٩-).

وأما صفة مرور الناس على هذا الصراط، فقد جاء في حديث أبي سعيد وحديث أبي هريرة وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،(١) أن من الناس من يمر كالبرق، قالوا: يا رسول الله وكيف يمر كالبرق؟ قال: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ**؟ -كل الصراط بطوله العظيم على متن جهنم من الناس من يمرُّ عليه كالبرق-، **ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ**». ومنهم من يمر كأجاويد الخيل وركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً أي: يجري جرياً كأشد الرجال، ومنهم من يزحف زحفاً أي: كالصبي على ركبتيه ومرفقيه.

وذلك يختلف باختلاف الإيمان الذي في القلوب، يختلف باختلاف المسابقة والمسارعة إلى الطاعات في الدنيا، فكلما كان العبد إلى طاعة الله أسرع كان على الصراط أسرع.

ومنهم من يُخدَش ولكنه يسلم، تخدشه تلك الكلاليب تريد خطفه ولكن لم يشأ الله له السقوط كما في الحديث:(٢) «**فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ، يُسْحَبُ سَحْبًا**».

تخطفه الكلاليب وتلقيه في النار وهؤلاء هم أهل النفاق ومن شاء الله أن يدخل النار من المسلمين من أهل الكبائر، فهذه صفة مرور الناس على الصراط.

---

(١) رواه مسلم (١٩٥ -٣٢٦-).

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣ -٣٠٢-)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حين المرور على الصراط من شدة الهول وعظمة الموقف يقف النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على طرف الصراط ينظر أمته وينظر الناس ويدعو بقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**».

جاء في صحيح مسلم (١٩٥ -٣٢٩-)، أيضًا: «**وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا**»، الأمانة وهي ما ائتُمن عليه الإنسان عموما، ما ائتمن عليه من دينه وعبادته لله وما ائتمن عليه من حقوق الناس، وكذلك الرحم أي القرابات، تقوم جنبتي الصراط عن يمينه وشماله، يؤخذ بذلك من ضيعهما في الدنيا، فهذه صفة مرور الناس على هذا الصراط.

كذلك مما يتعلق بالصراط: أنه بعد المرور على هذا الصراط قبل دخول الجنة يقف الذين ينجون من الصراط على قنطرة، والقنطرة: هي الجسر، وهي بمعنى الصراط.

واختلف أهل العلم هل هي طرف الصراط الذي على النار، وهذا طرف مما يلي الجنة؟ أو هي صراط آخر؟

وظاهر الدليل أنها صراط آخر؛ لأن الصراط الأول هو على متن جهنم فقط، وهذه القنطرة خارج متن جهنم، لأنها بين الجنة والنار، جاء في صحيح البخاري (٢٤٠٠)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ**».

هذه القنطرة يكون الوقوف عليها لأجل تصفية القلوب، لا يدخل الجنة إنسان في قلبه شحناء لأخيه، فأهل الجنة ليس بينهم بغضاء ولا شحناء ولا تنافر، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الحجر:٤٧]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الأعراف:٤٢-٤٣].

فهذه القنطرة يحبسون عليها لأجل تصفية قلوبهم وتنقيتها مما كان فيها في الدنيا من غل أو حقد أو بغضاء، فيُطَهَّرون ويُنَقَّون حتى لا يبقى في قلب أحد منهم شيء من ذلك، فإذا طُهِّروا ونُقُّوا أُذن لهم في دخول الجنة، وبهذا انتهى مرورهم على الصراط ونجوا منه وطهروا ونُقُّوا على هذه القنطرة، ثم صاروا إلى جنة الله سبحانه وتعالى.

فهذا بعض ما يتعلق بالإيمان بالصراط الذي ينصب على متن جهنم.

واعتبر أيها المؤمن، حالك على هذا الصراط في الدنيا فإن في الدنيا صراطا تسأل الله تعالى أن يهديك إليه في كل ركعة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [سورة الفاتحة:٦-٧]، صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، صراط في الدنيا هو الدين، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي

مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]، لا تتبعوا البدع ولا الأهواء ولا المخالفات ولا المعاصي ولا المحرمات، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣].

فعلى قدر استقامتك على هذا الصراط في هذه الدنيا يكون استقامتك على الصراط في الآخرة، على قدر ثباتك على هذا الصراط في الدنيا يكون ثباتك على صراط الآخرة، على قدر مسارعتك ومسابقتك إلى هذا الصراط في هذه الحياة الدنيا يكون سبقك وسرعتك على الصراط في يوم القيامة، فالمؤمن يستطيع أن ينجو بنفسه ما دام في هذه الحياة الدنيا. **وتأمل** قول المؤمنين لأهل النفاق يوم القيامة: ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾ [سورة الحديد:١٣]، تريدون نورا؟ ارجعوا إلى الدنيا على بعض التفاسير فالتمسوا النور بالإيمان والإخلاص لله، ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۚ﴾ [سورة الحديد:١٣]، ففي هذه الدنيا يُلتَمس النور لظلمة الصراط يوم القيامة.

نسأل الله جل وعلا أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الكفر والكافرين.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين.

(١٨) الإيمان باليوم الآخر (١٠- الشفاعة)

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لا زال حديثنا عما يتعلق باليوم الآخر، وما يدخل في الإيمان بهذا الركن من أركان الإيمان، فمما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر: **الإيمان بالشفاعة**.

والشفاعة هي من الأمور التي قدَّرها الله سبحانه وتعالى، وتكون في يوم القيامة ينتفع بها خلق كثير، فيدخل أناس الجنة بالشفاعة، وينجو أناس من النار بالشفاعة، وتزول الشدائد والكروب عن أهل الموقف بسبب الشفاعة، وهكذا تُرفع درجاتُ من شاء الله تعالى رفعته في الجنة بسبب الشفاعة، ويحصل بسببها خير كثير.

ولذا جاء في حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٣١١)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَيَّرَنِي** -ربي- **بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ**».

وجاء في صحيح مسلم (١٩٩ -٣٤٠-)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ، وَإِنِّي أُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ أُؤَخِّرَ دَعْوَتِي، شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

فالشفاعة من الأسباب التي يَسَّرها الله سبحانه وتعالى لينتفع بها خلق كثير.

والشفاعة هي بمعنى التوسط، أن يتوسط الإنسان لغيره فيجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة، وهذا سببٌ من الأسباب التي قدَّرها الله سبحانه وتعالى لينتفع بها من شاء الله أن ينتفع.

وأكثر من ينتفع بشفاعة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هم أهل الإيمان والتوحيد الذين لا يشركون بالله شيئًا، جاء في صحيح البخاري (٩٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه

قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»، فأهل الإخلاص لله، أهل التوحيد، هم أسعد الناس بشفاعة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهذا مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من السلف والخلف أن مما يقدره الله تعالى في يوم القيامة الشفاعة لمن شاء الله تعالى ذلك، وإنما خالف في بعض أنواع الشفاعة أهل البدع كالروافض وكالخوارج، وإلا فسائر المسلمين مجمعون على الإيمان بالشفاعة لما دلت عليه الأدلة الكثيرة من كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

والذي جاء في الأدلة أن الشفاعات كثيرة متنوعة منها:

١- شفاعات خاصة بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يشاركه فيها غيره، وهي التي قال فيها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في الصحيحين[1] عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي**»، وذكر منها قال: «**وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**».

٢- ومنها شفاعات عامة، يشفع فيها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويشفع المؤمنون ويشفع الملائكة ويشفع النبيون ويشفع الشهداء ويشفع من مات صغيراً لأبويه، إلى غير ذلك ممن يُجرِي الله تعالى الشفاعة على يديه يوم القيامة.

---

(١) البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١ -٣-).

فمن أنواع الشفاعات:

الشفاعة العظمى، والشفاعة العظمى هي كاسمها، فهي أكبر الشفاعات وأعظمها نفعا وأوسعها شمولا، فإنها تشمل جميع الجن والإنس، تشمل الأنبياء وسائر الخلق أي أنهم ينتفعون بها جميعهم، والشافع في هذه الشفاعة العظمى هو نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يشاركه فيها أحد، وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [سورة الإسراء:٧٩]، أي: مقاماً يحمده عليه جميع الخلائق جنهم وإنسهم متقدمُهم ومتأخرُهم.

الشفاعة العظمى تكون في أرض المحشر، فيوم القيامة كما هو معلوم يوم طويل يطول على الناس، أخبرنا الله تعالى أن مقداره ألف سنة، ولك أن تتخيل مقدار ألف سنة من سنين الدنيا يقفون في أرض المحشر، وأخبر الله في موضع آخر أن مقداره خمسين ألف سنة.

قال بعض العلماء: هو بمقدار ألف سنة على أهل الإيمان، وبمقدار خمسين ألف سنة على أهل الكفر، ولا شك أن هذا موقف عصيب، لو عاش الإنسان في هذه الدنيا مائة سنة لاستطال هذا العمر وهو يعيش ما بين نوم واستيقاظ وراحة ومتعة يتمتع بها، فما بالك بيوم يكون مقداره ألف سنة، والناس قيام لرب العالمين، والناس عراة، والناس قد دنت منهم الشمس واشتد بهم الكرب وعظُم الخَطْب، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، فيسعون في أرض المحشر إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى

الله أن يخلصهم من هذا الكرب، يريدون أن يقضُى بينهم ليصير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار.

يأتون إلى آدم: «**يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ... أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، وَمَا بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ... نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي**»، يأتون إلى نوح يقولون: «**يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا؟ أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ... نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي**». يأتون إبراهيم يأتون موسى يأتون عيسى وكل واحد يعتذر، كل واحد يطلب نجاة نفسه في ذلك اليوم؛ لما يرون من أهواله وعظمته وشدائده، ولما يعلم الأنبياء من غضب الله جل وعلا.

فيأتون محمداً فيقولون: «**يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي**».

فيسأل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الشفاعة لسائر أهل الموقف أن الله تعالى يقضي بينهم، ثم يسأل الشفاعة لأمته، أن الله تعالى يدخلهم الجنة، فيعم جميع الخلائق بالشفاعة أن الله تعالى يقضي بينهم، ويخص أمته بالشفاعة أن الله تعالى يدخلهم

الجنة، فيظهر فضله على كل خلق الله، يظهر فضله على جميع أنبياء الله ومَن دون أنبياء الله.

فهناك يكون الحساب فيحاسبون، فيصير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، هذا النوع الأول من الشفاعة.

النوع الثاني من أنواع الشفاعة وهي أيضًا من الشفاعات الخاصة برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الشفاعة في دخول الجنة، فإن أهل الجنة إذا نجوا من النار أي: إذا مروا على الصراط يوقفون على قنطرة فيُهذَّبون ويُنَقَّون ثم يبقون في ذلك الموضع لا يدخلون الجنة إلا بشفاعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

جاء في صحيح مسلم (١٩٧ -٣٣٣-) عن أنس أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ** -خازن الجنة-: **مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**». بك أمرت ولا أفتح لأحد قبلك، فيستفتح النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ باب الجنة فيفتح له فيدخل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو أول من يدخل الجنة، وأمته أول من يدخل الجنة من الأمم ثم يدخل سائر أهل الجنة.

النوع الثالث من الشفاعات -وهو أيضًا من الشفاعات الخاصة برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: الشفاعة في تخفيف عذاب بعض أهل النار، والأصل في أهل النار أنهم لا ينتفعون بالشفاعة كما قال الله تعالى عنهم: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة المدثر:٤٨]، ولكن الله خصَّ نبيَّه بأنه ينتفع عمُّه أبو طالب بشفاعته، وعمُّهُ من أهل

النار ولكن إكرامٌ من الله تعالى لنبيه ومجازاة لما قام به أبو طالب في الحياة الدنيا من دفاعٍ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونصرةٍ له فينتفع بشفاعته، جاء في الصحيحين(١) عن العباس بن عبدالمطلب عمِّ الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأخي أبي طالب أنه قال: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ فماذا أغنيتَ عنه؟ قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**». والضحضاح: هو الماء الذي يبلغ الكعبين، أي: أن النار تصل إلى كعبيه، تغطي قدميه إلى كعبيه فقط، «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**».

وجاء في صحيح مسلم (٢١٢ -٣٦٢-)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**». فهذا بشفاعة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ انتفع أبو طالب مجازاة له لما قام به في الدنيا من نصرة للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومن غضب له وحماية له، جازاه الله بأن كان أهون أهل النار عذابا، وهذا عذابه، رجلاه فقط في النار، ولكنه ليس بالعذاب اليسير بل يغلي منهما دماغه، فهذه الشفاعات من الشفاعات الخاصة برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) البخاري (٦٢٠٨)، ومسلم (٢٠٩ -٣٥٧-).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمـًا كثيراً.

أيها الناس، من أنواع الشفاعات أيضـًا: الشفاعة في إخراج من دخل النار من أهل الإسلام، وهذه الشفاعة شفاعة عامة يشفع فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والملائكة والنبيون وسائر المؤمنين، فهناك أناس من أهل الإسلام عندهم كبائر وعظائم ماتوا ولم يتوبوا منها، فهؤلاء تحت مشيئة الله إن شاء الله تعالى غفر لهم تلك الكبائر ودخلوا الجنة ابتداء، وإن شاء الله عذبهم بتلك الذنوب كما يشاء جل جلاله ثم يخرجون من النار ويكون مآلهم إلى الجنة.

جاء في الصحيحين[1] عن أبي سعيد أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ -أي: مروا على الصراط-، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ». لهم إخوان من المسلمين دخلوا النار بسبب الكبائر التي ارتكبوها في الدنيا، فهؤلاء المؤمنون الذين نجوا ومروا على الصراط يناشدون ربهم عز وجل. «**يَقُولُونَ: رَبَّنَا، كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ، وَيَحُجُّونَ**».

---

(١) البخاري (٢٤٤٠)، ومسلم (١٨٣ -٣٠٢-).

ولكن عندهم عظائم وذنوب استوجبت أن يدخلوا النار، فيقول الله جل وعلا لأولئك المؤمنين: «**أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ**»، فيعرفونهم بوجوههم وقد حرم الله على النار أن تأكل مواضع الصلاة، مواضع السجود وجوههم وأيديهم وركبهم وأقدامهم لا تأكلها النار.

يقول الله لهم: «**أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ**»، فيأتونهم فيُخرِجون من عرفوا ثم «**يَقُولُونَ: رَبَّنَا، مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ. فَيَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا**».

وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النساء: ٤٠].

«**فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا**

تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ». فيدخلون الجنة فيقال: «**هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ**».

هذه الشفاعة عامة، يشفع فيها المؤمنون لإخوانهم، فأهل الإيمان والصلاح والاستقامة كانوا في الدنيا رحيمين بالعصاة، يُذكِّرونهم بالله ويدعونهم إلى فعل الخير ويُحذِّرونهم من الشر، وكذلك هم يوم القيامة رحيمون بهم لا يهدأ لهم بال، ولا يَقِرُّ لهم قرار وإخوانٌ من إخوانهم في النار، فيناشدون الله مناشدة شديدة حتى يُخرِج إخوانهم من النار، رحمة من أهل الإيمان والصلاح وأهل الطاعة بإخوانهم المسلمين مهما كانوا عليه من المعاصي، كما رحموهم في الدنيا ودعوهم إلى الرجوع إلى الله كذلك يرحمونهم يوم القيامة.

هذه الشفاعة من أعظم الشفاعات تأثيراً بعد الشفاعة العظمى، هذه الشفاعة يشفع فيها خلق كثير ويخرج بسببها من النار أناس كثير، جاء في مسند الإمام أحمد (١٣٢٢٢) وسنن أبي داود (٤٧٣٩)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**». أي الذين يدخلون النار بما عندهم من الكبائر يشفع لهم.

وجاء في سنن ابن ماجه (٤٣١١)، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَيَّرَنِي** -ربي- **بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ**»، ثم قال: «**أَتَرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لَا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ**

الْمُتَلَوِّثِينَ». يشفع لهم الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وسائر الأنبياء والملائكة والمؤمنون فينجيهم الله تعالى من النار بسبب الشفاعة.

أيضًا من أنواع الشفاعات التي تكون يوم القيامة: الشفاعة في أناس تساوت حسناتهم وسيئاتهم فلم تَرجُح حسناتهم فيدخلوا الجنة ولم ترجح سيئاتهم فيدخلوا النار، وقد فسَّر كثير من المفسرين أهل الأعراف بهؤلاء، وأن هؤلاء هم أهل الأعراف الذين يقفون على موضع بين الجنة والنار، فإذا التفتوا جهة الجنة وعرفوا أهلها ﴿وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الأعراف:٤٦]. وإذا التفتوا جهة النار ورأوا أصحابها ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الأعراف:٤٧]، فتكون الشفاعة لهم أن يدخلوا الجنة، فيدخلون الجنة.

من أنواع الشفاعات أيضًا: الشفاعة في أناس استحقوا النار بذنوبهم وأُمِرَ بهم إلى النار، فتحصل الشفاعة لهم ألا يدخلوا النار أصلاً، كما تكون الشفاعة لإخراج من دخل النار، كذلك في أناس منهم يُشفع في أن لا يدخلوا النار ولا تمسهم النار.

من أنواع الشفاعات أيضًا: الشفاعة في رفعة درجات بعض أهل الجنة فوق ما يستحقه، فأناس يكونون في الجنة في درجة معلومة فتحصل الشفاعة لهم أن يُرفَعوا إلى درجات عالية، جاء في صحيح مسلم (٩٢٠ -٧-)، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جاء إلى بيت أبي سلمة حين توفي ودعا له فقال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ**

الْعَالَمِينَ». فدعا له أن ترفع درجته في المهديين، وقد عدَّ أهل العلم هذا من الشفاعات التي تكون بالدعاء في الدنيا.

من أنواع الشفاعة أيضًا: الشفاعة في أناس يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، يُشفَع لهم لأجل أن يدخلوا الجنة بغير حساب ولا عذاب، جاء في الصحيحين[1] عن ابن عباس وغيره، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذكر سبعين ألفًا من هذه الأمة يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقام عكاشة بن محصن وعليه ثوب له يلوي به يقول: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ**». وفي بعض الألفاظ قال: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**». عدَّ أهل العلم هذا من الشفاعات، فشفع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذا الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

فكلُّ هذه الشفاعات مما يؤمن به أهل السنة والجماعة، ومما دلت عليه الأدلة من كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أيها الناس، وإن من الأمر المهم الذي ينبه عليه أن الشفاعة لا تكون في يوم القيامة إلا بإذن الله، فإذا أذن الله كانت الشفاعة.

وأيضًا لا تكون الشفاعة إلا برضى الله، يرضى الله تعالى عن الشافع، فليس كل أحد يشفع إلا من رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبرضى الله عن المشفوع له، فلا تستطيع أن تشفع لمن شئت، إنما تشفع لمن رضي الله أن تشفع له، وأذن لك بذلك، قال الله سبحانه:

---

(١) البخاري (٦٥٤٢)، ومسلم (٢١٨ -٣٧١-).

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [سورة النجم:٢٦]، فهؤلاء الملائكة المقربون لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا إذا أذن الله بالشفاعة ورضي الله تعالى عن المشفوع له.

وقال الله سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]، وقال الله سبحانه: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء:٢٨]، فلا يشفع أحد لأحد إلا لمن رضيه الله، وقد تقدم في حديث أبي هريرة أن الله يرضى عن أهل الإخلاص والتوحيد وأنهم أسعد الناس بشفاعة الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فلا تظن أنه سيشفع لك من شئتَ من الخلق، لأن بعض الناس يظن إذا كان له من أهله وقرابته رجل من الشهداء أو من الصالحين أنه سيشفع له، وهذا ظن خاطئ، نعم الشهيد يشفع في سبعين من أقاربه كما صحَّ به الحديث، والمؤمنون يشفعون، لكن لا يشفعون لمن شاءوا، وإنما يشفعون لمن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ وأذن بالشفاعة له، فلا يَعتمدَنَّ أحد على شفاعة أحد إن لم يكن من أهل الإخلاص والتوحيد والإيمان بالله سبحانه وتعالى.

فهذا بعض ما يتعلق بهذا الأمر الذي هو من الإيمان باليوم الآخر؛ وهو الإيمان بالشفاعات التي قدر الله سبحانه وتعالى أن توجد في يوم القيامة.

فنسأل الله جل وعلا أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

اللهم اغفر لنا وارحمنا وعافنا واعف عنا.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الكفر والكافرين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين.

والحمد لله رب العالمين.



(١٩) الإيمان باليوم الآخر (١١ - رؤية الله في الآخرة)

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لا زال حديثنا عما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان، فمن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان برؤية الله عز وجل في الآخرة.

فالإيمان برؤية الله في الآخرة من الأصول العظيمة التي هي من الإيمان باليوم الآخر، وقد تواردت فيها الأدلة من كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ -بالضاد- ناضرة أي: حسنة بَهِيَّة جميلة، مأخوذ من النُّضْرَة وهي بمعنى الحسن والجمال والبهاء، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [سورة القيامة:٢٣] -بالظاء- أي: تنظر إلى الله سبحانه وتعالى بأبصارها، فهذه الآية من أصرح ما دل على رؤية الله جل وعلا يوم القيامة وأن تلك الوجوه الحسنة البهية الجميلة تنظر إلى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس:٢٦]، والحسنى هي: الجنة، والزيادة هي: النظر إلى وجه الله جل وعلا، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ أي: أحسنوا في هذه الحياة الدنيا ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لهم الحسنى أي يدخلون الجنة، وزيادة على ذلك وهو النظر إلى الله جل وعلا، جاء في صحيح مسلم (١٨١ -٢٩٧-)، عن صهيب، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسر هذه الآية برؤية الله.

وهكذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ [سورة ق:٣٥] أي: أهل الإيمان لهم ما يشاءون في الجنة ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [سورة ق:٣٥]، وقد فُسر المزيد بالنظر إلى الله سبحانه وتعالى.

وهكذا قال الله تعالى عن الكفار في بيان عقوبته لهم: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [سورة المطففين:١٥]، فذكر الله تعالى أن من عقوبة الكفار أنهم يحجبون عن رؤية الله جل وعلا، فإذا كان الكفار يحجبون عن الله وهذا من العقوبة عليهم؛ كان هذا دليلا على أن المؤمنين يرونه سبحانه وتعالى، فهذا أصل عظيم دل عليه كلام الله جل وعلا، وتواترت به الأحاديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقد جاء في الصحيحين[1] عن جرير بن عبدالله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ**». ومعنى الحديث أي: ترونه في وضوح الرؤية وبيانها وعدم اللبس فيها كما ترون القمر ليلة البدر ليلة اكتماله، فكُلُّ الناس يراه في غاية الوضوح، فكذلك رؤيتهم لله جل وعلا تكون في غاية الوضوح والبيان.

وهذا الأمر العظيم هو أعلى النعيم وأعظم الكرامة التي ينالها المؤمنون في الآخرة، هذا الأمر العظيم له لذة لا توصف، ولذا فقد كان من دعاء النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول كما في حديث عمار بن ياسر عند النسائي (١٣٠٥) وغيره: «**اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ**». ولا شك أن ذلك لذة عظيمة، فإن الإنسان لو أحب أحدا في الدنيا من البشر لتمنى أن يراه وينظر إليه، ولكانت رؤيته له من أعظم ما تَقَرُّ به عينه.

---

(١) البخاري (٥٧٣)، ومسلم (٦٣٣ -٢١١-).

ولذا فإن المؤمنين يغبِطون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على رؤيتهم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان بعض التابعين إذا لقي أحدا من الصحابة يقول له: (نعَّمت عينيك -أو كحلت عينيك- بالنظر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فكيف بالله جلَّ وعلا، كيف بمن عبدتَه طيلة حياتك؟ كيف بمن عظَّمتَه وأحببتَه؟ كيف بمن تحمَّلتَ لأجله كل شيء في هذه الحياة؟ كيف بمن صليتَ له وصمتَ له وأطعتَه وعملت الطاعات من أجله؟

لا شك أن رؤيته من أعظم المطلوب وأكبر المقصود وأعظم ما يتلذَّذ به المؤمنون في الآخرة، بل هو أعظم نعيمهم على الإطلاق أن يروا ربهم عز وجل، نسأل الله أن يرزقنا رؤيته.

وقد أجمع الأنبياء والمرسلون وجميعُ الصحابة والتابعين وجميعُ أئمة الإسلام في كل القرون على الإيمان برؤية الله جل وعلا وإثبات ذلك والإقرار به، ولم يخالف فيه إلا أهل البدع الضالون من الرافضة والخوارج والجهمية وأمثالهم الذين كذَّبوا كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فأنكروا أن يُرَى الله جل وعلا في الآخرة.

أيها الناس، رؤية الله جل وعلا في الآخرة تكون في موضعين وليس معنى قول أهل العلم في موضعين أي: أنها تكون مرتين فقط بل تكون مرات كثيرة، ولكن يُرى الله جل وعلا في هذين الموضعين:

الموضع الأول: يُرى في أرض المحشر قبل المرور على الصراط قبل دخول الجنة، جاء في صحيح مسلم (١٩١ -٣١٦-)، عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تُدْعَى الْأُمَمُ** -أي: في أرض المحشر- **بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ**». سبحانه وتعالى فيرونه.

وجاء في الصحيحين[١] عن أبي هريرة وبنحوه في الصحيحين[٢] عن أبي سعيد الخدري أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل قالوا: يا رسول الله، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَعَمْ، هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟**»، أي: هل يمتنع عليكم ذلك ويحصل لكم فيه ضرر؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: «**وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟**»، قَالُوا: لَا. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**». أي في الوضوح وضوح الرؤية، وليس معنى أن الله تعالى كالشمس والقمر فإن الله تعالى ليس كمثله شيء، ولكن رؤيتكم لله جل وعلا كما ترون الشمس والقمر.

ثم ذكر الحديث قال: «**يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا، فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ**

---

(١) البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢ -٢٩٩-).

(٢) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣ -٣٠٢-).

وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ».

جاء في حديث أبي سعيد: «**فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ**»، وهذا دليل أنهم قد رأوه قبل ذلك. ثم قال: «**فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتَّبِعُونَهُ**».

فهذه الرؤية تكون في أرض المحشر قبل أن يدخلوا الجنة وقبل أن يعبروا على الصراط، وحديث أبي سعيد يدل على أنها تتعدد الرؤية في أرض المحشر.

والموضع الثاني: يرونه سبحانه وتعالى في الجنة، ورؤيته في الجنة هي أعلى النعيم، فكلُّ ما يُعطَاه المؤمنون في الجنة مما يُنعَّمون به أدنى من هذا النعيم الذي هو النظر إليه سبحانه وتعالى، جاء في صحيح مسلم (١٨١ -٢٩٧-)، عن صهيب بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ**»، ثم قرأ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس:٢٦].

وقوله: «**فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ**»، جاء بيانه في حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ** -أي: ضياؤه وبهاؤه- **مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**». ولكن الله يوم القيامة يعطي الناس قوة يحتملون بها رؤيته، وإلا فإن البشر في أصله في هذه الحياة الدنيا لا يطيق رؤية الله جل وعلا.

وقوله: «**حِجَابُهُ النُّورُ**»، جاء في صحيح مسلم (١٧٨ -٢٩٢-) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سئل: يا رسول الله هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ - أي ليلة الإسراء- قَالَ: «**رَأَيْتُ نُورًا**»، لأن الله جل وعلا لا يُرَى في الدنيا إنما تكون رؤيته في الآخرة، وأما في الدنيا فقوة البشر أضعف من أن تحتمل رؤية الله.

ولذا انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [سورة الأعراف:١٤٣]، موسى كليم الرحمن الذي سمع كلام الله وجاء لميقاته اشتاق لرؤيته فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [سورة الأعراف:١٤٣]، فقال الله له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ أي: في الدنيا ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ [سورة الأعراف:١٤٣]، تجلى الله جل وعلا للجبل فاندك وصار ترابا، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [سورة الأعراف:١٤٣]، فالله جل وعلا لا يُرى في الدنيا.

---

(١) رواه مسلم (١٧٩ -٢٩٣-).

جاء في صحيح مسلم (٢٩٣٠ -١٦٩-)، عن بعض أصحاب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: «**تَعَلَّمُوا** -أي: اعلموا- **أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ**». فلن يرى أحد ربه حتى يموت، فإذا كان في يوم القيامة رآه المؤمنون، إذن في الجنة يكشف الله تعالى الحجاب فيرونه وما أُعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل.

وجاء في الصحيحين[1] عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا**»، الجِنان كثيرة بعض الجِنان من الفضة، بيوتها من الفضة، وآنيتها من الفضة، وأثاث قصورها من الفضة، ومن الجنان ما هو من الذهب بيوتها وآنيتها وأثاثها وما فيها، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ** -أي: أهل الجنة- **وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**». فإذا كشف هذا الحجاب رآه المؤمنون في الجنة وكان هذا أعظم نعيم لهم.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠ -٢٩٦-).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليم كثيراً.

أيها الناس، إن رؤية الله سبحانه وتعالى ينالها المؤمنون، ينالها من يدخل الجنة، وأما من لا يدخل الجنة فإنه محروم من رؤية الله سبحانه وتعالى، ولذا فإن لرؤية الله تعالى في الآخرة أسبابا يُحَصِّلها المؤمن في هذه الحياة الدنيا، فمن هذه الأسباب:

١- تحقيق الإيمان بالله، فإن أهل الإيمان هم الذين يرون الله، وأما أهل الكفر وأهل الشرك فإنهم محجوبون عن رؤيته سبحانه، قال الله تعالى عنهم: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [سورة المطففين:١٥]، فالكفار يُحْجَبُون عن ربهم عز وجل يوم القيامة.

٢- هكذا رؤية الله تُنَال بتحقيق الإحسان، الإحسان فيما بين العبد وبين الله وهو المراقبة وأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والإحسان في معاملة الخلق قال الله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [سورة يونس:٢٦]، فَوَعَدَ الله المحسنين بالحسنى، وزيادة على الحسنى وهي رؤية الله جل وعلا.

٣- وهكذا رؤية الله تُنَال بالإخلاص لله والمتابعة لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [سورة الكهف:١١٠]، أي: رؤية ربه، فإن اللقاء يتضمن

الرؤية، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف:١١٠]، فمن عمل العمل الصالح ولم يشرك بعبادة ربه أحدا كان ممن يرى الله جل وعلا يوم القيامة.

٤-أيضًا من أعظم ما تُنال به رؤية الله: المحافظة على صلاة الفجر وصلاة العصر، فقد قرنها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ برؤية الله في حديث جرير بن عبدالله الذي في الصحيحين[١] أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**»، فلما ذكر نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رؤية الله جل وعلا في الآخرة حثَّ على هاتين الصلاتين بقوله: «**فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ** -وهي الفجر- **وَقَبْلَ غُرُوبِهَا** -وهي العصر- **فَافْعَلُوا**». فإنكم بذلك تنالون رؤية الله جل وعلا.

٥- هكذا مما تُنال به رؤية الله في الآخرة: أن يسأل الله تعالى ذلك في الدنيا، فقد كان من هدي نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه يسأل الله تعالى رؤيته، ويدعو الله تعالى بذلك، جاء في حديث عمار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الإمام النسائي (١٣٠٥)، وغيره أنه كان من دعاء النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حديث طويل يقول في أوله: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ ؛ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا**

---

(١) البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣ -٢١١-).

لِي»، ثم يقول: «**وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ**». فمما تنال به رؤية الله في الآخرة أن المؤمن يسأل الله تعالى ذلك في الدنيا كما هو من هدي نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

عباد الله، هذا أمرٌ عظيم، هذا مطلبُ كلِّ مؤمن، هذا مطلبُ كلِّ مُتَّقٍ لله جل وعلا، فالجميع يطمع أن يرى إلهه وخالقه ومعبوده الذي خلقه وأوجده وأعطاه وأمدَّه وأنعم عليه في هذه الحياة الدنيا، يطمع أن يرى معبوده الذي عبده في هذه الحياة الدنيا وتقرب إليه، فمطلب كل مؤمن أن يرى الله جل وعلا يوم القيامة إيمانا بهذه الأدلة من كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وليحذر المؤمن من شبهات الضالين المضلين الذين يُكذِّبون بهذا الأمر، فإن الأمر خطير وليس باليسير، إن إنكار ذلك تكذيب لله وتكذيب لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونحن في زمن يشيع فيه الرافضة وأمثالهم من الضالين أن الله تعالى لا يُرَى في الآخرة ويكذبون بهذه الأدلة، وهذا من الضلال.

قيل للإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما قولك في من أنكر رؤية الله في الآخرة؟ قال: السيف السيف)، أي: أن هذه رِدَّة، ومن فعل ذلك يستحق أن يقام عليه الحد بقتله.

وقيل للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن فلانا يقول لا يُرى الله في الآخرة؟ قال: فغضب غضبًا شديداً وقال: من أنكر أن الله تعالى يُرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه كائنًا من كان من الناس).

وهكذا تواتر مثل هذا الكلام عن السلف حتى كان بعض الأئمة كالإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (نرجو الله جل وعلا أن يحرم جهما وأصحابه رؤيته يوم القيامة كما أنكروها في الحياة الدنيا).

فكان السلف يدعون على من أنكر رؤية الله في الدنيا أن الله تعالى يحرمه منها في الآخرة؛ لأن هذا الأمر كما تقدم تكذيب لكلام الله وكلام رسوله.

وأنبياءُ الله ورسلُه كلُّهم متفقون على الإيمان بذلك والإقرار به، حتى إن موسى سأل ربه أن يراه في الدنيا لشوقه إليه، وهكذا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان من سؤاله أن ينال لذة النظر إلى الله سبحانه وتعالى، فهذا أمر عظيم ومطلب كبير، هو مطلبٌ لكل مؤمن في هذه الحياة أن يسعى في الأسباب التي ينال بها رؤية الله سبحانه وتعالى.

فنسأل الله جل وعلا لذة النظر إلى وجهه والشوق إلى لقائه من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار. اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين.

اللهم أذل الكفر والكافرين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا ويسر لهم البطانة الصالحة التي تدلهم على الخير وتحضُّهم عليه. والحمد لله رب العالمين.

(٢٠) الإيمان باليوم الآخر (١٢- الجنة والنار)

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لا زال حديثنا عما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان، فمن الإيمان باليوم الآخر؛ الإيمان بالجنة والنار.

الجنة والنار هي دار القرار التي يستقر فيها الخلق، فإن الناس يعيشون في دار الدنيا، ثم ينتقلون إلى دار البرزخ وهي الدار التي بين الدنيا والآخرة، ثم ينتهي سيرهم إلى دار القرار فيستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

هذه الدار التي هي نهاية مسير الناس، ونهاية ما يعملونه ويقدمونه يجدونه في تلك الدار، فالجنة هي دار الثواب لمن أطاع الله يثيبهم الله جل وعلا بها وبما فيها من النعيم، والنار هي دار العقاب لمن عصى الله جل وعلا وخالف أمره وكذَّب أنبياءه ورسله، فنؤمن أن الجنة والنار حق ثابت لا شك فيه ولا ريب، وهي من الإيمان بالغيب، فإنها غائبة عنا لا نراها، وهي من أركان الإيمان، فهي من الإيمان باليوم الآخر الذي لا يصح إيمان عبدٍ إلا بتحقيق ذلك.

فمن إيماننا بالجنة والنار: أن نؤمن أنهما مخلوقتان موجودتان الآن قد خلقهما الله تعالى وأوجدهما، فقد وصف الله تعالى الجنة والنار بوصف الموجود، فقال سبحانه في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة آل عمران:١٣٣]، وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة البقرة:٢٤]، ومعنى ﴿أُعِدَّتْ﴾ أي: هُيِّئت وجُهِّزت، والشيء المُعَدُّ هو الشيء الموجود، فالله جل وعلا قد أعدها وهيأها، هيأ الجنة لأهلها والنار لأهلها.

جاء في الصحيحين[١] أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ، وَالنَّارُ آنِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ، فَلَمْ أَرَ كَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ**».

جاء في بعض الروايات[٢]: «**إِنِّي أُرِيتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا**».

لو أخذت هذا العنقود الواحد من عناقيد الجنة لأكلتم منه مدة بقاء الدنيا. و«**رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا**».

وفي الصحيحين[٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**». أعدَّ الله ذلك وهيَّأه لأهله.

وهكذا في الصحيحين[٤] عن أسامة بن زيد وجاء عن عمران بن حصين وغيرهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ** -أي: الأموال والغنى- **مَحْبُوسُونَ غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ**».

---

(١) البخاري (٥٤٠)، ومسلم (٢٣٥٩ -١٣٤-).

(٢) البخاري (٧٤٨)، ومسلم (٩٠٧ -١٧-)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤ -٢-).

(٤) البخاري (٥١٩٦)، ومسلم (٢٧٣٦ -٩٢-).

فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أطلعه الله تعالى على بعض ما في الجنة وبعض ما في النار، ورأى ذلك؛ ولا يكون ذلك إلا وهي مهيَّأة موجودة.

وجاء في سنن الترمذي (٢٥٦٠)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا. قَالَ: فَجَاءَهَا، وَنَظَرَ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ، لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ**»، جُعلت عليها المكاره، فلا يصل الجنة أحد إلا بعد أن يجاوز هذه المكاره التي تكرهها النفوس.

«**فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا. قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ.**

قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ، فَانْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا. فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ». أي كل ما تشتهيه النفوس جُعل على طريق النار -والعياذ بالله-.

«**فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا. فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا**».

فنؤمن أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن، فوجود الجنة فوق السماء السابعة، ووجود النار في الأرض السفلى، فإن الأرضين سبْعٌ كما أن السماوات سبعٌ، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [سورة الطلاق:١٢]،

فالسماوات سبع والأرضون سبع، فالجنة فوق السماء السابعة، والنار في الأرض السفلى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [سورة النجم:١٣-١٥]، أي: عند سدرة المنتهى جنة المأوى، وسدرة المنتهى فوق السماء السابعة، وسُمِّيت بسدرة المنتهى لأنه ينتهي إليها الأمر النازل من فوقها ثم يُؤخذ منها، وينتهي إليها الأمر الصاعد من تحتها ثم يُؤخذ منها، فالجنة عند سدرة المنتهى.

وهكذا قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة المطففين:١٨]، وعليون موضع في الجنة تكون فيه أرواح المؤمنين وهو في السماء السابعة، جاء في حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الإمام أحمد (١٨٥٣٤)، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما ذكر المؤمن وقبض روحه قال: «**فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ**»، في السماء السابعة.

وهكذا أخبرنا نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن العرش سقف جنة الفردوس، والعرش أعلى المخلوقات فوق السماوات، بل فوق السماء السابعة بحرٌ بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، وفوق هذا البحر العرش وهو سقف جنة الفردوس، جاء في صحيح البخاري (٢٧٩٠)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**».

ومعنى: «**أَوْسَطُ الْجَنَّةِ**» أي: أفضلُ موضع فيها وأخيرُه، فهذا الحديث يدل على أنه ليس فوق جنة الفردوس إلا عرش الرحمن جل جلاله، فالجنة فوق السماوات، والنار في الأرض السفلى، قال: «**فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ، فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى**»، وسجين موضع في النار تكون فيه أرواح الكفار، وهو في الأرض السفلى، فنؤمن بذلك، أن الجنة فوق السماوات وأن النار في الأرض السفلى.

كذلك من إيماننا بالجنة والنار: أن نؤمن بأن الجنة جنان كثيرة وليست جنة واحدة بل هي جنان يختلف فيها النعيم وتختلف فيها منازل الناس، جاء في صحيح البخاري (٢٨٠٩) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن أم حارثة ابن سراقة حين قتل ولدها حارثة بسهم عن طريق الخطأ في يوم بدر، أتت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ، قال: «**يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى**»، فهي جنان كثيرة مختلفة النعيم متفاوتة فيما فيها.

وجاء في الصحيحين[1] عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**».

---

(١) البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠ -٢٩٦-).

«**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ**» كل ما فيها فضة أوانيها وقصورها وأثاثها، وكلُّ ما فيها من الفضة، «**وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ**» آنيتهما من الذهب وقصورهما من الذهب وأثاثهما من الذهب وكلُّ ما فيهما من الذهب.

فنؤمن بأنها جنان كثيرة، جنة عدن، جنة الخلد، جنة الفردوس، جنان كثيرة لمن كتب الله تعالى له النعيم فيها، وأهلُها في مراتب متفاوتة فيها.

أيضاً وصف الله تعالى في آخر سورة الرحمن جنتين بأوصاف ثم وصف بعدهما جنتين أخريين بأوصاف، قال الله تعالى في الجنتين الأوليين التي هي أعلى في النعيم: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الرحمن:٤٦].

ثم وصف هاتين الجنتين، فقال في وصفهما: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الرحمن:٤٨]، ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الرحمن:٥٠]، ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الرحمن:٥٢]، ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الرحمن:٥٤]، ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾، ثم قال في وصفهن: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الرحمن:٥٨].

فوصف الله تعالى هاتين الجنتين بهذه الأوصاف، ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الرحمن:٦٢] من دونهما أي: أدنى منهما في الرتبة والمنزلة، ثم وصف هاتين الجنتين التي هي دون الجنتين الأوليين فقال: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة الرحمن:٦٤]، أي: خضراوان شديدة الخضرة ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الرحمن:٦٦] فوصف

العينين بأنهما نضاختان، وقال في الجنتين الأولين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الرحمن:٥٠]، والجارية أبلغ من النَّضَّاخة.

ثم قال بعد ذلك: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الرحمن:٦٨]، وفي الأولى قال: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الرحمن:٥٢]، أي: نوعان، بخلاف هاتين الجنتين ففيهما نوع واحد، ثم قال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الرحمن:٧٠]. ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الرحمن:٧٢]، بخلاف الجنتين الأوليين فقال في وصف نسائها: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾﴾، ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الرحمن:٥٨]، وهذا الوصف أبلغ، فإن قاصرات الطرف بمعنى اللاتي قَصَرْنَ طرفهن على أزواجهن فلم يطمعن في غيرهم، وكذلك قصرن طرف أزواجهن عليهن لحسنهن وجمالهن فلم يطمعوا في غيرهن، وهذا أبلغ من ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾.

وهكذا قال في وصف نساء الجنتين الأولين: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ ولم يقل ذلك في نساء الجنتين الأخريين، ثم قال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة الرحمن:٧٦]، وقال في الجنتين الأوليين: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الرحمن:٥٤] وهذا أبلغ.

فهي جنان أعدها الله سبحانه وتعالى لمن أطاعه وتقرب إليه في هذه الدنيا.

كذلك النار، النار دركات وطبقات يختلف بعضها عن بعض، منها ما هو حار شديد الحرارة يُعَذَّب أهلُه بحرارته، ومنها ما هو بارد شديد البرودة يُعذَّب أهلُه ببرودته.

جاء في الصحيحين[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: رَبِّ، أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا. فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ؛ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ بَرْدٍ، أَوْ زَمْهَرِيرٍ فَمِنْ نَفَسِ جَهَنَّمَ، وَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ حَرٍّ، أَوْ حَرُورٍ فَمِنْ نَفَسِ جَهَنَّمَ**».

وفي رواية: «**فَهو أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ**». فليست النار كلها حارة يعذب أهلها بحرارتها بل فيها مواطن يعذب أهلها بشدة برودتها، وهذا من أشد ما يكون في العذاب أن تكون نار حارة شديدة ثم بعدها برد قارسة شديدة، ولذا قال الله تعالى في أهل الجنة: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [سورة الإنسان:١٣]، فالجنة ليس فيها حر شديد وليس فيها برد شديد وهو الزمهرير، بخلاف النار فيعذب أهلها بصنفي العذاب.

فإيماننا بالجنة والنار أن الجنة جنان كثيرة وأن النار فيها دركات أعد الله سبحانه وتعالى كل موضع فيها لمن يستحقه.

نسأل الله السلامة والعافية، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧ -١٨٥-).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمـًا كثيراً.

أيها الناس، من إيماننا بالجنة والنار: أن نؤمن أن الجنة والنار دائمتان أبديتان لا تفنيان ولا تزولان، ولا يفنى ما فيهما من النعيم والعذاب، ولا يفنى أهلها الذين هم فيها بل الكل فيها باق أبد الآبدين إلى ما لا نهاية، أهل الجنة في نعيم مستمر لا ينقضي وأهل النار في عذاب مستمر لا ينقضي، قال الله تعالى في الجنة: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [سورة النساء:٥٧]، وقال في النار: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [سورة النساء:١٦٩]، فأهل النار خالدون فيها أبدا وأهل الجنة خالدون فيها أبدا.

وقال الله تعالى عن الجنة: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [سورة الرعد:٣٥] أكلها دائم أي مستمر لا ينقضي وكذلك ظلها، وقال الله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ [سورة الواقعة:٣٢-٣٣]، مستمرة لا تنقطع عنهم أبدا، وقال الله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾ [سورة فصلت:٨]، أي: غير منقطع.

وهكذا أخبر الله تعالى في آيات كثيرة أن أهل الجنة يخلدون فيها وأن أهل النار يخلدون فيها، والموت الذي هو مفارقة الحياة يُذبَح، وليس معنى ذبح الموت أن الذي يُذبَح هو ملك الموت، بل الموت نفسه هذا الشيء الذي هو معنوي، وهو

مخلوق من مخلوقات الله، يجعله الله يوم القيامة شيئًا حسيًّا على صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، ليبأس الجميع من الموت.

جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري[١] وهو أيضًا في الصحيحين عن ابن عمر[٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَيَشْرَئِبُّونَ، وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ. ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ. فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ. فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ**».

ثم قرأ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة مريم:٣٩]، فالجنة والنار أبدية باقية إلى ما لا نهاية، الجنة والنار مستمرة بما فيها وبأهلها لا يموتون فيها أبدا.

وهكذا جاء في صحيح مسلم (٢٨٣٧ -٢٢-)، عن أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا**

---

(١) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩ -٤٠-).

(٢) البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠ -٤٣-).

فَلَا تَبْتَئِسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ [سورة الأعراف:٤٣]».

فالجنة والنار أبديتان، وهذا مما دلت عليه الأدلة الكثيرة في كلام الله وكلام رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهذا كما أنه أَمْرٌ من أمور الاعتقاد، أيضًا هو موعظة بليغة للمؤمن، فمن الذي يرضى بتضييع ذلك العيش الباقي بهذا العيش الفاني؟! كم من إنسان ضيَّع ذلك العيش الذي لا نهاية له بعيشٍ فانٍ، بعيشٍ زائل في هذه الحياة الدنيا، فمعرفة أبدية الجنة والنار موعظة لكل مؤمن أن لا يضيع ذلك العيش الأبدي الذي لا يفنى ولا يزول بهذا العيش الزائل؟! بهذه الحياة المُنَغَّصة بكل الأكدار والمنغصات؟!.

أيها الناس، هذا من إيماننا باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان، إيماننا بالجنة والنار.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الجنة وأن يعيذنا من النار.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أذل الكفر والكافرين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم يسر لهم البطانة الصالحة التي تدلهم على الخير وتحضهم عليه، اللهم خذ بأيديهم إلى الخير يا رب العالمين.

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

والحمد لله رب العالمين.



(٢١) حقوق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضى الحديث عنه ذكرُ ما يتعلق بأصول الإيمان، وما يجب على المسلم أن يحققه ويؤمن به من المعتقد الصحيح الذي يتعلق بهذه الأركان الستة أركان الإيمان، ولا يزال حديثنا عن العقيدة الصحيحة وما يتعلق بها.

وإن من أبواب العقيدة التي يجب على المسلم أن يحقق الإيمان بها، الإيمان بما لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحقوق على أمته، وبما أوجبه الله تعالى عليهم تجاهه.

فإن نبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خير من خلق الله وخير من وُجد في هذا الكون، وقد جعل الله تعالى له حقوقًا يجب على المؤمن أن يؤديها، بل لا يتم إيمانه إلا بها كما قال نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**».(١) وقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في صحيح البخاري (٦٦٣٢): يَا رَسُولَ اللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**». فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْآنَ يَا عُمَرُ**».

وأوجب الله سبحانه وتعالى على أمته محبَّتَه وتعظيمَه وتوقيرَه، وأوجب عليهم طاعتَه والإيمانَ به واتباعَه وأن لا يُتَّبَعَ أحد على وجه الإطلاق سواه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فمِن حقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤ -٧٠-)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري (١٤).

١- أنه يجب الإيمان به، يجب الإيمان بأن الله تعالى أرسله للناس كافة، وأنه رسول الله حقًّا ونبي الله صدقًا لا شك في ذلك ولا ريب، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة الأحزاب:٤٠].

٢- هكذا يجب اتباعه، فهو المتبوع في هذه الأمة دون من سواه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يجوز متابعة أحد من الخلق على وجه الإطلاق سواه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكم أمر الله سبحانه وتعالى باتباعه واتباع ما جاء به واتباع دينه الذي دعا إليه.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران:٣١].

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [سورة المائدة:٩٢].

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [سورة الأعراف:٣]، أي: على لسان رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [سورة الأعراف:٣].

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [سورة الحشر:٧].

٣- هكذا يجب تعظيمه وتوقيره وإجلاله والدفاع عنه، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [سورة الفتح:٨-٩].

فيجب تعظيمه وتوقيره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بل مَن تنقَّصه أو سبَّه فدَمُهُ هَدَر، يُقتل ردّةً إن لم يتب، فإن تاب وأعلن توبته فيُقتل حدًّا انتصاراً وانتصافاً لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا أوجب الله على أمته من الحق.

وفي الحديث الذي رواه أهل السنن: أن امرأة أصبحت مقتولة في زمن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فجمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس فقال: «**أَنْشُدُ اللهَ رَجُلًا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ**»، فَقَامَ الْأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ يَتَزَلْزَلُ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا صَاحِبُهَا؛ كَانَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَخَذْتُ الْمِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ**».(١)

فمن حقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وجوبُ تعظيمِه واحترامِه، ومن تنقصه أو سبه كفر ودمه هدر.

٤- من حقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: اعتقاد عصمته وأن الله جل وعلا عصمه من الشرك، وعصمه من الكفر، وعصمه من كتمان الوحي، وعصمه من كبائر الذنوب، وعصمه من صغائر الخسة التي تقدح فيه، عصمه الله وأبعده عن ذلك كله.

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٦١)، والنسائي (٤٠٦٠)، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٥- من حقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أن نؤمن أنه أفضل الخلق على الإطلاق، فلم يخلق الله جل وعلا مخلوقاً كمحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، جاء في الصحيحين[١] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديث الشفاعة الطويل، أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، سيدُّهم أي: أفضلُهم وأكملُهم وأعلاهم مرتبة، فهو سيد الناس أجمعين من سائر مخلوقات الله، وجاء في صحيح مسلم (٢٢٧٨ -٣-)، عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه خص ذلك بولد آدم فقال: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**».

ومما يبين فضله وما له من المنزلة العظيمة: ما خصه الله جل وعلا به دون سائر الأنبياء، فقد خص الله جل وعلا نبيه بخصائص لم تكن لغيره من أنبياء الله، وقد جمعها العلماء في مؤلفات مستقلة بينوا فيها خصائص الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومن أشهر خصائصه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما جاء في حديث جابر في الصحيحين[٢] أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا؛ فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**».

فهذه خمس ليست لأحد سواه من أنبياء الله، «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي**».

---

(١) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤ -٣٢٧-).

(٢) البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١ -٣-).

١- «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**»، كان أعداؤه يسمعون به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبينهم وبينه مسيرة شهر فيخافون ويصيبهم الرعب، فإما أن يفروا من بلدانهم ويتركوها بما فيها للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللمؤمنين، وإما أن يصالحوه، وإما أن يأتيهم ونفوسهم منكسرة فيهزمهم ويقهرهم، فنصره الله جل وعلا بهذا النصر العظيم وهو الرعب الذي يقذفه الله في قلوب الكافرين، «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**».

٢- «**وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ**»، كان من سبق من الأمم لا يصلون إلا في بيعهم وكنائسهم، وكانوا يتوضؤون بالماء، فأكرم الله نبيه وهذه الأمة فأحل لهم التيمم بالتراب، وأحل لهم أن يصلوا في أي موضع تدركهم فيه الصلاة.

٣- «**وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي**»، الغنائم هي الأموال التي تؤخذ من الكافرين بعد قتالهم، وكانت الغنائم محرمة على الأنبياء قبله إنما كانت تُجمع فتنزل نار من السماء فتحرقها، فلما بعث الله نبيه أحل له الغنائم.

٤- «**وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**»، وقد أعطي شفاعات كثيرة ليست لأحد من الخلق سواه، فأُعطي الشفاعة العظمى، وأعطي الشفاعة في دخول الجنة، وأعطي الشفاعة في عمه أبي طالب حتى خُفِّف عنه من العذاب، وغير ذلك.

٥- «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»، كان النبي يبعث إلى بلده وقبيلته على وجه الخصوص، وربما وُجد في الزمن الواحد والبلدان المتقاربة أنبياء كثير، فلما بعث الله نبيه جعله رسولاً إلى كل أهل الأرض، إلى الجن والإنس،

ولا يسمع به أحد حي فلم يؤمن به إلا كان من أهل النار، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**».

وكانت رسالته ناسخة لما قبلها من الرسالات والشرائع، وكتابه ناسخ لما قبله من الكتب، فلا يصح إيمان أحد بعد بعثة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلا أن يؤمن به؛ لأن رسالته عامة إلى الجن والإنس، قال الله جل وعلا عنه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سورة سبأ:٢٨]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧]، فهو رسول الله إلى الناس كافة، وهو رسول الله إلى جميع العالمين لا يُستثنى منهم أحد.

٦- هكذا من خصائصه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم (٢٢٧٨ -٣-) أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**».

٧- أول من ينشق عنه القبر ويُبعث حين النفخ في الصور هو نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وهكذا خصه الله تعالى بالشفاعة.

٨- خصه الله تعالى بالمقام المحمود الذي وعده به في القرآن بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [سورة الإسراء:٧٩]، مقاما يحمدك عليه جميع الخلق، وهذا المقام هو في يوم القيامة، حين يشفع إلى ربه

جل وعلا أن يقضي بين الناس بعد أن يعتذر جميع الأنبياء عن هذه الشفاعة، وذلك حين يبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون في أرض المحشر، فيأتون إلى خيار أنبياء الله إلى نوح ثم إلى إبراهيم ثم إلى موسى ثم إلى عيسى ويقولون لهم: ألا تروا إلى ما بلغنا؟! ألا تروا إلى ما نحن فيه؟! اشفعوا لنا عند الله جل وعلا!.

فكل واحد من الأنبياء يجيب: «**نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**»، فيأتون إلى محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيقولون له: «**يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟**»، فيأتي تحت العرش ويسجد لله، ويثني عليه، فيقول الله له: «**يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»[(١)].

فيشفع في الناس أن الله جل وعلا يقضي بينهم وهناك يظهر فضله على جميع الخلق ويحمده كل أهل الموقف على هذا المقام العظيم.

٩- وهكذا خصه الله بالشفاعة في دخول الجنة، فلا يدخل أحد الجنة إلا بعد شفاعته، جاء في صحيح مسلم (١٩٧ -٣٣٣-)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، «**فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟**

(١) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤ -٣٢٧-).

فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»، فيستفتح الجنة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وتكون أمته أول من يدخل الجنة، ثم سائر الخلق يدخلون إذا دخل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأمته الجنة.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

أيها الناس، من خصائصه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

١٠- أن الله أكرمه أنه وأمته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أول من يمر على الصراط قبل كل الأمم، جاء في الصحيحين[١] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ**». فهم أول من يجيز الصراط، وهم أول من يدخل الجنة، وهم أول من يحاسب من الأمم، كما قال نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»،[٢] أي: نحن الآخرون في الدنيا نحن الآخرون في الزمن، فإن هذه الأمة آخر الأمم، ونحن السابقون يوم القيامة، جعل الله لهذه الأمة السبق، والمنزلة العظيمة تبعًا لنبيها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما له من السبق والمنزلة العظيمة.

١١- من خصائصه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أن الله ختم به النبوة، فليس بعده نبي ولا رسول، وكل من ادعى النبوة بعده فهو إما زنديق لا يؤمن بنبوته، أو مجنون اختل

---

(١) البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢ -٢٩٩-).

(٢) البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥ -٢١-)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

عقله، فإن الله سبحانه وتعالى قال عنه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة الأحزاب:٤٠]، والخاتم هو الذي يختم به الشيء فيكون آخره وليس بعده شيء، فهو خاتم النبيين، أي: آخرهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

جاء في حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين[1] حين جعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًّا في المدينة وخرج إلى غزوة تبوك، فتبعه عليٌّ حين طعن فيه المنافقون وقالوا: إنما خلَّفه مع النساء والصبيان لثقله عليه، فقال: يا رسول الله ما يقول الناس؟ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**».

ومعنى قوله: «**أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى**» أن موسى حين خرج لميقات ربه خلَّف أخاه هارون على بني إسرائيل في قومه، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما خرج لقتال الروم خلَّف عليًّا في أمته في المدينة، فكان منه في هذا الأمر بمنزلة هارون من موسى، ثم قال: «**إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»، فالنبوة قد ختمت.

وفي صحيح مسلم (٥٢٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**».

---

(١) البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤ -٣١-).

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**».

١٢- ومن خصائصه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أنه أكثر الأنبياء تابعًا يوم القيامة، فهو أكثر الأنبياء تبعًا، وليس أحد من الأنبياء اتبعه وآمن به وصدَّقه مثل من اتبع نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآمن به وصدَّقه، وكل ذلك في ميزان حسناته، جاء في الصحيحين[١] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ** -والرهط ما بين الثلاثة والعشرة-، **وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ** -أي: خلق كثير رأيتهم-، **فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ** -أي: بشر وأناس كثير-، **ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ. فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**».

فهو أكثر الأنبياء تبعا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وجاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين[٢] أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا**

(١) البخاري (٥٧٥٢) ومسلم (٢٢٠ -٣٧٤-).

(٢) رواه البخاري (٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٢ -٣٢٩-).

أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فحقَّق الله له ما رجاه وأعطاه ما تمناه فكان أكثر الأنبياء تبعا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وفي صحيح مسلم (١٩٦ -٣٣٠-)، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**».

بل أخبرنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن ثلثي أهل الجنة من أمته، جاء في حديث أبي سعيد في الصحيحين(١) حين ذكر أنه يدخل النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون يكونون في النار وواحد في الجنة، قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ قال: «**أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ**»، ثم قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». قالوا: فَحَمِدْنَا اللهَ، وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». قالوا: فَحَمِدْنَا اللهَ، وَكَبَّرْنَا.

ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ**». فنسبة هذه الأمة إلى الأمم شيء يسير جداً كشعرةٍ واحدة في جلد ثورٍ، ومع ذلك رجا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يكونوا نصف أهل الجنة.

---

(١) البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢٢ -٣٧٩-).

وهذا في أول الأمر، ثم جزم أن هذه الأمة ثلثي أهل الجنة حين أوحى الله إليه ذلك، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ؛ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ**»(١).

إذن، كانت هذه الأمة أتباع محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثلثي أهل الجنة رغم أنهم آخر الأمم ورغم أنهم في الأمم كشيء يسير لا يكاد يُذكر، فحقق الله له ما رجاه وكان أكثر الأنبياء تبعا.

١٣- من خصائصه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أن الله خصَّه بدرجة في الجنة ليست لأحد من الخلق، وهي الوسيلة التي هي منزلة في الجنة لا ينالها أحد إلا هو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، جاء في صحيح مسلم (٣٨٤ -١١-)، عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ...**». منزلة لا تكون إلا لرجل واحد، رجا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يكون هو ذلك الرجل الذي يعطيه الله جل وعلا الوسيلة، وهي منزلة في الجنة عالية رفيعة ليست لأحد من الناس سواه.

وهكذا كم يَعُدُّ العاد من خصائص نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وما له من الفضل العظيم، وكل ذلك يدل على أنه أفضل الأنبياء والرسل، وخير من خلق الله جل وعلا في هذا

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٤٦)، وأحمد (٢٢٩٤٠)، عن بريدة بن الحصيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الكون، فيجب الإيمان بذلك، ويجب تعظيمه، ويجب الثناء عليه، ويجب توقيره، ويجب الدفاع عنه وعن دينه وسنته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فهذا من صميم ما يعتقده المسلم، ومن أوجب ما أوجبه الله جل وعلا عليه.

نسأل الله جل وعلا أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الكفر والكافرين.

اللهم عليك باليهود المعتدين، اللهم عليك باليهود والنصارى والرافضة الزنادقة المعتدين، اللهم كُفَّ شرهم وبأسهم عن الإسلام والمسلمين.

اللهم وأنجِ المستضعفين من المؤمنين في فلسطين، اللهم فرج عنهم ما هم فيه برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أنجهم من القوم الظالمين ولا تجعلهم فتنة للقوم الكافرين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين.

(٢٢) حقوق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كنا تحدثنا فيما مضى عن حقوق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته، وأن ذلك مما يجب على المسلم اعتقاده، وإن أفضل الناس بعد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من غير الأنبياء هم صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهم أفضل الخلق بعد أنبياء الله جل وعلا ورسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، جاء في مسند الإمام أحمد (٣٦٠٠)، عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: (إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ).

فخير قلوب العباد وأطهر قلوب العباد وأبرُّ قلوب العباد بعد أنبياء الله هي قلوب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

جاء أيضاً عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن عبد البر في "الجامع" (١٨١٠)، وعند الهروي في "ذم الكلام" (٧٤٦)، أنه قال: (مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا وَأَحْسَنَهَا حَالًا، قَوْمًا اخْتَارَهُمُ اللهُ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ).

فأصحاب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هم أبرُّ هذه الأمة قلوباً، وهم أحسن هذه الأمة أخلاقاً، وهم أقومهم هدياً، وأفضلهم عملاً، لن يأتِ بعدهم من يبلغ مرتبتهم مهما فعل.

أثنى الله جل وعلا عليهم، ليس في القرآن فقط، بل في الكتب المتقدمة، وأثنى عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً، ونزل القرآن بالثناء عليهم وبيان فضلهم.

قال الله سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [سورة الفتح:٢٩] وهم أصحابه، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [سورة الفتح:٢٩]، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ﴾ [سورة الفتح:٢٩]، أي: هذا الثناء الذي أثنى الله به عليهم في التوراة، وهو الكتاب الذي أنزله الله جل وعلا على موسى عليه السلام.

ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾ [سورة الفتح:٢٩]، هذا مثلهم في الإنجيل، وهو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أثنى الله عليهم في كتبه، وعظَّمهم وذكر فضلهم.

أخبرنا الله جل وعلا أنه رضي عنهم، وما بالك بقوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟ ماذا يكون لهم من الفضل والمنزلة وقد رضي الله جل وعلا عنهم؟ ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [سورة الفتح:١٨]، وكانوا نحو ألف وخمسمائة الذين بايعوا تحت الشجرة، وكلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا تعديل من الله تعالى لهم، لأن من رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهو عدْل، فليس في الصحابة من هو مجروح أو مطعون في عدالته، ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ

وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الفتح:١٨]، وهكذا علم الله ما في قلوبهم، علم أن قلوبهم صادقة، علم أن قلوبهم فيها الإيمان والتقوى كما قال الله سبحانه عنهم بعد هذه الآيات: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ﴾ [سورة الفتح:٢٦]، وهذه شهادة من الله أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أحقُّ الناس بالتقوى، وأنهم أهلُها المستحقون لها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وأخبر الله تعالى أنهم جميعًا في الجنة أولهم وآخرهم، مَن تقدم إسلامه منهم ومن تأخر إسلامه منهم، قال الله جل وعلا عنهم: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ﴾ [سورة الحديد:١٠]، الفتح في هذه الآية هو صلح الحديبية، وهذا هو الفاصل بين السابقين الأولين وبين المتأخرين، فالسابقون من الصحابة من أسلموا وأنفقوا وقاتلوا قبل صلح الحديبية، والمتأخرون من أسلموا وأنفقوا وقاتلوا بعد صلح الحديبية، ولا شك أن السابقين أفضل، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾.

ثم قال الله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾ [سورة الحديد:١٠]، كلهم، الذين أسلموا قبل الفتح وأنفقوا وقاتلوا والذين أسلموا بعد الفتح وأنفقوا وقاتلوا، كلهم وعدهم الله بالجنة، فكل أصحاب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الجنة ويزكيهم.

بل شهد الله جل وعلا بالجنة لمن سار على طريقتهم واتبع آثارهم، فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [سورة التوبة:١٠٠]، وهم الصحابة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ [سورة التوبة:١٠٠]، أي: جاءوا بعدهم وساروا على طريقتهم، ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة التوبة:١٠٠]، فالصحابة ومن اتبعهم بإحسان كلهم موعودون بالجنة وكلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فهم أناس اختصهم الله بالفضائل والمكرمات، واختارهم من بين سائر الخلق لصحبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكم أثنى الله جل وعلا عليهم في القرآن، أثنى عليهم كثيراً وبيَّن فضلهم ومنزلتهم، وبيَّن أعمالهم وشهد لهم بالصدق، وأخبر عنهم بالفلاح، وشهد لهم بالإيمان، وزكَّاهم أعظم التزكية، كما قال الله جل وعلا: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ [سورة الحشر:٨]، وهذه الآيات في سياق ذكر الفيء، أين يقسم؟

والفيء هو ما أخذه المسلمون من الكفار من غير قتال، ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الحشر:٨]، انظر هذه التزاكي من الله جل وعلا، أخبر الله عنهم بالصدق، وأخبر الله عنهم أنهم ينصرون الله ورسوله، وأخبر الله تعالى أنهم يبتغون الأجر والفضل من الله لا يريدون الدنيا، فهذه تزكية الله وشهادته للمهاجرين.

ثم زكَّى الأنصار فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [سورة الحشر:٩]، ثم أخبر عن الذين جاءوا من بعدهم أنهم يذكرونهم بالخير ويثنون عليهم، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ [سورة الحشر:١٠]، فهذا واجب الذين جاءوا بعد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهي شاملة لكل من جاء بعد الصحابة إلى يومنا هذا، يجب عليهم أن يكونوا كذلك، يثنون عليهم ويذكرونهم بالخير.

أثنى عليهم نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبين أنهم خير القرون، ففي حديث ابن مسعود وعمران ابن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المتفق عليه(١) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**»، والقرن هو الجيل والدفعة من الناس، يقال: قرن الصحابة، قرن التابعين، قرن أتباع التابعين ويكون القرن مائة عام، «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**». فخير القرون هو القرن الذي كان فيه الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهم خير مِمَّن بعدهم.

وهكذا أخبرنا نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن وجودهم وجود الخير في الأمة، وأن وجودهم وجود الأمن والأمان في هذه الأمة، ففي حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم (٢٥٣١ -٢٠٧-)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ**

(١) البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣ -٢١٢-).

أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ».

إذا ذهب الصحابة أتى هذه الأمة ما توعد من الاختلاف والتقاطع والتدابر والفتن، فوجود الصحابة كان دليلاً على وجود الخير في هذه الأمة، وهكذا لا يزال الخير في هذه الأمة ما دام يوجد فيها من يحبهم ويسير على طريقتهم ويتبع آثارهم.

عباد الله، إن فضائل صحابة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كثيرة متواترة يعسر حصرها في مجلس كهذا المجلس، ولكن هذه إشارة إلى بعض ثناء الله جل وعلا وثناء الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عليهم.

وإن معرفة حقوقهم والقيام بها ليُعتبَر من عقيدة أهل السنة والجماعة التي يجب على كل مسلم أن يعتقدها، وإن الإخلال بما لهم من الحقوق يعتبر ضلالاً وانحرافاً قد يصل هذا الضلال والانحراف إلى درجة الكفر والخروج عن الإسلام، وذلك أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لهم حقوق كثيرة.

فمن حقوق الصحابة على مَن جاء بعدهم:

١ - معرفة فضلهم ومنزلتهم، وهذا من الحقوق الواجبة على المسلمين أن يعرفوا فضل الصحابة وما لهم من المنزلة وما لهم من الفضل، كما قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الأثر الآنف الذكر: (فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ). ومنزلة الصُّحْبة للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يعدلها شيء من الأعمال.

وضابط الصحابي عند أهل العلم أنه: كل من لقي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به ومات على ذلك، فكل الذين رأوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم مؤمنون به أي: رأوه حال إيمانهم به، وماتوا على ذلك، فهم من الصحابة، وهم يختلفون في ذلك فمنهم من رآه يوماً واحداً، ومنهم من رآه في مجلس واحد، ومنهم من رآه أطول من ذلك ودامت صحبته له سنوات طويلة، فتختلف مراتبهم في الصحبة، فكل واحد من هؤلاء الصحابة الذين رأوا النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خيرٌ مِمن بعدهم، ولا يمكن أن يلحقهم أحد جاء بعدهم مهما كان عمله، جاء في سنن ابن ماجه (١٦٢) ومصنف بن أبي شيبة (٣٢٤١٥)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ). مقام أحدهم ساعة مع الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في عبادة أو صلاة أو جهاد خير من عبادة أحدكم عمره كله.

وهكذا جاء في الصحيحين[1] عن أبي سعيد، وفي صحيح مسلم (٢٥٤٠ -٢٢١-)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**».

والمد هو الطعام بالكفين مجموعتين، ونصف المد هو ملء الكف الواحدة، من بعض الأطعمة أو الحبوب، فلو أنفق أحد الصحابة مدًا أو نصف مد وأنفق من بعدهم

---

(١) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم(٢٥٤١ -٢٢٢-).

ذهبًا كجبل أُحد لكان هذا المد من الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعلى درجة وأعظم أجراً وأكبر فضلاً من صدقة من جاء بعدهم، «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**». إذن، فضل عظيم لا يمكن أن يصل إليه من جاء بعدهم.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته "أصول السنة": (ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ، كُلُّ مَنْ صَحِبَهُ سَنَةً أَوْ شَهْرًا أَوْ يَوْمًا أَوْ سَاعَةً أَوْ رَآهُ، فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ، لَهُ مِنَ الصُّحْبَةِ عَلَى قَدْرِ مَا صَحِبَهُ، وَكَانَتْ سَابِقَتُهُ مَعَهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرَةً، **فَأَدْنَاهُمْ صُحْبَةً هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِينَ لَمْ يَرَوْهُ، وَلَوْ لَقُوا اللهَ بِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ**).

وفي كتاب "السنة" للخلال (٦٦٠) أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ سئل: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: مُعَاوِيَةُ أَوْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ فَقَالَ: (مُعَاوِيَةُ أَفْضَلُ، لَسْنَا نَقِيسُ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا).

ولما سئل ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ عن عمر بن عبدالعزيز الخليفة العادل التقي الزاهد الذي كان يُضرَب به المثل في الصلاح والعبادة، فقيل له: أيهما أفضل عمر بن عبدالعزيز أو معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ قال: تُرَابٌ دَخَلَ فِي أَنْفِ مُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرٌ أَوْ أَفْضَلُ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِالْعَزِيزِ[1].

---

(١) "الشريعة" للآجُرِّي (١٩٥٥).

يريد أن يبين فضل الصحابة، وأن وجودهم مع الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وجهادهم معه لا يساويه شيء، وأن من بعدهم لا يبلغ منزلتهم مهما كان عمله.

وفي كتاب "الشريعة" للآجري (١٩٥٦) أن الْمُعَافَى بْنَ عِمْرَانَ سأله رجلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا مَسْعُودٍ، أَيْنَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِالْعَزِيزِ مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ؟ فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ: لَا يُقَاسُ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ، مُعَاوِيَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كَاتِبُهُ وَصَاحِبُهُ وَصِهْرُهُ وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وكلام السلف في هذا كثير.

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح مسلم (٢٥٤١): (وَفَضِيلَةِ الصُّحْبَةِ وَلَوْ لَحْظَةً لَا يُوَازِيهَا عَمَلٌ وَلَا تُنَالُ درجتها بِشَيء، وَالْفَضَائِلُ لَا تُؤْخَذُ بِقِيَاسٍ، ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ).

فيجب على المسلم أن يعرف للصحابة فضلهم ومنزلتهم التي جعلهم الله جل وعلا عليها، فإنهم لا يساويهم من جاء بعدهم، لأن رؤيتهم للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجلوسهم معه واتباعهم له أمرٌ لا يمكن أن يلحقه عمل، ولو عمل الذين بعدهم ما عملوا من الأعمال.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمـًا كثيراً.

أيها الناس، ومن حقوق الصحابة أيضـًا:

٢- **أنه يجب على من بعدهم محبتُهم والثناءُ عليهم وذكرُهم بالجميل**، فلا يجوز أن يُذكروا إلا بالذكر الحسن والثناء الجميل، هذا هو شأن الذين جاءوا من بعدهم كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [سورة الحشر:١٠].

هذا دعاء المؤمنين للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، يدعون الله تعالى لهم بالمغفرة، وألا يجعل في قلوبهم غلًّا للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإن وجود الغل في قلب مسلم على أحد من الصحابة أمر خطير وليس باليسير، ألم يقل الله سبحانه وتعالى في الآية التي في سورة الفتح: ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ [سورة الفتح:٢٩]، فالله جل وعلا أخبر أنه يُغيظ بهم الكفار، وقد استدل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الآية على أن كل من أبغض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فهو كافر؛ لأن الله تعالى أخبر أنه يغيظ بهم الكفار، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:وَمِنْ هَذِهِ الْآيَةِ انْتَزَعَ الْإِمَامُ مَالِكٌ -رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ-بِتَكْفِيرِ الرَّوَافِضِ

الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ، قَالَ: لِأَنَّهُمْ يَغِيظُونَهُمْ، وَمَنْ غَاظَه الصَّحَابَةُ فَهُوَ كَافِرٌ لِهَذِهِ الْآيَةِ. وَوَافَقَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى ذَلِكَ. انتهى.

وهذا يبينه نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في أحاديث، ففي الصحيحين(١) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ**».

وفي الصحيحين(٢) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ**».

«**آيَةُ**» أي: علامة، هذه علامة ومقياس تقيس بها الناس، «**آيَةُ الْإِيمَانِ**»، علامة وجود الإيمان في القلب «**حُبُّ الْأَنْصَارِ**»، والمهاجرون أفضل من الأنصار، فإذا كان هذا في الأنصار فالمهاجرون من باب أولى، «**وَآيَةُ النِّفَاقِ**» دليل النفاق وعلامته، «**بُغْضُ الْأَنْصَارِ**»، فـ «**لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ**»، فيجب محبتهم، ويجب الثناء عليهم، ويجب ذكرهم بالذكر الحسن كما أمر الله سبحانه وتعالى.

من حقوق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على من جاء بعدهم:

٣- أن يتبعوهم وأن يسيروا على طريقتهم وأن لا يخالفوا ما كانوا عليه، بل أخبرنا الله أن كل من سار على غير ما سار عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنه ضال، قال الله جل

---

(١) البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥-١٢٩-).

(٢) البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤-١٢٨-).

وعلا مخاطبًا نبيه وصحابته: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ﴾ [سورة البقرة:١٣٧]، أي: أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [سورة البقرة:١٣٧] فكل من آمن بمثل ما آمن به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقد اهتدى، ومن لم يتبعهم ولم يكن على طريقتهم في ذلك فهو في شقاق.

وهكذا أخبر الله أن من فعل ذلك متوعد بالنار فقال الله سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النساء:١١٥]، والمؤمنون هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهذه الآية دليل على أن إجماع الصحابة حُجَّة، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النساء:١١٥] يسير على غير طريق الصحابة، ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [سورة النساء:١١٥].

فكل من اتبع غير سبيل المؤمنين فهو مشاق للرسول ولا بد، فهما متلازمان: مشاقة الرسول، واتباع غير سبيل المؤمنين، ومن فعل ذلك فهو من أهل النار ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ [سورة النساء:١١٥]، فيجب اتباعهم ولا يجوز الخروج عن طريقتهم لا في العبادة ولا في الدعوة ولا في تفسير القرآن ولا في الفقه، يجب أن يسلك المسلم في كل ذلك طريق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

كان الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (فهمهم لي خيرٌ من فهمي لنفسي) أي كوني آخذ بفهم الصحابة أفضل من أن آخذ بما فهمته أنا إذا كان على خلاف فهمهم، فهم الذين عايشوا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم الذين حضروا نزول القرآن وعرفوا كيف نزل وفي ماذا نزل وهم الذين تلقوا العلم من فم الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهم أعلم الناس وأقوم الناس هدياً وأهداهم طريقة، فيجب السير على طريقتهم ومن خرج عن طريقتهم فهو ضال، قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»(١).

وقال الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ**»(٢).

وقال الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فَإِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْشُدُوا**».(٣) فالرشاد في اتباع طريقتهم، والهداية في سلوك ما كانوا عليه، وأما خلاف ذلك فهو غواية وضلال.

من حقوق الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ على من جاء بعدهم:

٤- أنه يحرم سبُّهم وتنقُّصهم، فقد نهى عنه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في قوله: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي**»(٤). وقال في الحديث المروي عن جماعة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ:

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢)، عن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه أحمد (٢٣٢٤٥)، والترمذي (٣٦٦٢) عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث حسن بشواهده.

(٣) رواه مسلم (٦٨١ -٣١١-)، عن أبي قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم(٢٥٤١ -٢٢٢-)، و(٢٥٤٠ -٢٢١-)، جاء عن أبي سعيد وجاء عن أبي هريرة.

«**مَن سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[(١)]، فمن سبهم يستحق اللعن، وهو الطرد والإبعاد من رحمة الله.

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في أناس تطاولوا على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كما في صحيح مسلم (٣٠٢٢): (أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبُّوهُمْ)، فالله تعالى أمر المؤمنين أن يستغفروا لهم وأن يثنوا عليهم فكيف يجوز لأحد أن تطول لسانه في أعراضهم بالسب أو القدح أو التنقص لهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، فكل من تطاول على أصحاب الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أو طعن فيهم فهو على خطر عظيم، «**مَن سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**».

عباد الله: إن سبَّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الحقيقة هو سبٌ لله، وسبٌ للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وطعنٌ في هذا الدين.

وقد يقول قائل: كيف يكون سبًّا لله؟ وكيف يكون سبًّا للرسول؟ وكيف يكون طعنًا في الدين؟

والجواب عن ذلك: أن الله أثنى عليهم، وفي القرآن آيات كثيرة تثني عليهم وتمدحهم وتذكرهم بأفضل الذكر، فمن سبهم وطعن فيهم فهو مُكذِّب لكلام الله، ومعترض على ثنائه عليهم، فهو في الحقيقة سابٌّ لله ومعترض عليه.

---

(١) رواه الطبراني (١٢٧٠٩)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٢٣٤٠).

وهكذا من سبهم هو سابٌّ للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن هؤلاء هم أصحابه وجلساؤه وأقرب الناس إليه، هؤلاء هم الذين عاش معهم ومات في أوساطهم، أيُعقَل -فضلا عن النظر في الأدلة ولكن عقلا- أيعقل أن الله يختار لرسوله أسوأ الناس، يجعل رسوله يعيش ويصحبه ويكون معه أسوأ الناس!؟ لا يمكن أبداً لا عقلاً ولا شرعـًا، فلو سَبَّ إنسانٌ أصحابَ إنسان من الناس، لم يرضَ هذا الذي سُبَّ أصحابه وجلساؤه، ولكان هذا في الحقيقة سبًّا له.

فهؤلاء هم وزراء رسول الله، هؤلاء هم صحبه، هؤلاء هم أقرب الناس إليه الذين عاش معهم ومات في أوساطهم ولا يمكن أن يختار الله لنبيه ولصحبته والعيش معه إلا خير الناس وأطهر الناس وأفضل الناس، إذن الطعن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هو في الحقيقة طعن في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما أحسن ما قاله الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "شرح السنة": (واعلم أنه من تناول أحدا من أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاعلم أنه إنما أراد محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد آذاه في قبره).

وهذا هو الذي أراده الرافضة من طعنهم في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، واسمع هذه القصة كي تعرف ذلك، ففي كتاب "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٢٨١٢) للالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ عن مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الْفِرْيَابِيِّ أنه قيل له: مَا تَقُولُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ قَالَ: قَدْ فَضَّلَهُمَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَنَّ بَعْضَ الْخُلَفَاءِ أَخَذَ رَجُلَيْنِ مِنَ الرَّافِضَةِ، فَقَالَ لَهُمَا: وَالله لَئِنْ لَمْ تُخْبِرَانِي بِالَّذِي يَحْمِلُكُمَا عَلَى تَنَقُّصِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ لَأَقْتُلَنَّكُمَا. فَأَبَيَا، فَقَدَّمَ أَحَدَهُمَا فَضَرَبَ عُنُقَهُ، ثُمَّ

قَالَ لِلْآخَرِ: وَاللهِ لَئِنْ لَمْ تُخْبِرْنِي لَأُلْحِقَنَّكَ بِصَاحِبِكَ. قَالَ: فَتُؤَمِّنِّي؟ قَالَ لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّا أَرَدْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْنَا: لَا يُتَابِعُنَا النَّاسُ عَلَيْهِ، فَقَصَدْنَا قَصْدًا هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَتَابَعَنَا النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ: مَا أَرَى الرَّافِضَةَ وَالْجَهْمِيَّةَ إِلَّا زَنَادِقَةً.

وهكذا سَبُّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ طعن في الدين، فهذا الدين مَن الذي نقله إلينا؟ هذا القرآن من الذي نقله إلينا؟ هذه السنة من الذي نقلها إلينا؟ إنما نقلها إلينا الصحابة، فإذا كان الصحابة مطعونا فيهم، إذن، ديننا مطعون فيه، إذن ديننا باطل، لأن الذين نقلوه مطعون فيهم.

فالطعن في الصحابة ليس بالأمر اليسير، وقد فهم هذا السلف، ففي كتاب "الكفاية" للخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي زرعة الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَنَا حَقٌّ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ، وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يُجَرِّحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَالْجَرْحُ بِهِمْ أَوْلَى وَهُمْ زَنَادِقَةٌ).

فديننا نقله إلينا الصحابة، فالطعن في الصحابة طعن في الدين، الطعن في الصحابة إبطالٌ للإسلام، فإن الإسلام لم يصل إلينا إلا من طريقهم، فليحذر المسلم من هذه الفكرة الخبيثة التي يبثها الرافضة في أوساط المسلمين وهي الطعن في الصحابة والتنقص لهم، فإنهم إنما يريدون بذلك هدم الدين.

من حقوق الصحابة على من بعدهم:

٥- ترك الخوض فيما شجر بينهم، نعم شجر بينهم أمور حصل بينهم شيء بعد الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مما لا يسلم منه البشر، وليس بينهم جميعا وإنما بين أفراد منهم، فالواجب على المسلم أن يَكُفَّ لسانه عما شجر بينهم، فإن أناسًا من الضُّلال استغلوا ما جرى بين الصحابة للطعن فيهم، فصاروا يؤلبون ويحرضون ويبغِّضون الصحابة إلى القلوب باعتبار ما شجر بينهم، ونحن نعتقد أنهم جميعًا كانوا مجتهدين، من أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ منهم له أجر واحد، وخطؤه مغفور.

نشهد لهم جميعا أنهم يريدون الله والدار الآخرة، نشهد لهم جميعا أن نيتهم صالحة وصادقة، لماذا نشهد لهم بذلك؟ لأن الله هو الذي شهد لهم بذلك، فكما أن الله شهد لهم بذلك فنشهد لهم بذلك، وما جرى بينهم -مما لا يسلم منه البشر وهم غير معصومين- فالواجب السكوت عنه.

لا نقول هذا نحن من تلقاء أنفسنا، بل قاله نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ففي حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الطبراني (١٠٤٤٨)، وغيره أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا**»، أي احذروا أن تتطاولوا أو تتنقصوا فيهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فهذا هو الواجب على المسلم، وهذا هو الذي سار عليه سلف الأمة.

فهذا عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ سُئل عما جرى بين بعض الصحابة؟ فقال: تِلْكَ دِمَاءٌ كَفَّ اللهُ يَدَيَّ عَنْهَا وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَغْمِسَ لِسَانِي فِيهَا.

والإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سُئل عما جرى بين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؟ فقال: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [سورة البقرة:١٣٤].

فلا تخض في هذه الأمور، بل هذا شأن الضُّلال الذين يريدون الطعن في الصحابة يتخذون هذا ذريعة يطعنون بها في أصحاب رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لهم من الحسنات والفضائل ما يغفر الله لهم به الخطأ إن وُجد منهم خطأ.

في الصحيحين(١) أن حاطب ابن أبي بلتعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كاتَبَ كفار قريش يخبرهم أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتجهز لغزوهم، فقال عمر: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قال: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»، فلهم من الفضائل والمناقب والسوابق ما يُوجِب إزالة الخطأ ومحوه إن صدر منهم، وهم ليسوا معصومين.

فالواجب على المسلم فيما شجر بين الصحابة أن يكف لسانه عن ذلك، وأن يثني عليهم وأن يذكرهم بالخير كما ذكرهم الله جل وعلا بالخير، قيل للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ قال: ما أقول فيهم إلا الحسنى.

فهذا الأمر وهو بيان حقوق الصحابة هو من أهم ما يجب على المسلمين تصحيحه في باب الاعتقاد.

---

(١) البخاري (٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤ -١٦١-)، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

نسأل الله جل وعلا أن يغفر لنا ذنوبنا وأن يستر عنا عيوبنا

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الكفر والكافرين.

اللهم عليك باليهود والنصارى والرافضة الزنادقة المعتدين، اللهم عليك بهم يا قوي يا متين.

اللهم وأنجِ المستضعفين من إخواننا المسلمين في فلسطين وفرِّج عنهم ما نزل بهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك مغفرتك وعفوك ورحمتك إنك أنت الغفور الرحيم.

والحمد لله رب العالمين.



(٢٣) معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وصهر الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكاتب وحي رب العالمين

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كنا تحدثنا فيما مضى عن فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وما لهم من الحقوق على سائر الأمة، وأن محبتهم والثناء عليهم واعتقاد فضلهم من صميم العقيدة التي يعتقدها المسلم السائر على طريق السلف.

وإن فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كثير وتعداد ذلك يطول، ولكن في هذا المقام نقف على فضائل صحابي واحد من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبين به بعض ما له من الفضل والمنزلة في كلام الله وفي صحيح سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ألا وهو: **معاوية ابن أبي سفيان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذا الصحابي الجليل الذي هو باب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كما قال بعض السلف: (الصحابة باب الإسلام، فمن طرق الباب إنما يريد الإسلام)، فالإسلام كدارٍ بابه الصحابة، فمن أراد الطعن في الإسلام طعن فيهم، لأن من طرق الباب إنما يريد الدار، ومعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو باب الصحابة، فمن طعن فيه فإنما أراد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولكنه جعل معاوية ذريعة للدخول إلى هذا المقصد الذي يريده.

سُئل الإمام النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ عن معاويةَ بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحبِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال: (إنما الإسلام كدارٍ لها بابٌ، فبابُ الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابةَ إنما أرادَ الإسلام، كمن نَقرَ البابَ إنما يريدُ دخولَ الدار. قال: فمن أراد معاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنما أراد الصحابة)[1].

---

(١) رواه ابن عساكر في "تاريخه" (٧١/ ١٧٥).

وقال الإمام أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سِتْرُ أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فإذا كشف الرجل الستر اجترأ علَى ما وراءه) (١).

معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي اشتدت حملة أهل الضلال عليه، وكثر كذبهم فيما يتعلق بسيرته وحياته، وكثر طعنهم فيه حتى إن هذا الأمر سرى إلى بعض من هو من أهل السنة وليس من الشيعة، فوقع في قلبه شيء على هذا الصحابي الجليل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، بسبب كثرة ما يقال فيه، والحقيقة أن له من الفضائل والمناقب الشيء الكثير التي تجعل كل مسلم يحب الله ورسوله يحبه ويثني عليه ويدعو له لما له من الفضل العظيم.

فمن فضائله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

١- أنه من أصحاب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فكل الأدلة الواردة في فضل عموم الصحابة هو داخل فيها، كل دليل في القرآن وكل دليل في السنة فيه ذكر الصحابة والثناء عليهم فإنه يشمل معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه منهم، فهو صاحب الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذي آمن به ورآه وجاهد معه وجلس بين يديه، وهذه المنزلة لا يعدلها شيء من الفضائل.

---

(١) "تاريخ ابن عساكر" (٥٩/ ٢٠٩).

قيل للمعافى ابن عمران رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد ذُكر عنده عمر بن عبدالعزيز وما له من الفضل، فقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أين يكون معاوية من عمر بن عبدالعزيز؟ فغضب المعافى بن عمران غضباً شديداً، وقال: (لا يقاس بأصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحد، مُعَاوِيَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صهر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه وكاتبه وأمينه على وحي الله عز وجل) (١).

وذُكر عند ابن المبارك عمر ابن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وما له من الفضل وقيل له: أيهما أفضل هو أو معاوية؟ فقال: (غبار في أنف معاوية في غزوة غزاها مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير من عمر بن عبدالعزيز) (٢).

وابن المبارك لا يريد تحقير عمر بن عبدالعزيز أو تنقصه فإنه من خير الناس في زمنه، ولكنه أراد بيان فضل الصحبة، وأن الصحبة للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يلحقها شيء، فقال هذه الكلمة: غبار في أنف معاوية في غزوة غزاها مع الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خير من عمر ابن عبدالعزيز.

٢- ومن فضائله: أنه كاتب الوحي لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد كان يكتب الوحي للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جماعة من الصحابة منهم معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ففي صحيح مسلم (٢٥٠١ -١٦٨-)، عن ابن عباس أن أبا سفيان سأل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثلاث خصال، ومنها قال: وَمُعَاوِيَةُ تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ. قَالَ: «**نَعَمْ**».

---

(١) "الشريعة" للآجُرِّي (١٩٥٦).

(٢) "الشريعة" للآجُرِّي (١٩٥٥).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وإنما جعله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاتبا للوحي لخبرته وأمانته).[١]

فما بالك برجل جعله النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذا المنصب العظيم الذي هو كتابة الوحي النازل من السماء، ولا يكون ذلك إلا لمن بلغ في الأمانة والديانة والخبرة مبلغا عظيمـًا.

٣- ومن فضائله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنه خال المؤمنين، فهو أخو أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، زوج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهي أم المؤمنين وهو أخوها فهو خال المؤمنين، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سُئل عنه: (معاوية خال المؤمنين). وقيل له: إن ناسـًا يقولون إن معاوية ليس بخال للمؤمنين؟ قال: (هذا قول سوء رديء، ينبغي أن يُجانَب من يقول ذلك، وأن لا يُجالَس، وأن يُبيَّن أمره للناس).

٤- ومن فضائله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنه صهر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن فضل معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فاستدل بقول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**كل نسب وسبب منقطع...**». وفي رواية: «**كل نسب وصهر منقطع إلا نسبي وصهري**»[٢] قال: أليست هذه لمعاوية[٣].

---

(١) انظر "منهاج السنة النبوية" (٤/ ٤٣٩).

(٢) جاء عن جماعة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقد خرجه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢٠٣٦).

(٣) "السنة للخلال" (٦٥٤).

فهو صهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أيضاً قريب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نسبه، فهو يتفق معه في عبد مناف الذي هو أحد أجداده، فهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، ومعاوية ابن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فهو نسيب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من قرابته وكذلك هو صهره، وكل نسب وصهر منقطع إلا نسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصهره.

٥- ومن فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشَّره بالجنة ومن معه من الصحابة، ففي صحيح البخاري (٢٩٢٤)، عن أم حرام بنت ملحان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا**». قال أهل العلم: أوجبوا لأنفسهم دخول الجنة بجهادهم. وكان أول جيش غزا البحر بقيادة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو مشهود له ومن معه في ذلك الجيش بالجنة، شهد لهم بذلك الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

٦- ومن فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دعا له بالعلم وبالهداية، فبلغ من ذلك مبلغاً عظيماً، جاء في الحديث المروي عن جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو في السلسلة الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٢٢٧)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ، وَقِهِ الْعَذَابَ**».

وهكذا في حديث عبدالرحمن بن أبي عميرة عند الترمذي (٣٨٤٢)، والبخاري في "التاريخ" (٧٩١)، وهو في "السلسلة الصحيحة" للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (١٩٦٩)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا، وَاهْدِهِ وَاهْدِ بِهِ**».

فتأمل إلى هذه الدعوات من رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، دعا له أن يعلمه الله الكتاب، وأن يقيه العذاب، وأن يجعله هاديا مهديا، وأن يهديه وأن يهدي به غيره من الناس، فكان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك ببركة دعاء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أعطاه الله من العلم ما شهد له به الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأعطاه الله من الفضل والهداية ما شهد له به من رآه من الصحابة وغيرهم من التابعين، جاء في صحيح البخاري (٣٧٦٥)، (٣٧٦٤)، أن ابن عباس قيل له: إن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوْتَرَ بِرَكْعَةٍ؟ صلى العشاء وصلى ركعة واحدة أوتر بها، فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَصَابَ، إِنَّهُ فَقِيهٌ). هذه شهادة حبر الأمة عبد الله ابن عباس وهو من أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو ابن عمه، وشهد لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالعلم والفقه، (أَصَابَ إِنَّهُ فَقِيهٌ)، وجاء في روايةٍ في "مصنف عبدالرزاق" (٤٦٤١) أنه قال لعكرمة حين قال له ذلك، قال: (أَصَابَ أَيْ بُنَيَّ، لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا أَعْلَمُ مِنْ مُعَاوِيَةَ).

هذه شهادة الحبر عبدالله بن عباس لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالعلم والفضل وما كان عليه من الفقه، وهذا لا يكون إلا من رجل قد بلغ مبلغًا عظيمًا في العلم حتى شهد له خيار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بذلك.

٧- من فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ مُلْكَه أول مُلك في الإسلام، فهو أول مَلِك من ملوك الإسلام وخير مَلِك من ملوك الإسلام، وكان ملكُه رحمةً بأهل الإسلام، فقد جاء عند الطبراني (١١١٣٨)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو في صحيحة الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ

(٣٢٧٠)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَوَّلُ هذَا الأَمْرَ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ يَكُونُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَتَكَادَمُونَ عَلَيْهِ تَكَادُمَ الحُمُرِ**».

«**أول هذا الأمر نبوة ورحمة**»، وهو ما كان في زمن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، «**ثم خلافة ورحمة**»، وهو ما كان في زمن الخلفاء الأربعة وكان ذلك في خلال ثلاثين سنة، «**ثم يكون ملكا ورحمة**»، وابتدأ ذلك من خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ توفي في عام أحد عشر، ثم تولى الخلفاء بعده ثلاثين سنة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

وقد قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً**»(١)، وفي العام واحد وأربعين من الهجرة النبوية تنازل الحسن بن علي وكان قد ولي الخلافة ستة أشهر بعد أبيه تتمة ثلاثين سنة، فتنازل لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأخذ معاوية الملك في عام واحد وأربعين، واجتمعت كلمة المسلمين في ذلك العام حتى سُمِّي بعام الجماعة، واستمر معاوية مَلِكًا للمسلمين إلى أن توفاه الله في سنة ستين من الهجرة، فكان مُلْكُه تسعة عشر عامًا وبضعة أشهر.

كانت هذه المدة هي مدة الملك والرحمة الذي جعله الله جل وعلا على يدي أمير المؤمنين معاوية ابن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦)، عن سفينة مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: «**ثم يتكادمون عليكم تكادم الحُمُر**»، والتكادم هو العَضُّ، أي كعض الحُمُر بعضها بعضاً، وهو ما ذكره النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في أحاديث أخرى أنه يكون ملكاً عاضًّا.

فإمارة معاوية هي الملك والرحمة الذي أخبر به الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومهما تذكر من خير معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعدله وحلمه ونصرة الإسلام في زمنه فهو خليق بذلك، وقد كان في زمنه من ذلك الشيء الكثير.

ذُكر عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ وما كان عليه من العدل عند الإمام الأعمش فقال: (كيف لو أدركتم معاوية؟) قالوا: يا أبا محمد تعني في حلمه -فقد كان مشهورا بالحلم- قال: (لا، والله بل في عدله). فقد ساس الناس وعدل فيهم بأحسن ما يكون[١].

وفي "مصنف عبدالرزاق" (٢٠٩٨٥) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (ما رأيت أحداً أخلق للملك -أي أحرى وأولى به- من معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ). كأن الله خلقه للملك، فساس الناس وصاروا في زمنه على أحسن حال.

قال سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما رأيت بعد عثمان بن عفان أحداً أقضى من صاحب هذا الباب -يعني معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-)[٢].

---

(١) "السنة" للخلال (٦٦٧).

(٢) "تاريخ ابن عساكر" (٥٩/ ١٦٠).

وفي كتاب "السنة" للخلال (٦٦٩) عن مجاهد بن جبر من التابعين أنه قال: (لَوْ رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ لَقُلْتُمْ: هَذَا الْمَهْدِيُّ).

وقال قتادة بن دعامة كما في "السنة" للخلال (٦٦٨): (لَوْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ عَمِلَ مُعَاوِيَةَ لَقَالَ أَكْثَرُكُمْ: هَذَا الْمَهْدِيُّ). لِما كان عليه من الحلم والعدل ومن قوة النفس والهيبة العظيمة.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "سير أعلام النبلاء" (٣/ ١٣٢): (وَقَالَ خَلِيْفَةُ بنُ خَيَّاط: ثُمَّ جَمَعَ عُمَرُ الشَّامَ كُلَّهَا لِمُعَاوِيَةَ، وَأَقَرَّهُ عُثْمَانُ. قُلْتُ: حَسْبُكَ بِمَنْ يُؤَمِّرُهُ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ عَلَى إِقْلِيْمٍ - وَهُوَ ثَغْرٌ - فَيَضْبِطُهُ، وَيَقُوْمُ بِهِ أَتَمَّ قِيَامٍ، وَيُرْضِي النَّاسَ بِسَخَائِهِ وَحِلْمِهِ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ تَأَلَّمَ مَرَّةً مِنْهُ، وَكَذَلِكَ فَلْيَكُنِ المَلِكُ.

وَكَانَ مُحَبَّبًا إِلَى رَعِيَّتِهِ. عَمِلَ نِيَابَةَ الشَّامِ عِشْرِيْنَ سَنَةً، وَالخِلاَفَةَ عِشْرِيْنَ سَنَةً، وَلَمْ يَهِجْهُ أَحَدٌ فِي دَوْلَتِهِ، بَلْ دَانَتْ لَهُ الأُمَمُ، وَحَكَمَ عَلَى العَرَبِ وَالعَجَمِ، وَكَانَ مُلْكُهُ عَلَى الحَرَمَيْنِ، وَمِصْرَ، وَالشَّامِ، وَالعِرَاقِ، وَخُرَاسَانَ، وَفَارِسٍ، وَالجَزِيْرَةِ، وَاليَمَنِ، وَالمَغْرِبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ).

وقد كان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من دُهاة العرب وأذكيائهم، ودهاة العرب أربعة كان أميرُ المؤمنين معاويةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أحدَهم، قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هَذَا الرَّجُلُ سَادَ وَسَاسَ العَالَمَ بِكَمَالِ عَقْلِهِ، وَفَرْطِ حِلْمِهِ، وَسَعَةِ نَفْسِهِ، وَقُوَّةِ دَهَائِهِ وَرَأْيِهِ).

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، هذا المُلْك والرحمة الذي كان فيه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استمر تسعة عشر عاماً وبضعة أشهر، وحصل للمسلمين فيه من العز النصر ومن الفتوحات الشيء الكثير، حصل في زمنه فتوحات كثيرة في جهة الروم، وهكذا في جهة بلاد إفريقية، وهكذا في جهة بلاد العجم كـ خُراسان وما حولها مما كان من بلاد الكفر حتى ضُمَّ في زمنه إلى بلاد الإسلام وصار من بلاد الإسلام.

فهذا معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصهره، وكاتب الوحي بين يديه، والمبشر بالجنة على لسان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخير ملوك الإسلام الذي نفع الله سبحانه وتعالى به نفعاً عظيماً، وكم جرى للمسلمين في زمنه من الخير؟! وكم كان له من الحلم؟! وكم كان له من الفقه؟! وكم كان له من العلم؟! وقد جمع بعض العلماء علم معاوية وفقهه الوارد في الأدلة الصحيحة.

وكم له من الفتاوى التي هي منشورة ومبثوثة في الصحيحين وغيرهما، كم له من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنكار المخالفات الشرعية، حتى بلغ به الأمر أنه

كان يرعى أمور الناس ويسوسهم حتى في هيئتهم ولباسهم؟! كما في الصحيحين[(١)] أنه قدم المدينة فرأى قُصَّةً من شعر أي: ما يُوصل به الشعر، فأخذه وصعد المنبر وقال يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ لقد سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ، وَيَقُولُ: «**إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هَذِهِ نِسَاؤُهُمْ**».

شملت خلافته سياسة أمور الناس ورعايتهم حتى في لباسهم وهيئتهم، وقد كان كما قال ابن عباس: خليقا بهذا الأمر، ما رأيت أحدا أخلق بالملك من معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فأعزَّ الله به الإسلام في زمنه ونصر الإسلام في زمنه وفُتحت الفتوحات الكثيرة.

ثم يأتي أناس بعد ذلك يطعنون فيه ويذمونه ويشنُّون عليه حملة شديدة، وأكثروا الكلام والطعن فيه حتى تسلل ذلك إلى بعض قلوب من ليس من الشيعة، صار يطعن فيه، أو يقع في قلبه عليه، وهذا والله خطير كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

فالحذر الحذر أن يقع في قلب مسلم شيء على أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن الله وصف من بعد الصحابة بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [سورة الحشر:١٠]، فلا يجوز لمسلم أن يكون في قلبه غل لأحد من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) البخاري (٥٩٣٢)، ومسلم (٢١٢٧).

قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدته لما ذكر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قال: (فحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ) فليحذر المسلم أن يكون في قلبه شيء على أحد من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإنما خصصنا معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالذكر لِما نرى عليه من حملة شديدة من قبل أهل الأهواء، ولأن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ باب الصحابة فمن طعن في معاوية فإنما يريد الطعن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومن رضي بالطعن في معاوية فسيرضى بالطعن في سائر صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلا فلا شك أن هناك كثيرا من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم خير من معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأفضل، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وجمعنا بهم في جنات النعيم، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

فنسأل الله تعالى أن يطهر قلوبنا من بغض أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ربنا لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا واغفر لنا إنك رؤوف رحيم.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الكفر والكافرين.

اللهم من أراد المسلمين بسوء فاجعل كيده في نحره وقنا وقِ المسلمين من شره.

اللهم عليك باليهود والنصارى المعتدين، اللهم عليك بالرافضة الزنادقة المجرمين. اللهم كُفَّ شرهم وبأسهم عن الإسلام والمسلمين.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين.

(٢٤) عقيدة أهل السنة في أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الغلاة والجفاة

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن من أمور الاعتقاد التي يجب على المسلم تصحيحُها، وهو أمرٌ ضَلَّ فيه طوائف من الناس في قديم الزمان وحديثه لهو ما يتعلق بأهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن ما يتعلق بهم وما يجب لهم من الحق يذكره أهل العلم في كتب العقائد، كما يذكرون حقوق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وأهلُ بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم كلُّ من حَرُمت عليه الصدقة، فكل من حرمت عليه الصدقة فهم من أهل بيته، فيدخل فيهم أزواجه رضي الله تعالى عنهن، ويدخل فيهم كل مسلم ومسلمة من بني هاشم فإنهم من أهل بيته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال أهل العلم: ولم يبقَ لهاشمٍ نسلٌ إلا من جهة عبدالمطلب، فالمؤمنون من ذرية عبدالمطلب هم أهل بيته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، سواء الذين كان آباؤهم مسلمين كأولاد العباس وحمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أو الذين مات آباؤهم على غير الإسلام كأبي لهب وأبي طالب والحارث بن عبدالمطلب، فإن من كان مسلماً من ذريتهم فهو داخل في أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد ألحق بعض العلماء بني المطلب ببني هاشم في تحريم الصدقة عليهم لقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلِبِ وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ**»(١)، ولذا كان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يعطيهم من الخُمُس، قالوا: فإعطاؤهم من الخُمُس دليل على حرمانهم من الصدقة.

---

(١) رواه البخاري (٣١٤٠)، عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهؤلاء هم أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أعمامُه -أي من كان مسلماً منهم- وهكذا من كان مسلماً من ذريتهم، وهكذا ذرية بنات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنسل فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

جاء في صحيح مسلم (٢٤٢٤ -٦١-) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأحزاب:٣٣].

وجاء في "مصنف بن أبي شيبة" (٣٢١٠٣) عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بنحوه وفيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي**».

وجاء في صحيح مسلم (٢٤٠٤ -٣٢-) عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [سورة آل عمران:٦١]، دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا، وَحُسَيْنًا، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي**».

وليس المراد حصر أهل بيته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في هؤلاء الأربعة، بل يدخل فيهم أولاد بناته، وهكذا من كان مسلماً من أعمامه وبنيهم رضي الله تعالى عنهم.

جاء في صحيح مسلم (١٠٧٢ -١٦٧-) أن عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب -أي أنه من أبناء عم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أتى هو والعباس بن عبدالمطلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألاه أن يوليهما على مال الصدقة لينالا منه

شيئًا يتزوجان منه، فقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ، إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ**».

فهذا الحديث يدل على دخول بني عمه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في أهل بيته، وأنهم ممن حرمت عليهم الصدقة.

وأما زوجاته فإنهن يدخلن في أهل بيته بنص القرآن، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الأحزاب:٣٢-٣٤].

فنساؤه من أهل بيته بنص كلام الله، فإن الله بدأ الخطاب لنساء النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، ثم أوصاهن وختمها بذكر نسائه ووصيتهن: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [سورة الأحزاب:٣٤]، وذكر بين ذلك أن الله جل وعلا يريد أن يطهر أهل بيت رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مما يدل دلالة واضحة على أن المراد بأهل بيته في هذه الآيات نساؤه.

وهكذا نساءه من أهل بيته بنص الأحاديث الكثيرة عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ألم يقل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**»(١)، وأولى من دخل فيه نساؤه، ألم تقل عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: (مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ)(٢)، ومرادها بآله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نساؤه ومن كان في بيته ممن ينفق عليه.

ألم يقل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حين ذبح أضحيته: «**اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ**»(٣)، وآله في هذا الحديث هم أزواجه اللاتي يضحي عنهن.

وهكذا علَّم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ المسلمين التشهد وفيه: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ**»(٤)، جاء في رواية أخرى في الصحيح(٥) بيان آله فقال: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ**». فهذا يبين أن أزواجه من أهل بيته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وأيضا أزواجه ممن حَرُمت عليهن الصدقة فقد جاء في مصنف ابن أبي شيبة (١٠٧٠٨)، بسند صحيح أَنَّ خَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ، بَعَثَ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بِبَقَرَةٍ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَرَدَّتْهَا، وَقَالَتْ: (إِنَّا آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ).

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥ -١٢٦-)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٥٤١٦)، ومسلم (٢٩٧٠ -٢٢-) واللفظ له.

(٣) رواه مسلم (١٩٦٧ -١٩-)، عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٤) رواه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٧ -٦٦-)، عن كعب بن عجرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧ -٦٩-)، عن أبي حميد الساعدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وهن عليهن رضوان الله أزواجُه في الدنيا والآخرة، ولذا حَرُمن على من سواه في حياته وبعد مماته، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الأحزاب:٥٣].

فإذا علمنا ذلك: أن المسلمين من أعمامه وبنيهم وهكذا ذريته، وهكذا أزواجه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ أجمعين هم داخلون في أهل بيته، فإن القرآن والسنة قد ورد فيها الكثير من فضلهم وما جعل الله سبحانه وتعالى لهم من المنزلة في الدنيا والآخرة، وهذا لمن آمن منهم بالله ورسوله، قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأحزاب:٣٣]، فهذه الآية في أزواجه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ.

وهكذا بينت السنة أنه يدخل فيها قرابته وذريته كما في حديث عائشة المتقدم أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أدخلهم في الكساء ثم قرأ هذه الآية، وهي فضيلة عظيمة: أن الله جل وعلا يريد لهم الطهارة من الرجس، وهو شامل لكل الأرجاس الحسية والمعنوية، فأراد الله تعالى تطهيرهم من ذلك، كيف لا وهم قرابة أكرمِ مَنْ خلق الله سبحانه وتعالى وهو رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقال الله سبحانه أيضًا: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [سورة الأحزاب:٦] فأزواجه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ و رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ هن أمهات المؤمنين، فكل مؤمن تكون أزواج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أمهاته، أي أمهاتهم في الحرمة لا في المحرمية، ومعنى ذلك أنهن يحرمن عليهم ولا يحل لأحد أن يتزوج بهن لا في حياته

لمن فارقها ولا بعد مماته، فكلٌّ من تزوجها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حرمت على غيره، فهن أمهات المؤمنين يحرمن عليهم كما تحرم عليهم أمهاتهم.

وهكذا قال الله سبحانه آمرًا نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يخاطب كفار قريش بقوله: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [سورة الشورى:٢٣]، ولأهل العلم في تفسيرها قولان:

١- قال بعض المفسرين: إنها خطاب لقريش، والمعنى: ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [سورة الشورى:٢٣]، أي إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة، أي فلا تؤذوني ولا تعترضوا على تبليغي لرسالة ربي وارعوا حق القرابة التي بيني وبينكم، فلا أسألكم أجراً على إبلاغكم وحي الله ولكن أطلب منكم أن ترعوا القرابة التي بيني وبينكم بالمودة.

٢- وقال بعض المفسرين: إنها خطاب لسائر الناس، والمعنى: ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [سورة الشورى:٢٣]، أي: أن تودوني في قرابتي، وأن ترعوهم، وأن تعرفوا حقوقهم ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ [سورة الشورى:٢٣] لا أسألكم على البلاغ أجراً إلا أن تودوا قرابتي، وأن تحبوهم، وأن ترعوهم، وهذا دالٌ على فضلهم.

وهكذا ورد فضلهم في السنة كثيراً، جاء في صحيح مسلم (٢٢٧٦ -١-) عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ**

بَنِي هَاشِمٍ». فجعل الله سبحانه وتعالى نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ممن اصطفاه على سائر الخليقة، وهكذا اصطفى أهل بيته رضي الله تعالى عنهم.

وهكذا ذكّر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الناس بما لأهل بيته من حَقٍّ عليهم، وأن يرعوهم فيه إكراماً لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولما جعل لهم من الفضل، جاء في صحيح مسلم (٢٤٠٨ -٣٦-)، عن زيد بن أرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ: أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**». أي أن تعرفوا حقهم ومكانتهم، وقرابتهم من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا تعادوهم، ولا تسبوهم، ولا تؤذوهم، بل ارعوهم لقرابتهم من رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهكذا مما جاء في فضلهم ما ورد في الحديث عن جماعة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». والسبب هو الصهر، ولذا قال في رواية: «**كُلُّ نَسَبٍ وَصِهْرٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلاَّ سَبَبِي ونَسَبي**»[(١)].

(١) رواه الطبراني (٢٦٣٣) وغيره، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٣٦).

وقد كان جماعة من السلف يحتجون بهذا الحديث على فضل أهل بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما لهم من الإكرام يوم القيامة.

وهكذا ورد الحث منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على الصلاة عليه وعلى أهل بيته في الصلاة، فالمصلي يصلي على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعلى أهل بيته، ومعنى الصلاة عليهم أنه يدعو لهم أن الله تعالى يثني عليهم، ويذكرهم بالخير، فكل مصلٍّ يقول في صلاته: (اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم)، ويقول: (اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم)، وهذا مما جعل الله سبحانه وتعالى لهم من الفضيلة والمكانة بقرابتهم من رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

أقول ما سمعتم.

والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، هذه الفضائل العظيمة، وغيرُها كثيرٌ، مما ورد في القرآن والسنة من فضل أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما تَنال من كان مؤمناً منهم بالله ورسوله ودينه الحق، وأما من ليس بمؤمن فلا ينفعه قربه من رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال الله تعالى في أبي لهب الذي هو أقرب الناس نسباً إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو عمُّه، ومع ذلك قال الله فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [سورة المسد:١-٥]، فأخبر الله تعالى أن عمه الذي لم يؤمن به ولم يتبعه في النار، وذمه الله جل وعلا وأخبر بخيبته وهلاكه.

وهكذا عمُّه أبو طالب رغم ما حصل منه من نصرةٍ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن وقوفٍ إلى جانبه ومن دفاعٍ عنه إلا أنه لم يؤمن به، فاسمع ما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في جزائه في حديث العباس بن عبد المطلب[1]، حين قال للنبي

---

(١) رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩ -٣٥٧-).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**».

وفي الصحيح أيضًا: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**»(١)، فهؤلاء أعمامه، أقرب الناس نسبًا إليه أخبرنا أنهم في النار حين لم يؤمنوا به.

وفي الصحيحين(٢) عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذكر له بعض أهل بيته فقال: «**إِنَّ آلَ أَبِي -يَعْنِي فُلَانًا- لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**».

وفي صحيح مسلم (٢٦٩٩ -٣٨-)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ؛ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُه**». من بطأ به العمل من الإيمان بالله والعمل الصالح لم ينفعه نسبه يوم القيامة وإن كان من أقرب الناس إلى رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

في صحيح مسلم (٢٠٣ -٢٤٧-) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلًا جاء فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «**فِي النَّارِ**». وذلك أنه مات في الجاهلية، فحزن الرجل، فدعاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**».

---

(١) رواه مسلم (٣٦٢ -٢١٢-) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥ -٣٦٦-).

وفي صحيح مسلم (٩٧٦ -١٠٥-)، أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا، فَأَذِنَ لِي**»، فمن بطأ به عمله، إيمانه بالله، ورسوله، ودينه الحق، وعمله الصالح، لم ينفعه النسب.

وبهذا تعلم أن قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**كُلُّ نَسَبٍ وَسَبَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلاَّ سَبَبِي ونَسَبي**»، المراد به من كان منهم من أهل الإيمان.

فلا يتكل الإنسان على الأنساب كما قال القائل:

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه * فلا تترك التقوى اتكالا على النسب**
لقد رفع الإسلام سلمانَ فارسٍ * وقد وضع الشركُ النسيبَ أبا لهب**

فلا ينفع الإنسان إلا إيمانه بالله، وعمله الصالح، وهذا لا بد من فهمه.

أيضًا مما يتعلق بذلك أن هذه القضية قضية أهل بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هلكت فيها طائفتان، وصار الناس فيها طرفان ووسط، فهلك الطرفان ونجى الوسط، وخير الأمور أوسطها، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة:١٤٣]، أما الذين هلكوا فيها:

فالطائفة الأولى: الروافض الذين غلوا في أهل بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وادَّعَوا لهم ما لا يجوز في حقهم، فادَّعَوا لهم الألوهية والربوبية، ادعوا لهم التصرف في الكون، ادعوا لهم أن خزائن السماوات والأرض بأيديهم، وأن حساب الناس يوم القيامة إليهم، وأن الجنة والنار بأيديهم، ادعوا لهم العصمة، وأن كلامهم كالقرآن تُؤخذ منه الأحكام، وعبدوهم من دون الله، فسجدوا لهم، وذبحوا لهم الذبائح من

دون الله، وطافوا بقبورهم، وقربوا لهم القرابين، وهذا غلوٌّ شديد، وهذه طائفة هلكت في أهل بيت رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وأول مَن بَيَّن هلكتها وزجرها هم أهل بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جاء عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأصله في البخاري (٦٩٢٢)، أنه خرج يوماً وهؤلاء الذين يزعمون أنهم يعظمونه -الغلاة الذين غلوا في أهل البيت- سجدوا له، فأمر عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بإحراقهم، وقال:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً * أجَّجْتُ ناري ودعوت قُنْبَراً**

وقنبر مولى كان لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فأمره بإحراقهم.

وهكذا تبرأ منهم، أهل البيت في زمانهم تبرأ منهم زيد بن علي بن الحسين حين أتوا إليه فقالوا له: تبرأ من أبي بكر وعمر، قال: كيف أتبرأ منهما وهما وزيرا جدي، أي: رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا: إذن نرفضك، قال: اذهبوا فأنتم الرافضة، فسُمُّوا من ذلك اليوم بالرافضة(١).

وقال زين العابدين علي بن الحسين: (إن هؤلاء يبكون علينا فمن قتلنا سواهم؟!)، أي: هم الذين قتلوا أباه الحسين بن علي حين استدعوه إلى العراق وكذبوا عليه، ثم لما وصل إليهم أسلموه إلى عبيد الله بن زياد.

فهذه طائفة غلت وجاوزت الحد في أهل بيت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهلكت.

---

(١) ذكر ذلك شيخ الإسلام في "منهاج السنة" (١/ ٣٤-٣٥) (٢/ ٩٦)، وغيره من أهل العلم.

علمًا أن ادعاءهم محبة أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذبٌ وزور، إنما أرادوا به استعطاف قلوب الناس، وأن يستميلوا قلوب من لا يعرف حقيقتهم من الناس أنهم يحبون أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم ممن يعاديهم في الحقيقة.

الطائفة الثانية: التي هلكت فيهم، -وهم طرف نقيض من الطائفة الأولى- هم النواصب، وسُمُّوا نواصب لأنهم نصبوا العداوة لأهل بيت رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فعادوهم، وسبوهم، وذموهم، وتنقصوهم، وطعنوا فيهم، بل قتلوا منهم من قتلوا، كما فعل عبيد الله بن زياد الذي قتل الحسين بن علي، وبعض من كان معه من أهل بيته، فهؤلاء أيضا على ظلال وانحراف، خالفوا كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي بيَّن فيه فضلهم.

الطائفة الثالثة: وهي الوسط وهي التي نجت وسلمت في الدنيا، وهي الموعودة بالسلامة يوم القيامة، وهم أهل السنة والجماعة، الذين أحبوهم حبًا شرعيًا، أحبوهم لقرابتهم من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان حبُّهم لهم من حبهم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأثنوا عليهم، وذكروهم بالخير، بل جعلوا ذلك في كتب العقائد التي يدرسونها ويعتقدونها، ولكن كان حبًا شرعيًا فلم يجاوزوا ذلك، ولم يعتقدوا عصمتهم، ولم يعتقدوا لهم شيئا من خصائص الله، ولم يعتقدوا لهم ما لا يجوز في حقهم.

وأيضا رأوا أن هذه الفضائل محصورة فيمن كان مؤمنًا منهم، وأما من لم يكن مؤمنًا منهم فليس له من هذه الفضائل شيء وإن كان أقرب الناس إلى رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وقد بدأ هذا السبيل صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسار بعدَهم أتباعُهم من السلف إلى يومنا هذا.

جاء في صحيح البخاري (٣٧١٣) عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: (ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ). ارقبوا فيهم: أي راعوا حرمته في أهل بيته، وأكرموا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل بيته، واعرفوا له قدره في أهل بيته بإكرامهم.

وجاء في الصحيحين[1] أيضًا عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه حين جاءت فاطمة تريد ميراثها من رسول الله، وهكذا جاء العباس وعلي يريدون شيئًا مما ترك الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال أبو بكر: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي).

وهذه كلمة عظيمة: والله لقرابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي، إكراما للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وهكذا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال للعباس بن عبدالمطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين أسلم: (وَاللهِ لَإِسْلَامُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وَمَا

(١) البخاري (٣٧١١)، ومسلم (١٧٥٩ -٥٢-).

بِي إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ)[1]، يعني أباه، فعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحبَّ إسلام العباس لأنه من قرابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإسلامه يُدخل السرور على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وجاء في صحيح البخاري (١٠١٠) أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا خرج إلى الاستسقاء في خلافته يخرج بالعباس عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجعل العباس هو الذي يستسقي بهم، أي يدعو لهم، إكراماً منه لقرابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يقول: (اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، فَيُسْقَوْنَ).

اللهم إنا كنا نستسقي إليك بنبينا فتسقينا وإنا نستسقي إليك بعم نبينا فاسقينا فيسقون، نستسقي إليك بعم نبينا، أي بدعائه، فكان يقدمه للدعاء، فيسقيهم الله سبحانه وتعالى.

وخرج أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما في صحيح البخاري (٣٥٤٢)، فوجد الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يلعب مع الصبيان، فأخذه وضمه إليه وقال: (بِأَبِي شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ، لَا شَبِيهٌ بِعَلِيٍّ).

وهكذا سار أهل العلم من أتباع السلف على معرفة فضلهم ومعرفة حق من كان صالحاً منهم، فمن كان صالحاً، مؤمناً، تقياً وهو ممن ينتسب إلى أهل بيت رسول

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في "المطالب العالية" (٤٣٠١) والطبراني في "المعجم الكبير" (٨/ ٩) بسند صحيح.

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فله مزيد حقٍ على المسلمين، له مزيدٌ على حق الإسلام له حق القرابة من رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وقد كثر في هذا الزمان من يدَّعي الانتساب إلى رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو كاذب، لا سيما من الرافضة، وكثير منهم كاذب كما أثبت ذلك المؤرخون، ولا ينفعهم انتسابهم، وهم إنما أرادوا أن يضللوا به على الناس، ولا يجوز لأحد أن ينتسب إلى غير أبيه، ومن انتسب إلى غير أبيه فقد ورد لعنه في السنة الصحيحة، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ ؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا**»(١)، كذا قال نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وفي المقابل لا يجوز الطعن في نسب إنسان ينتسب إلى أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا ببينة.

فانتساب كثير من الرافضة اليوم إلى أهل بيت رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ منه ما هو كذب، ومنه ما لا ينفعهم وإن كان صدقًا، فإن كان صدقًا فلا ينفعهم انتسابهم كما لم ينفع أبا لهب وحَكَمَ الله عليه بنار ذات لهب، وإن كان انتسابهم إليه كذبًا كما ينتسب إليه كثير من المجوس ممن بعضهم يرجع إلى السيخ، كالخميني وأمثاله الذين هم

(١) رواه مسلم (١٣٧٠ -٤٦٧-)، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أصلاً من سيخ الهند، كما أثبته بعض المؤرخين، فهذا لا ينفعه من بابٍ أولى، وإنما ينفع ذلك من كان من أهل بيته حقًا، وكان مؤمنًا بالله ورسوله ودينه الحق.

فهذه المسألةٌ ضلَّ فيها طوائف من الناس في قديم الزمان وحديثه، وهذا خلاصةُ ما دلَّ عليه كلام الله، وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهدي سلف هذه الأمة.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا هداةً مهتدين غير ضالين ولا مضلين.

نسأل الله جل وعلا أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وأن يكفر عنا سيئاتنا.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين.



(٢٥) الإيمان بعلو الله على خلقه واستوائه على عرشه

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن مما يجب على المسلم اعتقاده، مما أخبر الله سبحانه وتعالى به، وأخبر به نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، الإيمان بعلو الله جل وعلا وفوقِيَّتِهِ واستوائه على عرشه، فإن هذه الصفات من أعظم صفاته سبحانه وتعالى، ومما أقرَّ به السلف ولم يخالفهم في ذلك إلا أهل البدع والضلال.

فإننا نؤمن أن الله جل وعلا من صفاته العلو، علو ذاته سبحانه، وعلو صفاته.

نؤمن أنه سبحانه وتعالى فوق خلقه، وأنه مستوٍ على عرشه كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

وقد تواترت الأدلة الكثيرة في القرآن والسنة بإثبات علو الله جل وعلا على خلقه، حتى عدَّها بعض العلماء أكثر من ألفي دليل من القرآن والسنة، كما قال الإمام بن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

يـــا قومنـــا والله إنِّ لقولنـــا * ألفًـــا تَـــدُلُّ عليـــه بـــل ألفـــانِ**
عقـلا ونقـلا مَعْ صـريح الفطـرةِ الـ * أُوْلَـــى وذَوْقِ حـــلاوةِ القـــرآنِ**
كُـــلٌّ يَـــدُلُّ بأنـــه ســـبحانه * فـــوقَ الســـماءِ مُبَـــاينُ الأكْـــوانِ**

فالأدلة الكثيرة في كلام الله جل وعلا وفي كلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تدلُّ على أن الله جل وعلا فوق خلقه أجمعين، عالٍ عليهم، وقد تنوَّعت هذه الأدلة إلى أنواع كثيرة، وتحت هذه الأنواع أفرادٌ يَعْسُرُ حصرها، فمنها:

التصريح بالعلو، فالله سبحانه وتعالى أخبر في كتابه بأنه العلي، وبأنه الأعلى، وبأنه المتعالي، وكلها تدل على معنى واحد وهو إثبات العلو لله تعالى: قال الله سبحانه:

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]، وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١﴾ [سورة الشورى:٥١]، وقال الله جل وعلا: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [سورة الأعلى:١]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩﴾ [سورة الرعد:٩]، المتعال على خلقه أجمعين. وكم هي الأدلة الكثيرة التي صَرَّحَتْ بأنه العلي سبحانه وتعالى.

ومنها أدلة صرحت بأنه فوق خلقه، قال الله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [سورة الأنعام:١٨]، وقال الله سبحانه وتعالى عن الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [سورة النحل:٥٠].

وجاء في صحيح البخاري (٧٤٢٠)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كانت زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تفخر على أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ.

إشارةً منها إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ [سورة الأحزاب:٣٧]، فكانت تفخر بذلك، وتثبت علو الله وفوقيته على خلقه.

ومنها أدلة صرحت بأنه جل وعلا في السماء، وكم هي الأدلة في القرآن والسنة التي تدل على أن الله جل وعلا في السماء، قال الله سبحانه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾ [سورة الملك:١٦-١٧]، فالله جل وعلا في السماء.

جاء في صحيح مسلم (٥٣٧ -٣٣-)، عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه كانت له جارية ترعى الغنم قال: فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَإِذَا الذِّئبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، -أي ضربها، ثم ندم بعد ذلك، وأراد أن يعتقها، قال: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «**ائْتِنِي بِهَا**»، -أي ليختبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إيمانها-، قال: فَأَتَيْتُهُ بِهَا. فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ اللهُ؟**»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**»، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**».

فشهد لها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالإيمان حين أقَرَّتْ أن الله جل وعلا في السماء، وسألها هذا السؤال بقوله: «**أَيْنَ اللهُ؟**»، وهو أعلم الناس بربه، وهو أتقى الناس وأخشاهم لله، لا كما يفعله بعض الضُّلَّال اليوم، يرى أن هذا السؤال خطأ، بل يرى أنه شَكٌّ في الله جل وعلا، وإذا سمع من يسأل هذا السؤال يقول: أفي الله شك؟! وقد سأل هذا السؤال خير خلق الله أجمعين، وأعلم الناس برب العالمين، سأل الجارية فقال لها: «**أَيْنَ اللهُ؟**»، فقالت: في السماء. فشهد لها بالإيمان.

وجاء في الصحيحين[1] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا تَأْمَنُونِي، وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟**»، والأدلة التي تثبت أن الله جل وعلا في السماء كثيرة.

---

(١) البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤ -١٤٤-).

قال أهل العلم: ومعنى قوله: في السماء، أي: على السماء، فإن (في) تكون بمعنى (على)، كما قال الله جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [سورة الملك:١٥]، أي: امشوا على مناكبها فوقها، وقال فرعون للسحرة كما أخبر الله عنه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [سورة طه:٧١]، أي: على جذوع النخل وفوقها، إذن فمعنى قوله: (في السماء) على السماء، أو أن يكون المراد بالسماء هنا العلو، فيكون معنى (في السماء) أي في العلو، وليس معناه أن السماء ظرفٌ له تحيط به، سبحانه وتعالى عن ذلك، بل هو أجل وأعظم من أن يحيط به شيء من خلقه، فالله جل وعلا في السماء أي: فوق السماوات سبحانه وتعالى، وأهل السنة مجمعون على هذا، لا يختلفون أن هذا هو معناه، ولا يجوز حَمْلُهُ على غير هذا.

ومنها ما جاء من الأدلة في إثبات صعود الأشياء إليه، وقد تكاثرت الأدلة في القرآن والسنة أن الأشياء تصعد إلى الله تعالى وترفع إليه، ولا تصعد الأشياء إليه إلا وهو في العلو، قال الله جل وعلا: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [سورة فاطر:١٠]، وقال الله سبحانه: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [سورة آل عمران:٥٥]، وقال الله جل وعلا: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [سورة المعارج:٤]، تعرج أي: تصعد، فالأشياء تعرج إليه، وترفع إليه، وتصعد إليه سبحانه، وهذا من أوضح الأدلة على أنه في العلو جل وعلا.

ومنها ما جاء في آيات كثيرة أن الأشياء تنزل من عنده، وكونها تنزل من عنده سبحانه دليل على أنه في العلو، ولذا سمى ما يأتي من عنده نزولاً، فمن ذلك أن الله جل وعلا أخبر في آيات كثيرة أنه أنزل هذا القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [سورة القدر:١]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [سورة الدخان:٣]، وقال: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [سورة النحل:١٠٢]، وقال: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ [سورة الزمر:١]، وقال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ۝٢٣﴾ [سورة الإنسان:٢٣].

وأخبر الله جل وعلا أنه يُنزِّل الملائكةَ بالروح من أمره على من يشاء من عباده، وكل هذه الأدلة تدل على أنه سبحانه في العلو، لأن نزول الأشياء من عنده سبحانه، دليل على أنه في العلو جل جلاله.

ومنها ما جاء من الآيات فيها التصريح باستوائه على العرش، وقد ورد ذلك في سبعة مواضع من القرآن، وهي تدل على العلو؛ فإن الاستواء بمعنى العلو والارتفاع، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

ومنها الأدلة التي فيها التَّصْرِيحُ بِرَفْعِ الْأَيْدِي إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، ومَدِّها إلى السماء، كحديث سلمان: «**إِنَّ اللهَ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**». وحديث أبي هريرة: «**ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ**». وهي ظاهرة في الدلالة على أن الله تعالى في العلو، ولذا فإن الداعي إذا أراد أن يدعوه،

يرفع يديه إليه، وإنما تُرفع اليدان إلى السماء لأنه جل وعلا في العلو، فكل هذا يدل أن الله جل وعلا في العلو.

وهكذا يدل عليه إجماع السلف أجمعين، لم يخالف منهم أحد في أن الله جل وعلا في العلو.

ويدل عليه الفطرة الصحيحة، فكل إنسان على الفطرة الصحيحة يجد قلبه يتوجه إلى السماء إذا سأل الله جل وعلا شيئا أو دعاه أو توجه إليه، وهذه فطرة فطر الله الخلق عليها أنه جل وعلا في السماء، ولم يخالف في ذلك إلا أهل البدع الضلال الذين تلوَّثت فِطَرُهم، فقالوا إن الله في كل مكان، أو نفوا علو الله جل وعلا.

قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في كتاب "السنة" (١/ ١٧٤) لعبدالله بن الإمام أحمد: (نعرف ربنا بأنه فوق سماواته مُبَايِنٌ لخلقه، لا كما تقول الجهمية: إنه هاهنا، وأشار إلى الأرض).

فبهذا عرف السلف ربهم، أنه فوق سماواته مباين لخلقه، لا كما يقول الجهمية إنه هاهنا وأشار إلى الأرض.

وأسوة الجهمية في إنكار علو الله فرعونُ فهو الذي أنكر أن يكون الله في العلو، قال الله جل وعلا عنه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا﴾ [سورة غافر:٣٦]، أي بناءً طويلاً، ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [سورة غافر:٣٦-٣٧]، فقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [سورة غافر:٣٧]، فيها

تكذيب لموسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لأن موسى أخبرَ أن ربه في العلو، وفرعون كذَّب بذلك وأنكر أن يكون الله في العلو.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فمن أثبت علو الله فهو موسوي محمدي، ومن أنكر علو الله فهو فرعوني)[١]. أي أن أُسْوَتَه فرعون في إنكار علو الله جل وعلا.

فالذي يقول: إن الله في كل مكان، أو ينكر أن يكون الله في العلو، ويقول أقوالاً لا يستسيغها عقل، هذا أسوته فرعون، وأما محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وموسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنهم يثبتون أن إلههم وربهم جل جلاله في العلو.

فهذا من أعظم صفات الله، ومما فارق به السلفُ أهلَ البدع والضلال، وهو الإيمان بعلو الله جل وعلا وفوقيته، علواً بذاته سبحانه، وبصفاته، فهو عليٌّ على خلقه بائنٌ منهم، ليس مختلطاً بهم، ولا حالًّا في أمكنتهم، بل هو سبحانه وتعالى بائن عن خلقه أجمعين.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.



(١) انظر "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٣٥١) "شرح الطحاوية لابن أبي العز" (٢/ ٣٨٥).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، ومن الإيمان بعلو الله جل وعلا الإيمان باستوائه على عرشه، فإن الإيمان بالاستواء هو من الإيمان بالعلو، فإن الاستواء علوٌّ خاصٌّ على العرش، وفي سبعة مواضع من القرآن يذكر الله جل وعلا أنه مستوٍ على عرشه، في آيات يقول: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [سورة الأعراف:٥٤]، وفي آيات يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه:٥]، في سورة الأعراف [٥٤]، وفي سورة يونس [٣]، وفي سورة الرعد [٢]، وفي سورة طه [٥]، وفي سورة الفرقان [٥٩]، وفي سورة السجدة [٤]، وفي سورة الحديد [٤]، كلها يخبر الله جل وعلا فيها أنه مستوٍ على عرشه سبحانه وتعالى.

واستواء الله على عرشه هو بمعنى علوه وارتفاعه عليه، فاستوى على العرش أي علا وارتفع عليه، فهو سبحان فوق العرش مستوٍ عليه سبحانه وتعالى.

وليس معنى الاستواء أنه محتاج للعرش، بل العرش وما دونه من المخلوقات كلها محتاجة لله، فالله جل وعلا هو الذي يمسك السماوات والأرض، ولولا إمساكه للسماوات والأرض لزالت، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن

تَزُولَآ ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾﴾ [سورة فاطر:٤١].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۚ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة الحج:٦٥]. فالعرش محتاج إلى الله جل وعلا، والله تعالى هو الذي يمسكه.

ونؤمن بعلوه سبحانه وارتفاعه عليه، جاء في الصحيحين[(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي. فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ**». هذا الكتاب هو عنده فوق العرش.

والعرش هو أعلى المخلوقات ليس فوق العرش من المخلوقات إلا هذا الكتاب، الذي كتبه الله جل وعلا، وإلا فالعرش هو أعلى المخلوقات، والله جل وعلا قد علا على العرش.

جاء في حديث العباس بن عبد المطلب[(٢)] وأبي ذر وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبنحوه عن ابن مسعود موقوفا[(٣)]، بما حاصله: «**أَنَّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ،**

---

(١) البخاري (٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١ -١٤-).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وأحمد (١٧٧٠).

(٣) حديث أبي هريرة وأبي ذر وأثر ابن مسعود أخرجها البيهقي في "الأسماء والصفات" (٨٤٩) (٨٥٠) (٨٥١) (٨٥٢).

وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَفَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» -أي: مسيرة خمسمائة سنة، «**والعرش فوق البحر**»، كما قال الله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [سورة هود:٧]، «**والعرش فوق ذلك، والله تبارك وتعالى فوق العرش، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم**»، وفي بعض الروايات: «**وهو يعلم ما أنتم عليه**».

فهذه السماوات بعظمتها، فوقها بحر، وفوق هذا البحر العرش، الذي هو أعلى المخلوقات وأكبرها، والله جل وعلا مستوٍ على عرشه سبحانه وتعالى.

نؤمن بذلك كما أخبرنا به نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الله جل وعلا مستوٍ على عرشه، وكما أخبرنا بذلك ربنا سبحانه وتعالى.

فيجب على المؤمن أن يؤمن بذلك، ولا يجوز أن يقع في قلبه ما يعتقده أهل الضلال والبدع من إنكار علو الله سبحانه وتعالى على خلقه أجمعين.

وهذا الأمر وهو الإيمان بعلو الله وفوقيته واستوائه على عرشه مما يزيد المؤمن إيمانًا بعظمة الله، يزيد المؤمن إيمانًا بسعة ملك الله، وأن الله جل وعلا عالٍ على كل الخلق مالك لهم مسيطر عليهم سبحانه وتعالى.

إيماننا بعلو الله يجعلنا نعظم الله جل وعلا وننفي عنه صفات النقائص والعيوب، بل نثبت له صفات الكمال التي من أعظمها العلو علو الله سبحانه وتعالى، فكلما علم العبد ذلك كلما زاد إيمانه بالله ومراقبته له، وعلمه بملك الله وسلطانه العظيم سبحانه

وتعالى، ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [سورة الأنعام:١٨]، فهو قاهر فوقهم أجمعين سبحانه وتعالى.

نسأل الله جل وعلا أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الكفر والكافرين.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان، اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في فلسطين، واجعل لهم فرجًا ومخرجًا مما نزل بهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والحمد لله رب العالمين.

(٢٦) معية الله لخلقه وقربه منهم

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كنا تحدثنا فيما مضى عن إثبات علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على خلقه واستوائه على عرشه وأن ذلك من أعظم صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإن مما أثبته الله جل وعلا لنفسه وأثبته له نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أنه جلَّ وعلا مع خلقه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [سورة الحديد:٤]، وقال الله سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [سورة المجادلة:٧]، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة النحل:١٢٨]، ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة:٤٠]، في آيات كثيرة يخبر الله جل وعلا فيها أنه مع خلقه.

وجاء في الصحيحين[1] عن أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُؤُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ -وذلك حين خرج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مهاجراً ولجأ إلى غار ثور، فأدركه المشركون، وصعدوا على ذلك الغار- قال أبو بكر: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا. فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**». ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة:٤٠].

---

(١) البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١ -١-).

فالله جل وعلا مع خلقه، وهو قريبٌ منهم، ومعنى قُرْبِهِ جل وعلا منهم قريبٌ من معنى معيته سبحانه، فالله معنا والله جل وعلا هو القريب منَّا.

جاء في الصحيحين[1] عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال كنا مع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في سفر، فارتفعت أصواتنا بالتكبير، فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ** -أي: خفِّفوا على أنفسكم ولا تشقوا عليها-، **إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**»، أي: إنما تُرفع الأصوات في نداء البعيد، وأما الله جل وعلا فهو قريب منكم، وليس هو بأصم ولا غائب.

فمعية الله جل وعلا لخلقه وقربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منهم مما أخبرنا الله جل وعلا به عن نفسه وأخبرنا به رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي هو أعلم خلقه به.

وإيماننا بمعية الله وقربه لا ينافي إيماننا بعلوه سبحانه واستوائه على عرشه، فالله جل وعلا مع خلقه قريب منهم وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عالٍ عليهم فوق سماواته مستوٍ على عرشه.

ولا تنافي بين علوه سبحانه وبين قربه ومعيته، وذلك لأن الله تعالى جمعهما لنفسه والله جل وعلا أعلم بنفسه ممن سواه، جمعهما في آية واحدة في قوله جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى

---

(١) البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤ -٤٤-) و (٢٧٠٤ -٤٦-).

ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ [سورة الحديد:٤]، فجمع الله تعالى في هذه الآية بين استوائه على عرشه ومعيته لخلقه.

وفي حديث العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبنحوه عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أخبر أن فوق السماوات بحر، وأن فوق هذا البحر العرش، قال: «**وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ شَيْءٌ**».(١) أي: هو جل وعلا مستو على عرشه، وهو مُطَّلِعٌ عليكم، عالمٌ بكم، لا يخفى عليه شيء من شؤونكم.

الله جل وعلا ليس كمثله شيء، نؤمن أنه سبحانه عالٍ على خلقه، له العلو المطلق، علو ذاته، وعلو صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو مع خلقه قريب منهم.

وقد كان نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول إذا سافر كما في صحيح مسلم (١٣٤٢ - ٤٢٥-)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ**». ولا يمكن أن يجتمع ذلك إلا لله جل وعلا أن يكون مصاحباً للمسافر في سفره، وهو خليفته في أهله، وذلك لأن الله ليس كمثله شيء.

وأخبرنا نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن الله جل وعلا يجيب كل مصلٍّ إذا حمده وأثنى عليه، ففي حديث أبي هريرة في صحيح مسلم (٣٩٥ -٣٨-): «**إِذَا قَالَ الْعَبْدُ:**

---

(١) رواه أحمد (١٧٧٠). وقد تقدم تخريجه في خطبة: علو الله على خلقه.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [سورة الفاتحة:٢]، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [سورة الفاتحة:٣]، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [سورة الفاتحة:٤]، **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي...**». إلى آخر الحديث، وهذا لكل مصلٍّ، يُجيبه الله جل وعلا بذلك، ولو صلَّوا في مكانٍ واحدٍ، وفي وقتٍ واحدٍ، وكلهم قرأ بلفظٍ واحدٍ، فإن الله يجيبهم جميعًا، وبهذا يتبين أن الله تعالى ليس كمثله شيء، وأن ما له من الصفات ليس كصفات المخلوقين.

وجاء في حديث الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الإمام أحمد (١٧٨٠٠)، والترمذي (٢٨٦٣)، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال –وهو يذكر وصية يحيى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لقومه أنه قال–: «**وَآمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا**». وهذا في حق كلِّ مصلٍ يُقبل الله جل وعلا عليه في صلاته، ولو تعدد المصلون، فإن الله تعالى قِبَلَ وجه المصلي ما لم يلتفت، فإذا التفت انصرف عنه.

وبنحوه ما جاء في الصحيحين[(١)] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ عَنْ شِمَالِهِ تَحْتَ قَدَمِهِ الْيُسْرَى**».

---

(١) البخاري (٤٠٦) و(٤٠٩)، ومسلم (٥٤٧ – ٥٠ –).

فالله جل وعلا ليس كمثله شيء، والله جل وعلا له من الصفات والأفعال العظيمة ما لا يكون لأحد من خلقه، فلا منافاة بين علو الله جل وعلا واستوائه على عرشه وبين معيته لخلقه سبحانه وقربه منهم، فالله جل وعلا فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه، وهو جل وعلا معهم لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالهم.

قال أهل العلم: قد يجتمع ذلك لمخلوق، فما بالك بالخالق العظيم، فإن المسافر الضارب في السير، يقول في سيره وسفره: ما زلنا نسير والقمرُ معنا. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فهذا القمر من أصغر مخلوقات الله جل وعلا، هو في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر، فإذا جاز هذا للمخلوق فكيف بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ)[1]. فلا منافاة بين أن يكون الله جل وعلا في السماء وأن يكون مع الخلق.

ومعية الله جل وعلا لخلقه من أعظم صفاته، وهي نوعان:

١ - معية عامة لجميع المخلوقين إنسهم وجنهم، مسلمهم وكافرهم، من له عقلٌ منهم ومن ليس له عقلٌ من الحيوانات والبهائم، الله جل وعلا معهم معيةً عامة، ومقتضى هذه المعية إحاطة الله جل وعلا بخلقه علماً، وسمعاً، وبصراً، وقدرةً، وسلطاناً، وتدبيراً، فهو يعلم أحوالهم، يسمعهم، ويراهم، وهو القادر عليهم، المدبر لشؤونهم، المتصرف فيهم.

---

(١) "مجموع الفتاوى" (٣/ ١٤٢).

فهذه المعية العامة لكل الخلق التي أثبتها الله جل وعلا في آيات كثيرة، منها قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة المجادلة:٧].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ابتدأ الله جل وعلا هذه الآية بالعلم، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [سورة المجادلة:٧]، وختمها الله جل وعلا بالعلم)، فمقتضى هذه المعية التي ذُكرت في هذه الآية هو العلم، وأن الله جل وعلا يعلم أحوال خلقه ولا يخفى عليه شيء من شؤونهم، فهذه معية عامة.

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾ [سورة الحديد:٤]، ثم قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الحديد:٤]، فذكر علمه بكل شيء وذكر معيته جل وعلا، فمقتضى هذه المعية العامة العلم، فما من شيء من أحوال العباد صغير ولا كبير، ظاهر ولا خفي، إلا والله جل وعلا يعلمه.

٢- المعية الثانية: معية خاصة، خاصة ببعض الأشخاص، سواء كانوا أشخاصاً بأعيانهم، أو أشخاصاً اتصفوا بصفات معلومة فإن الله جل وعلا معهم، قال الله

لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [سورة طه:٤٦]، وقال تعالى: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [سورة التوبة:٤٠].

وهكذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [سورة النحل:١٢٨]، فأهل التقوى والإحسان الله جل وعلا معهم، وقال الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [سورة الأنفال:٤٦]، إلى آيات كثيرة يبين الله تعالى فيها أنه مع بعض خلقه معيةً خاصة.

ومقتضى هذه المعية مع ما سبق من العلم والقدرة والإحاطة مقتضاها النصر والتأييد والتوفيق والتسديد، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [سورة طه:٤٦]، أي: بنصري، وتأييدي، وتوفيقي وتسديدي لكما، ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [سورة التوبة:٤٠]، أي: بحفظه لنا، وكلاءته، وتوفيقه وإعانته، كلُّ هذا من مقتضى معيته الخاصة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التي تكون لبعض خلقه.

عباد الله، معية الله جل وعلا لخلقه لا تقتضي اختلاطًا بالخلق أو أن الله تعالى حالٌّ في أمكنتهم أو مختلط بهم، إنما يقول هذا من لم يُعظِّم الله حق تعظيمه، ولم يَقْدُرْهُ حق قدره، إذ كيف يقول ذلك قائل أن الله جل وعلا مختلط بالخلق أو حالٌّ في أمكنتهم، وما السماوات والأرض كلها في يده سبحانه إلا كخردلة في يد أحد الناس.

إذا كان كرسيه جل وعلا الذي هو موضع القدمين قد وسع السماوات والأرض، كرسيه الذي هو مخلوق من مخلوقاته وسع السماوات السبع والأرضين السبع وما

بينهما فكيف يقول من عظم الله حق تعظيمه: إن الله جل وعلا مختلط بخلقه أو حالٌّ في أمكنتهم، تعالى الله جل وعلا عن ذلك.

إنما قال هذا الحلولية من غلاة الجهمية الذين حكم أهل العلم بكفرهم وزندقتهم، وإلا فمن يثبت معية الله جل وعلا كما أثبتها القرآن والسنة يثبت أيضًا علو الله جل وعلا على خلقه واستواءه على عرشه.

أيها الناس، هذه من صفات الله العظيمة التي يستفيد المؤمن من الإيمان بها فوائد كثيرة، فمما يستفيده من إيمانه بمعية الله وقربه:

١- **أنه يعلم عظمة الله**، وأن الله جل وعلا ليس كمثله شيء، إذا كان يؤمن أن الله في السماء مستوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه، وأنه مع خلقه قريبٌ منهم، لا يخفى عليه شيءٌ من أحوالهم، فإنه يعلم عظمة ما له جل وعلا من الصفات، وأنه سبحانه لا تُدْرِكُ العقولُ كُنْهَه، ولا تبلغ ذلك مهما كانت عليه من الذكاء والعلم، فإن الله جل وعلا أعظم من ذلك.

٢- **أن يؤمن بإحاطة الله**، وأن الله جل وعلا محيط بخلقه، محيط بهم علماً، محيط بهم سمعاً، محيط بهم بصراً، وقدرةً، وسلطاناً، وتدبيراً، كل الخلق لا يخرج عن ذلك أحد منهم.

٣- **أنه يراقب الله**، لأنه يعلم أن الله يعلم حاله، يسمعه، ويراه، يبصر مكانه، ولا يخفى عليه شيء من خلقه، إذاً عليه أن يراقب الله، وأن يستحيي من نظر الله جل وعلا إليه.

وإذا خلـــوتَ بريبـــةٍ في ظلمـــة * والـــنفسُ داعيـــةٌ إلـــى الطغيـــان**

فاستحيي مـن نظـر الإلـه وقـل لهـا * إن الـــذي خلـــق الظـــلام يـــراني**

فيكتسب العبد من معرفة ذلك مراقبةً عظيمةً لله جل وعلا.

٤- **أنه يكون متوكلاً على الله**، واثقاً به، مقبلاً على الخير، صادعاً بالحق، مبيناً له، مجاهداً في سبيل الله، ناشراً لهذا الدين، لا يخاف في الله لومة لائم، لأنه يعلم أن الله معه يؤيده، ويعينه، وينصره، يعلم أن الله هو الذي يحفظه، ويكلؤه، ويرعاه.

وتأمل ما أعظم قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نبيه: ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة:٤٠]، نعم هؤلاء المشركون على رؤوسنا لكن بقي الله جل وعلا معنا.

وأرسل الله جل وعلا موسى وهارون إلى أعتى الخلق في ذلك الزمان، فرعون الذي ادعى الألوهية والربوبية، الذي بطش بالناس وسامهم سوء العذاب، وموسى وهارون بَشَرٌ من البشر فثبتهم الله وقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة طه:٤٦]، ومن كان الله معه فمن الذي يقدر عليه، من كان الله معه فمن الذي يستطيع أن يناله بسوء، فإيمان العبد بمعية الله وقربه منه يجعله واثقاً بالله متوكلا عليه، مُقْدِمَا على الخير لا يخاف في الله لومة لائم.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، لا ننسى فضل هذه الأيام المباركة وما فيها من الفضل العظيم الذي ساقه الله جل وعلا إلينا، فنحن في أيام هي خير أيام الدنيا، نحن في أيامٍ العملُ فيها لا يساويه العمل في غيرها كما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ**»(١)، وجاء في روايةٍ عند الدارمي (١٨٠٠) (١٩٠٢): «**مَا مِنْ عَمَلٍ أَزْكَى عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلاَ أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ فِي عَشْرِ الأَضْحَى**»، قِيلَ: وَلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ: «**وَلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**».

فالعمل في هذه الأيام أفضل من العمل في ما سواها من الأيام، العمل في هذه الأيام أزكى عند الله، وأكثر أجراً وأعظم ثواباً وأحب إلى الله جل وعلا من العمل في غيرها، فالصلاة في هذه الأيام أفضلُ من الصلاة في سائر الأيام، وأكثر أجراً من الصلاة في سائر الأيام، الصدقة في هذه الأيام، وقراءة القرآن في هذه الأيام، وكثرة الذكر، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجوار، وطلب العلم، والدعوة إلى الله جل وعلا في هذه

---

(١) رواه البخاري (٩٦٩)، وأبو داود (٢٤٣٨)، وغيرهم، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الأيام أفضل وأزكى عند الله وأكثر ثواباً من العمل في سائر أيام العام، صلاة الإنسان ركعتين في وقت الضحى في هذه الأيام أعظم أجراً من صلاة ركعتين من الضحى في سائر السنة.

إذن، هي أيام فاضلة، وكان السلف إذا أقبلت هذه الأيام يجتهدون فيها اجتهاداً عظيماً، ومن أعظم ما يشرع فيه الاجتهاد في هذه الأيام ذكر الله جل وعلا، فهذه الأيام أيام ذكر، قال الله سبحانه: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [سورة الحج:٢٨]، وهذه هي الأيام المعلومات ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [سورة الحج:٢٨]، فالأيام المعلومات هي عشر ذي الحجة، التسعة الأيام الأولى مع يوم النحر من شهر ذي الحجة، وفيها عيد المسلمين الذي هو أعظم الأعياد، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**يَوْمُ عَرَفَةَ وَيَوْمُ النَّحْرِ وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ**»(١).

فهذه أيام فاضلة عظيمة، ولعظمتها أقسم الله جل وعلا بها في قوله: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [سورة الفجر:١-٢]، قال كثير من المفسرين من السلف وغيرهم: الليالي العشر التي أقسم الله جل وعلا بها في هذه الآيات هي عشر ذي الحجة، لعظمتها وفضلها.

---

(١) رواه أبو داود (٢٤١٩)، عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فأكثروا من طاعة الله جل وعلا فيها، أكثروا من الصلاة، ومن استطاع الصيام يشرع له الصيام فإنه من العمل الصالح الذي رغب فيه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هكذا أكثروا فيها من ذكر الله، ففي حديث ابن عمر وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ هذه العشر فقال: «**أكثروا فيهن من التسبيح والتكبير، والتحميد، والتهليل**»[(١)]. أكثروا فيهن من ذلك.

كان أبو هريرة وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يخرجان في أيام العشر إلى السوق فيكبران، ويكبر أهل السوق بتكبيرهم.[(٢)] إظهاراً لهذه الشعيرة العظيمة، ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ [سورة الحج:٢٨]، فعلى المسلم أن يستغل مواسم الخير في طاعة الله، فرُبَّ عمل يضاعف الله جل وعلا الأجر لصاحبه في هذه الأيام بما لا يضاعفه له في غيره فتحصل له به سعادة الدنيا والآخرة.

سلفنا الصالح كانوا إذا أقبلت هذه العشر يحرصون عليها، جاء عن جماعة من السلف أنهم كانوا يجتهدون فيها اجتهاداً لا يُقدر عليه بما لا يفعلون مثله في أيامٍ سواها.

وهكذا مما يُشرع أن يكون للإنسان أضحية يُعِدُّها في هذه الأيام ليذبحها في يوم النحر، كما كان السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يفعلون يُعد أحدهم أضحيته ويُهيئها ليذبحها في يوم

---

(١) رواه أحمد (٥٤٤٦) و(٦١٥٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه معلقا في كتاب العيدين – باب فضل العمل في أيام التشريق.

النحر، ومن أراد أن يضحي فلا يجوز له في هذه الأيام أن يحلق شعراً، ولا أن يقص ظفراً، ولا أن يزيل جلداً، إلا لشيء لا بد منه، ويضطر إليه، وإلا فلا يجوز ذلك كما أخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقوله: «**مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ، فَإِذَا أُهِلَّ هِلَالُ ذِي الْحِجَّةِ فَلَا يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعَرِهِ، وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا، حَتَّى يُضَحِّيَ**»(١)، وهذا الحكم شرعه الله جل وعلا لمن في الأمصار، كما شرع الله تعالى للحُجَّاج الذين في بيته الحرام أن يمسكوا عن الحلق وعن قص الأظفار ونحو ذلك حتى يحلوا من إحرامهم، فكذلك شرع الله جل وعلا لمن في الأمصار هذه الشعيرة أن يمسكوا عن حلق شعورهم وقص أظفارهم حتى ينحروا أضاحِيَهم تعبُّداً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بذلك.

هكذا هذه الأيام فيها يوم عرفة الذي هو من أعظم أيام الله، والذي حثَّ نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على صيامه لمن كان في سائر الأمصار غير الحجاج، وسُئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صيامه فقال: «**أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ**»(٢). وهذا فضل عظيم من الله جل وعلا لمن وفقه لهذه الطاعات في هذه العشر، فاحرصوا على الخير وبادروا إليه واستغلوا هذه الأيام بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

نسأل الله جل وعلا أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

---

(١) رواه مسلم (١٩٧٧ -٤٢-)، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) رواه مسلم (١١٦٢ -١٩٦-)، عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الكفر والكافرين.

اللهم من أراد المسلمين بسوء فاجعل كيده في نحره وقنا وقِ المسلمين من شره.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم وأنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

والحمد لله رب العالمين.

(٢٧) العرش والكرسي حق

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن من أمور الغيب التي يجب اعتقادُها والإيمانُ بها مما أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به في كتابه: الإيمانَ بالعرش والكرسي التي هي أعظم مخلوقات الله جل وعلا.

والعرش في اللغة: سرير المَلِك، وفي الشرع: هو العرش الذي استوى عليه الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد أخبر الله تعالى في مواضع من القرآن أنه استوى على العرش، أي علا عليه وارتفع.

واستواؤه عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس لحاجته إليه، فإن الله جل وعلا خالقُ العرشِ وخالقُ ما دونه من المخلوقات، والخالق جل في علاه لا يحتاج إلى المخلوق، بل إن هذه المخلوقات كلها لا تقوم إلا بالله ولولا إقامة الله لها ما قامت، قال الله سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [سورة الروم:٢٥]، فإنما تقوم السماء والأرض بأمر الله جل وعلا.

وقال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [سورة فاطر:٤١]، فالله جل وعلا يمسكها أن تزولا، وأن تَخِرَّ السماء على الأرض، ولئن زالتا، إن حصل ذلك ما قدر أحد أن يمسكهما.

وقال الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [سورة الحج:٦٥]،

فالخلق كلُّه قائم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أي: أن الله هو الذي يقيمه وهو الذي يمسكه وإنما تثبت المخلوقات ويدوم قيامها بأمر الله تعالى، فاستواءُ الله جل وعلا على عرشه لا لحاجته إليه فهو الغني عن كل خلقه، والعرش وما دونه محتاج إلى الله.

والكرسي هو موضع قدمي الرب عَزَّوَجَلَّ، كما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند ابن خزيمة(١)، وعبدالله بن الإمام أحمد في "السنة" (٥٨٦)، وغيرهم أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره).

فهذان المخلوقان من مخلوقات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التي لها تعلق بصفات الله عَزَّوَجَلَّ، هي أعظم مخلوقاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكرسيه قد وسع السماوات والأرض، أي: أنه أعظم قدرا من السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، قال الله سبحانه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]، والعرش أعظم من الكرسي كما قال ابن عباس: (والعرش لا يقدر أحد قدره)، أي: لا يدري أحد عظمته.

العرش يُضرب به المثل في الكِبَر والعِظَم والسعة، كان من ذكر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في صحيح مسلم (٢٧٢٦ -٧٨-)، عن جويرية بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمها هذه الكلمات: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**». فانظر كيف قرن زنة العرش بما ذكره من عدد خلقه الذين لا يحصيهم إلا الله، وهكذا رضى نفسه، ومداد كلماته التي لا

(١) "التوحيد" لابن خزيمة (١/ ٢٤٨).

نفاد لها، أي: أنه أعظم مخلوق يمكن أن يُذكر، ولذا جعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثالا للوزن العظيم، وأن هذه الكلمات تقال زنة عرشه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فهو عرش عظيم، وقد صفه الله تعالى في القرآن بصفات ثلاث تدل على عظمته:

١- وصفه بأنه عظيم، فقال: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [سورة التوبة:١٢٩].

٢- ووصفه بأنه كريم، فقال: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة المؤمنون:١١٦].

٣- ووصفه بأنه مجيد، فقال سبحانه: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ المَجِيْدِ﴾ [سورة البروج:١٥] على قراءة من قرأها بالجر.

وكلها تدل على العظمة والسعة والكِبَر:

- فالعظيم أي: الشيء الكبير الشيء الذي لا يُقْدَرُ قَدْرُهُ.

- والكريم هو الذي فيه صفات الكمال، فالشيء الكريم هو الذي وصف بالأوصاف العظيمة التي تميزه عن غيره من المخلوقات.

- والمجيد مأخوذ من المجد الذي يدل على السعة والكثرة، وذلك لسعته وكثرة صفاته وما فيه من الكمال.

فالله جل وعلا خلق العرش وخلق الكرسي وجعلهما أعظم مخلوقاته، وكرسِيُّه وسع السماوات والأرض، والعرش أعظم من ذلك، فنؤمن بما أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به من صفة هذه المخلوقات، ونؤمن أن الله جل وعلا قد استوى على عرشه، أي: علا عليه وارتفع لا لحاجته إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهكذا نؤمن أن العرش أعلى المخلوقات كما أخبر به نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في أحاديث، منها ما جاء في صحيح البخاري (٢٧٩٠)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ**» بمعنى أَخْيَرُ الجنة وأفضل موضع فيها، «**وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**». فعرش الرحمن سقف جنة الفردوس التي هي أعلى موضع في الجنة، والجنة هي في العلو، والعرش سقف جنة الفردوس الذي هو أعلى الجنة، فالعرش هو أعلى المخلوقات.

وكذا جاء في الأثر عن ابن مسعود، وجاء مرفوعًا عن جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أن (بين الأرض والسماء مسيرة خمسمائة سنة، وأن ما بين سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وأن كثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض -أي: مسيرة خمسمائة سنة-، والعرش فوق الماء والله جل وعلا فوق العرش ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم)[١].

ففوق السماوات السبع بحر ما بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، وفوق هذا البحر: العرش، والله جل وعلا مستوٍ على عرشه، فالعرش هو أعلى المخلوقات.

وجاء في الصحيحين[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**».

---

(١) رواه أحمد (١٧٧٠).

(٢) البخاري (٧٥٥٣)، ومسلم (٢٧٥١ -١٤-).

وتأمل قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ**»، أي: أن هذا العرش ليس فوقه شيء من المخلوقات، وأن الله جل وعلا مستوٍ على عرشه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فنؤمن بما أخبر الله جل وعلا به من وجود العرش وعظمته واستوائه جل وعلا عليه.

ونؤمن بالكرسي وأنه من أعظم مخلوقات الله جل وعلا، وأنه موضع قدمي الرب عَزَّوَجَلَّ كما قال عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أقول ما سمعتم والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمـًا كثيراً.

أيها الناس، ومما أخبرنا به نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن العرش أن له قوائم يقوم عليها، وأن له حملة من الملائكة وكَّلهم الله جل وعلا بحمله وأمرهم بذلك.

جاء في صحيح البخاري (٤٦٣٨)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ جُزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**».

فنبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حين يَصعَقُ الناسُ يوم القيامة أولَّ ما يفيق يجد موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ آخذاً بقائمة من قوائم العرش.

وهذا الصعق الذي يحصل للناس هو الصعق عند مجيء الرب جل وعلا لفصل القضاء بين العباد، وهذا في أرض المحشر، قال: فلا أدري أموسى حصل له صعق كالناس ثم أفاق قبلي، أو أنه جوزي بصعقة الطور حين تجلى ربه للجبل فجعله دكا وخرَّ موسى صعقا، فكلاهما صعق لأجل مجيء الرب جل وعلا وتجلِّيه، فأخبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن ما حصل لموسى في الدنيا لَعلَّهُ يقوم مقام ما يحصل للناس حين يجيء الرب جل وعلا لفصل القضاء بينهم.

ومع أن العرش له قوائم كذلك فإن له حَمَلَةً وكَّلهم الله جل وعلا بحمله، له حَمَلَةٌ يحملونه في الدنيا وله حملة يحملونه يوم القيامة، وقد أخبرنا الله جل وعلا عن الذين يحملونه يوم القيامة وأنهم ثمانية فقال سبحانه: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الحاقة:١٧]، ولم يخبرنا عن الذين يحملونه في الدنيا، فمحتمل أنهم هؤلاء الثمانية أو أنهم دون ذلك أو أكثر من ذلك، فالله أعلم، وقد جاء عن بعض السلف أنه قال: (حملة العرش في الدنيا أربعة)، فالله أعلم بحقيقة الحال.

هؤلاء الحملة من الملائكة الذين هم من أقرب الخلق إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هم من أعظم المخلوقات خشية لله وتعظيما له؛ لما يعلمون من عظمته وجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند أبي يعلى(٦٦١٩) والحاكم(٧٨١٣) وغيرهم أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**أُذِنَ لي أن أُحدِّث عن ملك من حملة العرش قد مرقت رجلاه في الأرض السُّفلى** -في الأرض السابعة- **والعرش على منكبه**»، وفي رواية: «**وعنقه مثنية تحت العرش، وهو يقول: سبحانك أين كنت وأين تكون**»، وفي رواية الحاكم: «**وهو يقول سبحانك ما أعظم ربنا**»، «**فيقول الله جل وعلا ما قدرني حق قدري من حلف بي كاذبا**».

وجاء في سنن أبي داود (٤٧٢٧)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ**». والعاتق هو العظم الذي أسفل العنق، وهما عاتقان

محيطان بالعنق، ما بين عاتقه إلى شحمة أذنه مسيرة سبعمائة عام، أي: أنه مخلوق عظيم موصوف بهذا الوصف، ووُصف في الحديث الأول: أن رجلاه قد مرقت الأرض السفلى وأن العرش على منكبه، وعنقه ملتوي تحت العرش وهو يُعظِّم الله ويسبحه ويقول: «**سبحانك ما أعظمك، سبحانك أين كنت وأين تكون**»، فيبين الله جل وعلا أن بعض البشر ما عظموه رغم ضعفهم، وهذه الملائكة مع عظمتها تعظم الله تعالى، فيقول الله: «**ما قدرني حق قدري من حلف بي كاذبا**».

فهذه الملائكة ممن وكَّلهم الله جل وعلا وكلفهم بحمل عرشه يحملونه في الدنيا ويحملونه في الآخرة، والله جل وعلا هو المقيم للعرش وهو المقيم للملائكة وهو المقيم للسماء والأرض وما فيهما، وكلُّ المخلوقات مفتقرة ومحتاجة إلى الله جل وعلا لا تستغني عنه طرفة عين.

فهذا مما أخبرنا الله به في كتابه وأخبرنا به نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته مما له تعلق بصفة الله جل وعلا، وبالإيمان بالغيب الذي يجب على المسلم اعتقاده والإيمان به.

نسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

والحمد لله رب العالمين.



(٢٨) ضابط البدعة ووجوب تركها والبعد عنها

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن من أصول الاعتقاد: ترك البدع والأهواء والمحدثات في دين الله سبحانه وتعالى، وذلك لأن دين الله تعالى كامل ليس فيه نقص ولا قصور، وقد قال ربنا جل وعلا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣]، فدين الله كامل ليس فيه نقص، أكمله الله تعالى وأتمَّ به النعمة على المسلمين، فمن ابتدع بدعةً وأضافها إلى الدين فإن فعله ذلك يلزم عليه أن الدين ناقص، ولذلك كمَّله هو بما فعله وأحدثه.

وكفى بالبدعة قبحًا وشؤمًا وسوءاً أن فيها طعنًا في دين الله تعالى بالنقص والقصور، فتركُ البدع والمحدثات والأهواء مما يجب على كل مسلم، ولزومُ السنة والسير عليها والاتباع لها مما يجب على كل مسلم؛ لما في البدعة من خطرٍ وضررٍ عظيمٍ على المسلمين في دينهم بل وفي حياتهم الدنيا.

عباد الله، البدعة مظهرها مظهرُ الطاعة والعبادة والسنة، البدعة قال أهل العلم: هي طريقةٌ مخترعةٌ في الدين، تشابه الشريعة، يُقصد بها التعبد لله تعالى، وليس عليها دليل صحيح.

فالبدعة طريقة مخترعة في هذا الدين، يخترعها صاحبها ويتعبد لله تعالى بها، وهي تشبه الشريعة، تشابه أحكام الدين، حتى إن الناظر إلى فاعلها إن لم يكن عنده علم يظن أنه يعمل شيئًا من أمور الدين، ويقصد فاعلها بفعلها التقرب إلى الله تعالى والتعبد. ولكن ليس عليها دليل صحيح.

فالبدعة ظاهرها الخير والعبادة، لكن ضررها عظيم، ومفاسدها كبيرة، على المسلم في دينه، بل وفي دنياه، كما سيأتي بيانه -إن شاء الله-.

والبدعة نوعان: إما أن تكون في ابتداع فعلٍ ليس له أصل في هذه الشريعة، ولا له شبيه في أحكام الدين، فيأتي بفعل ليس له أصل، يزعم أنه يتعبد به، وهذه هي التي تسمى **بالبدعة الأصلية**، وذلك كالتعبد بالرهبانية التي سأل عنها بعضُ الصحابة النبيَّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فأنكره أشد الإنكار.

وجاء بعض الناس إلى بيوت أزواج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في الصحيحين[(١)] عن أنس، يسألون عن عبادة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كيف صلاته؟ كيف صيامه؟ كيف قيامه؟ كيف ذكره لله؟ كيف صدقته؟ فلما أُخبروا بعبادة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنهم تقالُّوها أي رأوها قليلة، وقالوا: هذا رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأما نحن فنحتاج إلى عبادة أكثر من عبادته لأننا مذنبون، وهذا اجتهاد منهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

فقال أحدهم: (أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا)، أي أصلي الليل كله، لا أنام أي ساعة من ساعات الليل، وقال الآخر: (أَمَّا أَنَا فَأَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ)، أصوم في كل السنة، ولا أفطر يوماً من الأيام، وقال الثالث: (وَأَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا).

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١ -٥-).

وفي بعض روايات مسلم: (فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ) أي: أنهم يجتنبون الطيبات والمباحات التي أباحها الله جل وعلا، وأرادوا التعبد لله بذلك.

فلما علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقولهم بيَّن لهم خطأهم، بل وأغلظ لهم في البيان، فصعد المنبر ثم قال: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ، قَالُوا كَذَا وَكَذَا**»، ما بال أقوام يقول أحدهم: أصلي الليل أبداً، ويقول الآخر: أصوم النهار أبداً، ويقول الثالث: لا أتزوج النساء. «**أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**». «**رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي**» أي: تركها، ولم يأخذ بها، «**فَلَيْسَ مِنِّي**»، أي: أنا بريء منه.

مع أنهم أرادوا فعل عبادة، قد يقول الواحد من الناس هذه طاعات، صلاة الليل طاعة، وصيام النهار طاعة، ولكن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنكر عليهم إنكاراً شديداً وأغلظ لهم في القول، لكون فعلهم هذا لم يكن موافقا لهديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وجاء في الصحيحين[1] عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (نَهَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ التَّبَتُّلِ، وَلَوْ أَذِنَ لَنَا لَاخْتَصَيْنَا). أرادوا التفرغ للعبادة وترك ملاذ الدنيا. وهذا أمر نهى عنه الإسلام.

---

(١) البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠٢ -٦-).

وعند الدارمي (٢٢١٥) بسند حسن عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ الَّذِي كَانَ مِنْ تَرْكِ النِّسَاءِ، بَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**يَا عُثْمَانُ، إِنِّي لَمْ أُومَرْ بِالرَّهْبَانِيَّةِ، أَرَغِبْتَ عَنْ سُنَّتِي؟**» قَالَ: لَا، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**إِنَّ مِنْ سُنَّتِي أَنْ أُصَلِّيَ، وَأَنَامَ، وَأَصُومَ، وَأَطْعَمَ، وَأَنْكِحَ، وَأُطَلِّقَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي. يَا عُثْمَانُ، إِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**».

فالرهبانية بدعة لا أصل لها في الدين، وإنما هي من بدع النصارى الذين أخبر الله تعالى عنهم بذلك، قال الله تعالى عن أتباع عيسى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الحديد:٢٧]، ثم قال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [سورة الحديد:٢٧]، النصارى ابتدعوا هذه الرهبانية، ولم يرعوها حق رعايتها، فهي بدعة لا أصل لها في الدين.

كذلك من البدع التي لا أصل لها في الدين بدعة الاحتفال بالمولد النبوي، فهي بدعة ليس لها أصل ولا أثر في هذا الدين، لم يفعلها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولم يأمر بها، ولم يرغب فيها، ولم يفعلها خلفاءه، ولا أحدٌ من أصحابه، بل لم يفعلها أهل القرون المفضلة، القرن الأول، والثاني، والثالث، حتى ابتدعها أناس من الرافضة في القرن الرابع الهجري، فهي بدعة لا أصل لها.

قد يقول قائل: إنهم يذكرون الله في الاحتفال بالمولد ويثنون على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويجتمعون لذكر فضائله ومنزلته وكماله وشيء من سيرته، ويذكرون شيئا من علمه.

فنقول: إنه من البدع ولو فعلوا فيه ذلك، فإنه أمر لم يشرعه الله تعالى ولا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والبدع -كما تقدم- تكون في صورة الطاعة والعبادة، لكنها شيء أُحدث في الدين.

ولذا فإن بعض السلف لمَّا ناظر بعض أهل البدع في بدعته، قال له: بدعتك هذه، هل علمها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي؟ أو لم يعلموها؟ قال هذا المبتدع: لم يعلموها، فأنكر عليه، وقال: شيء لم يعلمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا خلفاءه الراشدون، كيف علمته أنت؟ فانقطع المبتدع، ولم يدرِ ما يقول، ثم قال: فإني أقول: قد علموها؟ قال: إذا كانوا علموها، هل تكلموا فيها؟ أو وَسِعَهُمُ السكوت عنها؟ فقال: بل لم يتكلموا فيها، ووسعهم السكوت عنها، فقال له: شيءٌ وسع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفاءه أفلا يسعك أنت؟

فقال الخليفة وكان حاضراً ذلك النقاش: لا وسَّع الله على من لم يسعه ما وسعهم[1].

---

(١) هذه القصة أخرجها الخطيب في "تاريخ بغداد" (٤/ ٣٧٣-٣٧٤) والآجري في "الشريعة" (١٩٣).

فهذه البدعة التي يسميها العلماء **بالبدعة الأصلية** وهي قليلة، كون الإنسان يُحدِث شيئًا يتعبد به لا أصل له في الشريعة.

والنوع الثاني من البدع: البدعة الإضافية، وهذه أكثر البدع وجوداً في الناس، تكون العبادة أصلها مشروع في هذا الدين من صلاة أو صيام أو ذكر أو طواف فيضيف إليها إضافات، إما يضيف لها كيفية معينة، أو يجعلها في وقت معين، أو مكان معين، أو عدد معين، فهذه الإضافات بدعة لم يفعلها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أصحابه.

كعبادة الذكر لله تعالى، هي عبادة مشروعة من أعظم العبادات، ومن الناس من يضيف إليها إضافات أخرى، إما أن يكون ذكراً جماعيًا، واحد يتكلم بالذكر والباقون يتابعونه، وهذا الفعل أنكره العلماء وعدُّوه من البدع.

وإما أن يكون في وقتٍ معين، لم يشرعه الله ولا رسوله، يجعل ذكرًا من الأذكار في وقتٍ معين، أو في عددٍ معين، أو صفةٍ معينة، لم يأتِ بها الدليل، كل ذلك مردودٌ على صاحبه.

هكذا الصلاة، إذا قام يصلي في وقتٍ لا تُشرع الصلاة فيه، أو صلى على كيفيةٍ لا تُشرع في الصلاة؛ كان فعله ذلك بدعة.

ولا بد للمسلمين أن يفهموا هذا الأمر حق الفهم حتى لا يقعوا في البدع، فكم من المسلمين اليوم إذا قيل له: فعلك هذا خطأ لم يفعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا الصحابة. يقول: هذا عبادة وطاعة لله، هذه صلاة، أو هذا ذكر.

فنقول: واجبٌ عليك في صلاتك وفي ذكرك لله، وفي صومك، وفي حجِّك، أن تكون متبعـًا للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفعل كما فعل ولا تخالفه.

جاء عن سعيد بن المسيب فيما صح عنه[١] أنه رأى رجلاً يصلي بين الأذان والإقامة في صلاة الفجر أكثر من ركعتين، -والمشروع بين الأذان والإقامة في صلاة الفجر أن يصلي المسلم ركعتين فقط، هذا الذي فعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة- ولكن هذا الرجل رآه ابن المسيب يزيد على ركعتين في ذلك الوقت، فقال له: لا تفعل، فإن هذا موطن لم يصلِّ فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا ركعتين، فاستغرب هذا الرجل، وقال: يا سعيد، وهل يعذبني الله على الصلاة؟

قال سعيد: لا يعذبك الله على الصلاة، ولكن يعذبك على خلاف السنة، فإن صلاتك هذه خالفتَ فيها السنة، والله جل وعلا يحاسبك وتستحق العقوبة على مخالفة السنة، مع أنها في الظاهر قد تكون عبادة.

وهكذا في الأثر المشهور عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢] حين جاءه أبو موسى الأشعري، وكان أبو موسى وابن مسعود بالكوفة، فرأى أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قومـًا جلوسـًا في المسجد، يذكرون الله، وكانوا حِلَقا كل حَلْقَةٍ فيها رجل، يقول لأصحابه: سبحوا مائة، ويعدُّ بالحصى مائة تسبيحة، ثم يقول: كبروا مائة، ويعدُّ بالحصى...

---

(١) رواه البيهقي في "السنن الكبرى" (٤٤٤٥).

(٢) رواه الدارمي في "مسنده" (٢١٠).

فأبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استنكر هذا الفعل، لأنه رأى هذا فعلا جديدا ما كان يفعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا الصحابة، فذهب إلى عالمٍ جليلٍ من علماء الصحابة يسأله، -رَجَعَ إلى من هو أعلم منه- وهو عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له: يا أبا عبدالرحمن رأيت أمراً في المسجد أنكرته ولم أرَ إلا خيراً، قال له: وماذا رأيت؟ قال: رأيت قومـًا قعوداً حلقـًا في المسجد في كل حلقة رجل معه حصى يقول: سبحوا مائة، كبروا مائة، هللوا مائة، وهو يعدُّ الحصى.

فانظر إلى فقه العالم وبصيرته الثاقبة، قال له: هلَّا أمرتهم أن يعدُّوا سيئاتهم، وأنا ضامن أن لا ينقص من حسناتهم شيء؟ ثم أتاهم ابن مسعود، حتى وقف على تلك الحِلق، قال: أيها الناس فُقْتُم أصحاب محمد علمـًا؟! أو جئتم ببدعة ظلمة؟! أنتم بين حالين: إما أنكم أعلم من الصحابة، أو أنكم أصحاب بدعة.

قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ نحن نذكر الله. قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ. وقد أحدثتم في دين الله ما أحدثتم؟

قال راوي القصة: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ.

وهكذا تَتَسَلسلُ البدع، بدأوا ببدعة يسيرة وهي الذكر في المساجد بطريقة مبتدَعة، ثم صاروا إلى قتال الصحابة في صفوف الخوارج كلاب النار.

فالبدع ليس أمرها باليسير، بل أمرها خطير، فيا أيها المسلم تعبَّد لله كما شرع الله وكما جاء عن الرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واحذر الزيادات في الأعمال الصالحة، فإنها من البدع.

الإمام مالك، إمام أهل السنة في زمنه، إمام دار الهجرة، أتاه رجل يستفتيه قال: يا أبا عبدالله، أريد أن أحرم من المسجد النبوي؟! - والسنة في حق أهل المدينة أن يحرموا من ميقات ذي الحليفة، وهو قريب من المدينة، مسافة يسيرة، لكن هذا الرجل أراد أن يُحرم من المسجد، ويقول هذا مسجد الرسول له فضيلة أكثر، وهو أحسن من مسجد ذي الحليفة، سأحرم منه.

ومعلوم أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يحرم من مسجد المدينة، بل خرج إلى ذي الحليفة وأحرم منها، فقال له الإمام مالك: لا تفعل، قال: لمَ يا أبا عبدالله؟ قال: أخشى عليك الفتنة. -انظر إلى فتوى العلماء، أخشى عليك الفتنة- قال له هذا السائل: أي فتنة يا أبا عبدالله؟ إِنَّمَا هِيَ أَمْيَالٌ أَزِيدُهَا. مجرد أميال من المسجد النبوي إلى مسجد ذي الحليفة، فقال له الإمام مالك: وَأَيُّ فِتْنَةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَرَى أَنَّكَ سَبَقْتَ إِلَى فَضِيلَةٍ قَصَّرَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول: لو كان فعلُك هذا خيراً لفعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا كنتَ ترى أن هذا أفضل، معناه أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصَّر فيما هو أفضل، وقرأ عليه قول الله:

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة النور:٦٣](١).

فاحذر أيها المسلم من البدع، سواء كانت بدعة أصلية أُحدثت في الدين وليس لها مثال سابق، أو كانت بدعة إضافية أُضيفت بعض الأوصاف أو الأعداد أو الكيفيات أو الأزمنة أو الأمكنة إلى عبادة مشروعة، وهي لم تشرع فيها، فكل ذلك من البدع.

نسأل الله تعالى أن يقينا البدع، وأن يجنبنا شرها.

والحمد لله رب العالمين.

(١) رواه الهروي في "ذم الكلام وأهله" (٤٦٣)، والشاطبي في "الاعتصام" (١/ ١٧٤).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، لخطورة البدع، وشدة ضررها على الناس حذَّرنا الله جل وعلا منها كثيراً في القرآن، وحذَّرنا منها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فمما حذَّرنا الله سبحانه وتعالى به من البدع، قول الله جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [سورة آل عمران:٧]، يخبرنا الله تعالى في هذه الآية أنه أنزل الكتاب، وفي هذا الكتاب ﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [سورة آل عمران:٧]، أي: واضحات المعاني، بينات لكل أحد، يفهمها الناس الذين يقرؤونها، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ﴾ [سورة آل عمران:٧]، فيه آيات فيها إشكال في معناها واشتباه يفهمها أهل العلم ويبينونها للناس، وقد تلتبس على العامة، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [سورة آل عمران:٧] أي مرض، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ [سورة آل عمران:٧]، يريدون فتنة الناس.

جاء في الصحيحين[١] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ**»، إذا رأيتم من يتبع المتشابه فهم الذين سماهم الله في هذه الآية فاحذروهم، وهؤلاء هم أهل البدع، يستدلون على بدعهم بآيات من القرآن يلبسون بها على الناس ويفتنونهم بها.

فإذا جاءت إلى العلماء فهموها على وجهها الصحيح، وبينوها للناس، فاحذروا هؤلاء كما حذرهم الله.

جاء في قصة صَبيغ بن عِسْل العراقي، التي رُويتْ من طرق متعددة[٢] أنه كان في زمن عمر رجل يسأل الناس، ويكون في أجناد المسلمين، يسأل عن متشابه القرآن، يُشَكِّكُ الناس في بعض ما يحتاج إلى بيان معناه، فأرسل أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب أن هاهنا رجلاً يُشَبِّه على الناس بآيات من القرآن، فقال عمر: ابعثه إلي، فجهز له عراجين من عراجين النخل، فلما وصل إليه صبيغ بن عِسْل، قال له عمر أنت صبيغ، قال: نعم، فضربه عمر حتى طار الدم من رأسه. فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد قتلي فأحسن قتلتي، وإن كنت تريد مداواتي فوالله قد برأتُ، أي أنه خرجت هذه الشبهات التي كان يُلبِّس بها على الناس من رأسه، فأمر عمر الناس بهجره سنة حتى تاب وحسن حاله.

---

(١) البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥ -١-).

(٢) رواها الآجري في "الشريعة" (١٥٣)، وابن بطة في "الإبانة الكبرى" (٧٨٩) وغيرهم.

هؤلاء هم الذين حذرنا الله منهم، كم يأتي اليوم ناسٌ من أهل البدع يتكلمون بآيات من القرآن، ويفسرون القرآن حسب أهوائهم لا كما فسره النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والصحابة والسلف، فهذه علامة أهل البدع.

وهكذا حذَّرنا الله جل وعلا من أهل البدع ومن البدع ومن الابتداع في الدين في قوله سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [سورة النساء:١١٥]، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ [سورة النساء:١١٥]، أي: يخالف الرسول، فيكون في شق، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شق، وذلك بأن يسلك طريقًا غير طريق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة النساء:١١٥]، والمراد بالمؤمنين في هذه الآية السلف من الصحابة ومن بعدهم، فمن اتبع سبيلاً غير سبيلهم، فهو كما قال الله: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [سورة النساء:١١٥]، وهذا وعيد شديد يُوجِب للمؤمن الخوف منه.

وهكذا برَّأ الله جل وعلا نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل البدع والأهواء والتفرق في الدين، فقال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ [سورة الأنعام:١٥٩] أحزابًا وفرقًا، ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [سورة الأنعام:١٥٩]، أي: أنت بريءٌ منهم يا رسول الله، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩﴾ [سورة الأنعام:١٥٩]، وقد فسَّرها السلف بأهل البدع والأهواء، فهم الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]، فهذا صراط الله، وهو دين الإسلام الحق، الذي كان عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]، لا تسلكوا الطرق الأخرى، غير طريق الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسلف، لا تسلكوا ذلك.

جاء في مسند الإمام أحمد (٤١٤٢)، عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ**». ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]. أي: لا تتبعوا السبل الجائرة المنحرفة.

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ﴾ [سورة النحل:٩]، قال ابن المبارك وغيره من السلف: ﴿قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة النحل:٩] هو السنة، ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ﴾ [سورة النحل:٩] هي الأهواء والبدع، حذَّرنا الله من اتباعها.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [سورة الحشر:٧]، فأيُّ شيء أتى به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو الذي يجب أن تأخذوه، وما عدا ذلك اتركوه.

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران:٣١]، وقال: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة الأعراف:٣]، فواجب على المسلم أن يكون متبعًا لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مِنَ اللهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ) (١).

الله جل وعلا منه الرسالة يرسل بعض أنبيائه إلى خلقه، وعلى الرسول الذي أرسله الله أن يبلغ الناس، وعلى الناس أن يُسلِّموا وأن يتبعوا وينقادوا.

فهذا الواجب على المسلم أن يكون متبعًا للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولمن أُمِرَ باتباعه.

وقد أُمرنا باتباع طريق الصحابة، فنحن مأمورون أن نسلك طريق الصحابة، ولا يجوز أن نخرج عنه، بل من خرج عنه فهو ضال، جاء في حديث العرباض بن سارية عند أبي داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وغيرهم قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً؛ ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ -كأنك ستفارقنا فأوصنا- قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ**».

---

(١) رواه البخاري معلقا في بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [سورة المائدة:٦٧].

إن كان الأمير عبدًا من العبيد اسمعوا له وأطيعوا، «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا**»، اختلافٌ، تفرُّقٌ، أهواءٌ، بدعٌ، محدثاتٌ في الدين، ثم ذكر لهم الدواء فقال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، هذا هو العلاج الذي يُحفظ به الناس، عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بسنتي وتمسكوا بسنة أصحابي.

وقد جاء في الحديث أنه شبه أصحابه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالنجوم التي تكون أَمَنَةٌ للسماء والتي يحصل بها هداية[1]، فمتابع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة على الهدى، ومن عدا فهو على ضلال، «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ**»، وهذا إشارة إلى شدة الأخذ بها، «**وإياكم ومحدثات الأمور**»، اجتنبوا البدع، اجتنبوا المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة.

ففي هذه الأدلة يُحذِّرنا الله جل وعلا، ونبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من البدع، والأهواء، والمحدثات، وأنه يجب على المسلم أن يبتعد عنها، وأن يتمسك بسنة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وللبدع أضرارٌ كثيرة، ومفاسد عظيمة، يأتي ذكرها في وقتٍ لاحقٍ -إن شاء الله تعالى-.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٣١ -٢٠٧-)، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فنسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

اللهم توفنا على الإسلام والسنة، وأنت راضٍ عنا يا رب العالمين.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا اجعل بلدنا هذا آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم أغثنا يا رب العالمين.

اللهم أغثنا يا رب العالمين.

اللهم اسقنا الغيث والرحمة ولا تجعلنا من القانطين.

اللهم اسقنا الغيث والرحمة ولا تجعلنا من اليائسين.

اللهم أغثنا غيثًا مغيثًا هنيئًا مريئًا برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أغثنا. اللهم أغثنا. اللهم أغثنا.

والحمد لله رب العالمين.



(٢٩) أضرار البدع ومفاسدها

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضى الحديث عنه بيانُ البدعة في الدين وبيانُ أنواعها، وأن البدعة هي طريقة تُنسب إلى الدين وتضاف إليه، وأن صاحبها يقصد بها التقرب إلى الله تعالى، وأنها تشابه الأمور المشروعة فتلتبس على الناس.

وإن البدعة ليست بالأمر اليسير، البدعة في الدين وإضافة شيء إلى الدين وهو ليس منه، ليس بالأمر اليسير بل هو أمر عظيم، ويترتب على ذلك أضرار كثيرة ومفاسد عظيمة، ذكر الله تعالى منها في كتابه ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته.

فمن أعظم ما في البدعة من المفاسد والأضرار:

١- أن الابتداع في الحقيقة منازعةٌ لله تعالى في شيء من خصائصه وهو التشريع، فالتشريع إلى الله جل وعلا، حتى الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إنما يَشرَع ما يَشرَعُه بأمر الله وإذنه جل وعلا، فليس لأحد من الناس أن يجعل للناس شرعًا ودينًا، ولكن المبتدع يأتي بأعمال يجعلها من الشرع ويدعو الناس للتديُّن بها وهي ليست كذلك، فيكون قد نازع الله جل وعلا في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى، يقول الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [سورة الشورى:٢١]، فسمى الله جل وعلا هؤلاء الذين يُشرِّعون للناس من الدين ما لم يشرعه شركاء ينازعون الله تعالى في شيء من خصائصه، فأمرُ البدعة أمر عظيم وليس باليسير.

من أضرار البدعة ومفاسدها:

٢- أن فيها طعنًا في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالمبتدع لو تأمل في فعله وتفكر فيه لرأى أنه بهذا الفعل طاعن في الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومُتَّهِم له بخيانة التبليغ وأنه لم يبلغ، لأن الله جل وعلا أخبرنا أن الدين كامل ليس فيه نقص، قال الله سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [سورة المائدة:٣]، وهذا في حجة الوداع في آخر حياة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولم يعش بعد هذه الآية إلا نحو أربعة أشهر، فالدين كامل لا يحتاج إلى تكميل، فالمبتدع الذي يأتي ببدعة ويقول: هي من الدين، يكون قد اتهم الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه لم يبلغ هذا الدين الكامل وأنه كتم أشياء من الدين فجاء هذا المبتدع وأتى بها.

وقد فهم هذا السلف، فقد جاء عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: (من ابتدع في الدين بدعة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة، وذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [سورة المائدة:٣]، فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا). ما لم يكن دينا حين مات الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فلا يكون اليوم دينا لأن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد بلغ هذا الدين.

ويقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (من استحسن -أي من ابتدع في الدين- فقد شرَّع في الدين ما لم يأذن به الله).

أيضًا من مفاسد البدعة وأضرارها:

٣- أنها طعن في هذا الدين أنه ناقص، كأن هذا المبتدع يقول: بقي للدين هذا الفعل، بقيت هذه العبادة، عليكم أن تفعلوها وأن تتعبدوا بها، ولازم قوله أن هذا الدين بدون ذلك الفعل فيه نقص، مع أن الله جل وعلا أخبرنا أنه أكمله وأتمه وليس فيه أي نقص ولا قصور، وبهذا يتبين أن أمر البدعة ليس بالأمر اليسير.

من أضرار البدعة ومفاسدها:

٤- أنها مخالفة لسبيل المؤمنين، مخالفة لسبيل السلف، فالسلف ساروا على التمسك بالكتاب والسنة، وما زادوا على ذلك، فالذي يبتدع بدعة يكون مخالفا لطريقهم، ومخالفةُ طريقهم هو الضلال والوبال في الدنيا والآخرة.

الله سبحانه وتعالى يقول مخاطبا لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ﴾ [سورة البقرة:١٣٧]، فكلُّ من آمن بمثل ما آمن به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقد اهتدى، وكلُّ من تولى عن هذا الطريق فهو في شقاق، شقاقٌ لدين الله ولما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهكذا توعَّد الله من خالف سبيل المؤمنين بالعقوبة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النساء:١١٥]، والمؤمنون في هذه الآية هم السلف، ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [سورة النساء:١١٥]، فأنت أيها المسلم عليك أن تتبع وليس لك أن تبتدع.

جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الدارمي (٢١٣ - ٢١٦) رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: (اتَّبِعُوا، وَلاَ تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفِيتُمْ). يجب عليكم أن تتبعوا وليس لكم أن تبتدعوا فقد كُفيتم أمر الدين، كفاكم إياه ربكم جل وعلا ونبيكم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فشرعوا لكم ما فيه مصلحة لكم.

وقال الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ كما في صحيح البخاري معلقاً[١]: (مِنَ اللهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ). هذا واجبنا أن نسلم للرسالة التي جاء بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن لا نبتدع فيها ولا نزيد.

وجاء في السنن[٢] عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، فاحذروا المحدثات احذروا البدع تمسكوا بسبيل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبسبيل الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فالمبتدع خالف طريق السلف، ووُجدت عنده مشاقة للطريق الذي به السلامة، فالسلامة في الدنيا والآخرة بأن يكون المسلم متبعاً لطريق السلف وأن لا يخرج عنه.

من أضرار البدعة ومفاسدها:

---

(١) ذكره البخاري في كتاب التوحيد - بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ [سورة المائدة:٦٧].

(٢) عند أبي داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢).

٥- أنها ضلالة، جاء في الأحاديث عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنها ضلالة، منها حديث العرباض بن سارية المتقدم، وجاء في صحيح مسلم (٨٦٧ -٤٣-) عن جابر أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان إذا خطب الناس يقول: «**أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

ومن الذي يرضى لنفسه بالضلال؟! المؤمن حريص على الهداية، فالبدع ضلال، ومن ضل في الدنيا شقِي يوم القيامة، ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [سورة طه:١٢٣]، من تابع هدى الله لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ومن ضل في الدنيا شقي في الآخرة، فالبدعة ضلالة يجب على المؤمن أن يفر منها ليكون من أهل الهداية.

من أضرار البدعة ومفاسدها:

٦- أن البدعة شرُّ الأمور، ففي حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا**»، المحدثات هي البدع التي أحدثت ولم تكن موجودة، فشر الأمور هي البدع، وهي شرٌّ من المعاصي، شر من سائر الفسوق، ولذا جاء عن سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند البيهقي في "شعب الإيمان" (٩٠٠٩)، وغيره أنه قال: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يُتاب منها والبدعة لا يتاب منها). فالبدعة هي شر الأمور.

من أضرار البدع ومفاسدها:

٧- **أن الابتداع في الدين من أعظم الكبائر**، وهو أعظم من كثير من الذنوب والمعاصي التي يستعظمها الناس، لأن بعض الناس إذا رأى إنسانًا على معصية مثل أن يشرب الخمر أو يسرق أو يزني يستعظم فعله، وإذا رآه مع أهل البدع والضلال الذين يُظهرون العبادة رأى أنه على خير، ولم يعلم أن حال المبتدع شرٌّ من حال أهل المعاصي، وأن الحال الذي عليه صاحب البدعة محبوب إلى إبليس أحبَّ من الحال الذي عليه صاحب المعصية، لأن صاحب المعصية يلوم نفسه على معصيته ويعلم أنه على خطأ ويعاتب نفسه على ذلك، أما صاحب البدعة فيظن نفسه على دين وطاعة وعبادة، فلا يتوب من البدعة بل يستمر عليها، فشر الأمور هي المحدثات.

من أضرار البدع ومفاسدها:

٨- **أن الله تعالى عاقب المبتدع أنه لا يقبل توبته**، كما جاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البيهقي في "شعب الإيمان" (٦٨٤٦) (٩٠١٠) (٩٠١١)، والطبراني (٤٢٠٢)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة**». قال أهل العلم: من المعلوم أن الله تعالى يقبل توبة التائبين، حتى الكافر والمشرك لو تاب قَبِلَ الله توبته، فكيف حجب التوبة عن المبتدع؟

والجواب: أن معنى هذا الحديث: «**إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة**» أن الله تعالى لا يوفقه للتوبة، كما أنه ترك سبيل السنة وتَنَكَّبَ عنها إلى الطرق الجائرة واتبع سبيل البدعة والإحداث في الدين، فإن الله جل وعلا يعاقبه بأن لا يُوفَّق للتوبة،

بل يرى نفسه على طاعة وعبادة، فيستمر في تلك البدعة ويواصل فيها حتى يموت ولم يتب، فيكون قد حجب الله عنه التوبة، عقوبة من الله.

فاحذر أيها المسلم أن تقع في البدع، فإنك لا تدري لعلك تستمر عليها حتى تموت، تستحسنها، وتراها شيئًا عظيمًا، تراها قربة إلى الله، وكم يوجد اليوم من الضُّلَّال من يرى كثيرا من البدع الظاهرة التي يراها غيره أنها بدع كما يرى الشمس في وسط النهار وهو يراها طاعة وعبادة يتقرب بها إلى الله، فيستمر عليها حتى يموت.

ولذا من سعادة المسلم أن يوفَّق لعلماء السنة الذين يدعون إلى السنة ويحذِّرون من البدع، جاء عن بعض السلف أنه قال: (من سعادة الأعجمي والحدث إذا نسك - أي التزم وتدين بالدين- أن يوفَّق لصاحب سنة). يدله على السنة ويبيِّنها له ويحذِّره من البدع.

من أضرار البدعة ومفاسدها:

٩- أن المبتدع لا تُقبل منه تلك البدع بل هي مردودة عليه، فهو يتعب وينصب حين يتعبد بتلك البدع وهي مردودة عليه، بل إذا كان يعلم أنها بدع ناله الإثم والوزر في فعله لها، فانظر إلى الخسارة، العامل بالسنة كل عمل يعمله في ميزان حسناته، والعامل بالبدع تُردُّ عليه بدعه، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في الصحيحين[1] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»، وفي رواية لمسلم (١٧١٨ -

(١) البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨ -١٧-).

١٨-): «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا**» -أي ليس موافقا للسنة- «**فَهُوَ رَدٌّ**». مردود على صاحبه لا يقبله الله جل وعلا منه، فيتعب تعبا شديدا ولا يؤجر، بل قد يبوء بالإثم.

جاء عند المروزي في "كتاب السنة" (٨٩) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة). الاقتصاد هو العمل القليل، لأن تعمل عملاً قليلاً وأنت على سنة خير من أن تعمل عملاً كثيراً وأنت على بدعة، لأن عمل المبتدع مردود عليه.

انظر إلى الخوارج كيف وصفهم الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بكثرة العبادة، قال: «**يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ....**». إذا رأيتهم يصلون ترى في صلاتهم السكينة والخشوع وطول الصلاة حتى تحقر صلاتك إلى جنب صلاتهم، إذا قرأوا القرآن ترى ما هم عليه من القراءة تحقر قراءتك إلى قراءتهم، ماذا قال في الحديث: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[(١)]. يخرجون من الدين كما يدخل السهم في الصيد ويخرج منه.

وجاء في حديث آخر[(٢)] قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**كِلَابُ النَّارِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ**». عندهم عبادة كثيرة ومع ذلك هم كلاب النار.

---

(١) رواه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٥ -١٤٨-)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه الترمذي (٣٠٠٠)، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال ابن عباس حين جاء يناظر الخوارج قال: (فَدَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ أَرَ قَوْمًا قَطُّ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ، أَيْدِيهِمْ كَأَنَّهَا ثَفِنُ الْإِبِلِ [أي مباركها، والمراد أن أيديهم قد غلُظت ويبست من العمل]، وَوُجُوهُهُمْ مُعَلَّمَةٌ مِنْ آثَارِ السُّجُودِ) ومع هذه العبادة الكثيرة هم كلاب النار لأنهم على بدعة.

كان بعض السلف إذا رأى الخوارج يتمثَّل بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ [سورة الكهف:١٠٣-١٠٤]، ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ [سورة الكهف:١٠٤]، ضلوا الطريق وهم يظنون أنهم يحسنون العمل، فما أعظمها من مفسدة، يوم أن تُرَدَّ على صاحب البدعة أعماله الكثيرة التي يعملها.

الله جل وعلا ابتلَى الناس لينظر أيهم أحسن عملاً لا أكثر عملاً ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢﴾ [سورة الملك:٢]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [سورة الكهف:٧]، وحُسْنُ العمل أن يكون خالصاً لله وأن يكون موافقاً لسنة رسول الله ﷺ، هذا العمل الحسن الذي يقبله الله ويحبه، أما العمل الذي هو خلاف السنة ومن البدع فمهما كان كثيراً فهو مردود على صاحبه.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

***

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، من أضرار البدع ومفاسدها العظيمة:

١٠- أن البدعة تولِّد البدعة، إذا دخل الإنسان في باب البدع استرسل فيها، فبعد ذلك يستحسن أشياء كثيرة ليست من الدين، وتراه كل فترة يُحدث شيئاً جديداً في الدين، فيسترسل في البدع حتى يقع في الأمور العظيمة، وقد ذكرنا فيما مضى أثر عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين أنكر على أناس يذكرون الله في المسجد بطريقة مبتدَعة، أناسٌ جلسوا حِلقا في المسجد ومعهم واحد في كل حلقة بيده حصى يقول: سبحوا مائة، كبروا مائة، هللوا مائة، وهو يعد ذلك بالحصى، فابن مسعود أنكر هذه البدعة، وقال: (أيها الناس، فُقتُم أصحاب محمد علماً)، أي أنكم أكثر علماً من أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أو جئتم ببدعة ظلمة). فأنكر عليهم هذا الفعل الذي ظاهره الخير وقد يغتر بمثله كثير من الناس ويقولون: هؤلاء يذكرون الله في المسجد يسبحون ويهللون ويكبرون، فما وجه إنكار فعلهم؟ والجواب: أن هذا الذكر ليس على طريقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل ذلك، ولا فعله أصحابه.

فاسترسل أصحاب البدعة تلك حتى قال راوي القصة: (والله لقد رأيت عامة أصحاب تلك الحِلق يطاعنوننا مع الخوارج يوم النهروان)، انظر كيف استرسلت بهم البدع، بدأوا بذكر في المسجد بطريقة مبتدَعة، ثم قاتلوا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في صفوف الخوارج.

وجاء عن أبي قلابة وهو من خيار التابعين عند الدارمي (١٠٠) بسند صحيح، أنه قال: (ما ابتدع رجلٌ بدعةً إلا استحلَّ السيف)، أي: يستحل دماء المسلمين، ويأخذ بأفكار الخوارج، وهذا هو الملموس المحسوس في واقع الناس، لا ترى ناسا يبتدعون بدعة هي في أعينهم صغيرة إلا استرسل بهم الحال حتى صار بعضهم يُفجِّر نفسه في تجمعات المسلمين، وصار بعضهم يخرج مع الخوارج لقتال المسلمين، وهذا من مفاسد البدع.

قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح السنة": **(واحذر صغار المحدثات من الأمور؛ فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيرا، وكذلك كلُّ بدعة أُحدثت في هذه الأمة، كان أولها صغيرا يشبِهُ الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها، فعظمت وصارت دينا يدان به)**.

هكذا البدع تبدأ صغيرة تُشبه السنة، فتعظُم يوما بعد يوم حتى لا يستطيع صاحبها الخروج ولا التخلص منها، وتصير دينا عند كثير من الناس يدان به وهي بدعة، وهذا من أعظم مفاسدها وأضرارها أنها تسترسل بصاحبها حتى توقعه فيما هو أعظم منها.

من مفاسد البدع وأضرارها:

١١- أن ظهور البدع هدم للسنن، وانظر في ذلك فإن كل بدعة تقوم تُهدَم بها سنة، بدعة الذكر الجماعي هدمت بها سنة الذكر الشرعي الموافق لهدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهكذا كل بدعة تقوم في الناس تُهدم بها السنن، وقد جاء هذا عن التابعين، جاء عن حسان بن عطية المحاربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من ثقات التابعين أنه قال: (ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع الله تعالى عنهم من دينهم من السنة مثلها، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة). وقال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعة قط حتى تركوا من السنة مثلها).

فذهاب السنة وانقراضها يكون بسبب فشو البدع وانتشارها، فكلما قويت البدعة في مكان كلما أميتت فيه السنة، ولذا انظر إلى الأماكن التي هي أماكن المبتدعة ترى السنن عندهم منسية متروكة؛ لأنهم قد استغنوا عنها بالبدع، وهذا من عقوبة الله تعالى لهم.

من مفاسد البدعة وأضرارها:

١٢- أنها تفرِّق الناس، وتزرع العداوات والبغضاء في المسلمين، فما أفشيت العداوات والفُرقة والبغضاء بين المسلمين إلا بالبدع والتحزبات والتفرق في الدين، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [سورة الأنعام:١٥٩]، برَّأ الله نبيه ممن فرَّقوا دينهم وكانوا شيعا وأحزابا وأتوا بالبدع والمحدثات، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾

[سورة الأنعام:١٥٣]، يحصل فيكم فرقة وتصيرون فرقًا وأحزابا، وتضعف قوتكم ويتفرق جمعكم بسبب البدع والمحدثات التي تحدث في الدين.

فما فرَّق المسلمين مثل البدع والمحدثات، جعلت المسلمين بعضهم أعداء لبعض، أفشت فيهم البغضاء والتنافر والتقاطع والتدابر، ولو تخلصوا من البدع وتركوها وتركوا الموالاة لأجلها وجعلوا ولاءهم للدين لرأوا جميع المسلمين إخوانا لهم.

ولذا أخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن دعوة المسلمين تُحيط مِن ورائهم، وأن المسلم المتبع للدين المتمسك بالسنة لا يحصل في قلبه غل على المسلمين، وأن المبتدع هو الذي يكون في قلبه الغل على المسلمين، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ**»(١). فهذه الثلاث تجعل المسلمين متحابين متآخين، ومخالفتها يفشي فيهم البغضاء والفُرقة والعداوة والتنافر.

من أضرار البدعة ومفاسدها:

١٣- أن الله تعالى يعاقب أهلها بالعقوبات الشديدة يوم القيامة، وكم جاءت الأدلة ببيان العقوبات لأهل البدعة، منها:

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٥٨)، عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

*- أنهم يُطردون عن حوض الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، الناس يكونون في عطش يوم القيامة تدنو الشمس من الخلائق، ويعظُم الكرب، ويشتد الحال، فيشربون من حوض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأهلُ البدع يطردون عن حوض الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

جاء في الحديث عن جماعة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في الصحيحين[1] أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر أن أناسًا من أمته يُطردون عن حوضه ويُؤخذون ذات الشمال قال: «**فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أمتي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**». أحدثوا إحداثًا في الدين، ابتدعوا بدعًا في الدين، «**إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»، قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي**». سحقا أي هلاكا لمن بدل بعدي، ولذا كان بعض السلف يقول للمبتدعة: (بيننا وبينكم يوم الحوض بين يدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أي أنهم يطردون عنه.

*- وهكذا تُوعَّد أهل البدع بالنار، جاء في حديث عبدالله بن عمرو وهو مروي بمعناه عن جماعة من الصحابة[2] عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى -أَوْ ثِنْتَيْنِ- وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى -أَوْ ثِنْتَيْنِ- وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»، قيل: من هي

---

(١) البخاري (٦٥٨٣)، ومسلم (٢٤٦ -٣٧-).

(٢) رواه أبو داود (٤٥٩٦) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وابن ماجه (٣٩٩٣)، عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

رسول الله؟ قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**». وفي رواية: «**هِيَ الْجَمَاعَةُ**».

فمن كان متمسكًا بما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه فهو الذي ينجو يوم القيامة، ومن خالف طريق الرسول وطريق أصحابه ببدع استحسنها ورآها من الدين فهذا يستحق النار كما توعده بذلك النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

*- المبتدعة كان بعض السلف يستدل عليهم بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [سورة آل عمران:١٠٦]، وهذه الآية في الكفار كما هو مذكور في الآية ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [سورة آل عمران:١٠٦]، ولكن كان جماعة من السلف يحتجون بها على أهل البدع وأنها تسود وجوههم يوم القيامة، جاء في سنن الترمذي (٣٠٠٠) عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه ذكر الخوارج فقال: «**كِلَابُ النَّارِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ**». ثم قرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [سورة آل عمران:١٠٦].

وكان الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: ما في كتاب الله آيةٌ أشدُّ على أهل الاختلاف من أهل الأهواء من هذه الآية، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [سورة آل عمران:١٠٦]، تبيض وجوه المتمسكين بالسنة وتسود وجوه أهل البدع والأهواء.

فاحذر على نفسك أيها المسلم أن تقع في البدعة أو أن تتعبد بالبدعة أو أن تراها حسنة، احرص على اتباع السنن التي فعلها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفعلها أصحابه

وسار عليها سلف الأمة، وما أُحدث من ذلك مما لم يفعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاحذر منه، فلو كان خيرا لسبقنا إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فهم أحرص على الخير منا.

قال عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ يوصي الناس، قال: (قف حيث وقف القوم) القوم المراد بهم السلف من الصحابة، (قف حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا)، لم يكونوا جهالاً، ولم يقفوا عجزا وجهلا بل وقفوا عن علم، (فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ عن أشياء كَفُّوا، وهم على كشفها كانوا أقوى وبالفضل لو كان فيها أحرى)، إذا كان فيها فضل كانوا هم أولى به وكانوا هم أحرى به. قال: (فلئن قلتم حدث بعدهم فما أحدثه إلا من خالف طريقهم ورغب عن سنتهم).

فتمسك بالسنة وسِر على سبيل السلف واتبع آثارهم واقتفِ طريقهم، فإن بذلك النجاة في الدنيا والآخرة، واحذر البدع والمحدثات في الدين فإنها ضرر عظيم، وليست بالأمر اليسير. نسأل الله جل وعلا أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يوفقنا للتمسك بسنة نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم توفنا على الإسلام والسنة.

اللهم توفنا على الإسلام والسنة واقبضنا وأنت راض عنَّا، إنك على كل شيء قدير.

والحمد لله رب العالمين.

(٣٠) كرامات الأولياء بين المنكرين لها والغالين في إثباتها

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن من أصول الاعتقاد التي وردت في القرآن والسنة: الإيمانَ بكرامات الأولياء، والتفريقَ بينها وبين آيات الأنبياء، وخوارق السحرة والشياطين.

فإن كرامات الأولياء هي أمر خارق للعادة، أي خارج عن العادة المألوفة عند الناس، فيحصل شيء على أيديهم مما لم تجرِ به العادة.

وخوارق العادات عند أهل العلم أنواعٌ ثلاثة:

١- إما أن يكون هذا الخارق للعادة آيةً لنبي، وكم أجرى الله تعالى من الآيات على يد أنبيائه، وما من نبيٍّ إلا أعطاه الله تعالى من الآيات ما على مثله يؤمن البشر، ويقتنعون بصدقه وصحة دعواه.

فأجرى الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الآيات العظيمة شيء كثير، أراهم انشقاق القمر حين سألوه أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فلقتين، فجعل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: «**اشهدوا**» رواه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠ -٤٤-)، عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكان يمر بحجر فيسلم عليه الحجر، وكان الطعام والحصى يسبح بين يديه، وكان يضع يده في الماء القليل الذي يكفي لشربة رجل واحد، فيشرب ويتوضأ منه المآت ويسقون رواحلهم، وكم أجرى الله على يديه من خوارق العادة.

وهكذا نبي الله موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ضرب بعصاه البحر فصار البحر طريقًا يبسًا مرَّ فيه نبي الله موسى ومن معه، وكان يلقي تلك العصا فتصير ثعبانا عظيما، وكان يُدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء، وغير ذلك.

وكان نبي الله عيسى يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله.

وآياتُ الأنبياء هي أمور خارقة للعادة، فالعادة أن البحر لا ينفلق بضرب العصا، وأن الماء لا يكثر بوضع اليد فيه، وأن الميت لا يحيا، ولكن هذه آيات أعطاها الله تعالى أنبياءه للدلالة على صدقهم.

٢- النوع الثاني من خوارق العادات: ما يجريه الله سبحانه وتعالى على يد أوليائه من الكرامات، وهو ما يسمى بكرامات الأولياء، وكرامات الأولياء هي أمور خارقة للعادة تقع لأناس صالحين متبعين للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يدَّعون نبوةً ولا رسالةً، ولا يبالون بتلك الكرامات ولا يحرصون عليها، بل يجريها الله سبحانه وتعالى على أيديهم دون قدرتهم أو إرادتهم أو علمهم المسبق.

٣- والنوع الثالث من خوارق العادات هي: الأحوال الشيطانية التي يفعلها السحرة والكُهَّان، وأمثالهم.

والفرق بينها وبين كرامات الأولياء؛ أن كرامات الأولياء تصدر من أناس صالحين أهل تقوى لله جل وعلا واستقامةٍ على دينه، واعتقادٍ صحيح، بخلاف الأحوال الشيطانية التي قد تكون أموراً خارقة للعادة، ولكنها من الشياطين، تجري على أيدي السحرة، والكهان، والمشعوذين، أو من يُسَمَّون بالمجاذيب، فقد ترى الواحد منهم يُدخِل خنجراً في عينه، أو تراه يطير في الهواء، أو يمشي على الماء، أو يبقُر بطنه بسكين، وإنما ذلك من تلبيس الشياطين، إما أنهم سحروا أعين الناس، وإما أن الشياطين فعلت بهم ذلك كما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أن بعض هؤلاء السحرة

كانت الشياطين تحملهم إلى أماكن بعيدة فيراهم الناس في تلك الأماكن البعيدة ثم يرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه في أسرع وقت ليُلبِّسوا على الناس.

فهذه من أحوال الشياطين، ومن خدمة الشياطين لهؤلاء، وليست دليلاً على صلاح ولا استقامة ولا كرامة من الله جل وعلا لهم.

فكرامات الأولياء تجري على أيدي أناس صالحين متبعين للأنبياء، والأحوال الشيطانية تجري على يد أناس هم من أسوأ الناس عملاً، وأسوئهم فعالاً، وقد يكونون ممن يعبد الشياطين، ويتقرب إليهم من السحرة وأمثالهم.

وما أحسن ما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تصدقوه حتى تعرضوا قوله على الكتاب والسنة). انظروا أقواله التي يقولها وأفعاله التي يفعلها هل هي موافقة لكتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى نقول إنها كرامة أكرمه الله بها؟ أو أنه مخالف لذلك حتى نعلم أن فعله ذلك من أحوال الشياطين؟

وكم التبس هذا الباب على أناس من المسلمين.

أما آيات الأنبياء أو ما يسميه البعض بمعجزات الأنبياء فهي ظاهرة لا لبس فيها لأنها مقرونة بدعوى النبوة، فصاحبها يدَّعي أنه نبي ويصدقه الله تعالى على دعواه تلك بالآيات التي يجريها على يده.

ولكن اللبس يحصل عند كثير من الناس بين كرامات الأولياء وبين الأحوال الشيطانية، والمؤمن يفرق بينهما.

فكرامات الأولياء تقع لأناس صالحين أتقياء، متبعين للأنبياء، تجري على أيديهم وهم لا يحرصون عليها ولا يتطلعون لها.

بخلاف الأحوال الشيطانية، فتصدر من أناس هم من أفسد الناس عملاً، وأسوئهم طريقةً، ويحرصون عليها، ويحاولون إظهارها للناس، أما صاحب الكرامة، فإنه وإن حصلت له، فهو يسعى في إخفائها، ولا يريد إظهارها للناس لأنه من أهل الصلاح والتقوى لله سبحانه وتعالى.

كرامات الأولياء لا قدرة للعبد فيها، بل يجريها الله تعالى على يديه دون قدرته وإرادته، ثم هم يسعون جاهدين في إخفائها وسترها عن الناس، ولكن قد يُجري الله سبحانه وتعالى لهم أشياء ظاهرة يراها الناس ويعرفونها.

وكرامات الأولياء واقعة في هذه الأمة وفي الأمم السابقة.

والولي هو من وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة يونس:٦٢-٦٣]، فالمؤمنون المتقون هم أولياء الله، كل مؤمن متقٍّ لله تعالى فهو من أولياء الله.

وليس من شرط الولي أن تجري على يديه الكرامات، فقد يكون المؤمن وليا لله من خيرة أولياء الله ومن أفضلهم في زمانه ولا يجري على يديه شيء من الكرامات، فالله تعالى يجري الكرامة على يد من شاء من خلقه لحكمةٍ يعلمها وفائدةٍ ومصلحة، وإلا ليس من شرط الولي أن تجري الكرامة على يديه.

وهكذا لا تجري الكرامة إلا على يد إنسانٍ مستقيمٍ ظاهراً وباطناً، أصلح حاله الظاهر والباطن بالاستقامة على دين الله سبحانه وتعالى، وأما غير المستقيم والذي يظهر منه الفساد فلا يُصدَّق وإن جرى على يديه ما جرى من خوارق العادات، فقد يكون من أحوال الشياطين كما قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إذا رأيتم رجلاً يطير في الهواء أو يمشي على الماء لا تصدقوه حتى تعرضوا قوله على الكتاب والسنة)، فإن وافقها فهذا دليل ولايته وصلاحه، وإن خالف الكتاب والسنة فلا يدل ذلك على صلاحه مهما جرى على يديه.

كرامات الأولياء، من أهل البدع -كالمعتزلة وأمثالهم- من أنكرها وكذَّب بها، قالوا لأن إثباتها يقتضي أن تلتبس بآية الأنبياء فيختلط على الناس آية النبي بكرامة الولي، وهذا قول ضعيف، فإن الولي لا يدَّعي النبوة بل هو من أصلح الناس وأبعدهم عن دعوى النبوة، وإن ادعى النبوة فهو كاذب وليس من أولياء الله.

ومن أهل البدع من بالغ في إثباتها حتى أثبت أشياء من الخرافات ومما لا حقيقة له وادعى أنها كرامات كما فعله الصوفية، والرافضة، وأمثالهم، ادعوا لأوليائهم ومن يزعمون فيهم الصلاح أموراً من الخرافات، فذكروا: أن منهم من يحيي الموتى، وأن منهم من يجيب الناس من القبر، وأن منهم من يُخرج يده من القبر فيصافح من يأتيه زائراً، وأن منهم من يفعل ويفعل... وكل ذلك كذب وخرافات ادعوها لتعظيم وتقديس أشخاص معينين، وأما أهل الحق، أهل السنة والجماعة الذين خالفوا هذه الطوائف والأهواء، فقالوا: نثبت كرامات الأولياء كما دل عليه الكتاب والسنة، ونؤمن

بها ونرى أنها أشياء يجريها الله جل وعلا على يد من شاء من خلقه إكراماً له لحكمةٍ عظيمة ومصلحة، قد تكون لتثبيته على الإيمان، وقد تكون لتقويته وزيادة إيمانه، وقد تكون لنفع غيره يراه غيره على صلاح ويجري الله تعالى عليه من الكرامات فيهتدون ويسلكون سبيله، وقد تكون مكافأة من الله له على إحسانه وما فعل من الخير مع الناس، فيجريها الله تعالى على يد أوليائه لمصالح عظيمة.

ولا يكون هؤلاء الأولياء إلا من أصلح الناس وأتقاهم لله وأقربهم إليه سبحانه وتعالى.

وأعظم كرامة تحصل للمسلمين أن يعيش مستقيماً على هذا الدين، وأن يموت مستقيماً عليه، فمن عاش مستقيماً على الدين، ومات على ذلك، فهذه كرامة عظيمة أكرمه الله سبحانه وتعالى بها.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، قد أجرى الله سبحانه وتعالى كثيراً من الكرامات على يد من شاء من أوليائه في هذه الأمة وقبل هذه الأمة، فمن الكرامات التي جرت على يد أولياء من أولياء الله:

ما جرى لمريم ابنة عمران أم عيسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فمريم صدِّيقة ووليَّة من أولياء الله وليست نبية، فإنه لم يكن نبي إلا من الرجال، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [سورة يوسف:١٠٩]، فأجرى الله تعالى على يد مريم كرامات عظيمة حتى إن زكريا حين رأى ما هي عليه، سأل الله تعالى الولد، وكان قد كفلها زكريا: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧﴾ [سورة آل عمران:٣٧].

قال كثير من المفسرين: كان يرى عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء. كان يرى عندها الأرزاق حتى سأل الله تعالى أن يرزقه الولد.

ثم جرت لها كرامة أخرى، فحملت من غير زوج ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝٢١﴾ [سورة مريم:٢٠-٢١].

فولدت وجاءت بصبيها تحمله فأنطقه الله تعالى وهو في المهد وتكلم تصديقاً لها، وهذا كله من كرامتها.

أجرى الله كرامةً لأناسٍ في أمةٍ سابقة، كانوا صالحين أتقياء، فرُّوا من قومهم الكفرة المشركين، وناموا في الكهف أكثر من ثلاثمئة سنة، وبعثهم الله جل وعلا من نومتهم تلك بعد ثلاثمئة سنة، قال الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣﴾ [سورة الكهف:١٣]، كانوا ناساً صالحين، رأوا قومهم على شرك، يعبدون غير الله، فاعتزلوهم إلى غارٍ في جبل، فألقى الله عليهم نومةً ثلاثمئة وبضع سنين، وقاموا من نومتهم بعد ثلاثمئة وبضع سنين وهم يظنون أنهم ناموا يوماً أو بعض يوم، حتى خرجوا إلى أناس آخرين، وإلى أمة أخرى، وإلى بلد آخر قد انتشر فيه الإسلام، والتوحيد، والصلاح.

وهكذا كم أجرى الله من كرامات على يد أناس من الأمم السابقة، كالغلام الذي أراد الملك قتله، وكان الملك يدعي الربوبية، فعجز عنه، وكلما دفعه إلى أناس من أصحابه ليتخلص منه لم يقدروا عليه، أعطاه طائفة من أصحابه وقال: اذهبوا به إلى جبل وألقوه من أعلاه فاهتز الجبل وسقطوا جميعا ورجع يمشي إلى الملك، ثم دفعه

إلى طائفة أخرى من أصحابه فأدخلوه إلى البحر ليلقوه في وسطه ولم يستطيعوا به ضرراً، حتى كان قتلُه سبباً في إيمان تلك الأمة.

وهكذا امرأة كانت ممن آمن به، أنطق الله تعالى صبيها حين حفروا لهم الأخاديد وأحرقوهم بالنار، قال لها: يا أمه اصبري فإنكِ على الحق.

وهكذا ما جرى لماشطة بنت فرعون التي كانت مؤمنة بالله، أنطق الله تعالى صبيها بعد أن أحرق فرعون أولادها وهي تنظر إليهم حتى بقي غلامٌ رضيع، وكان سببا في ثباتها وقال: يا أمه اصبري فإنكِ على الحق.

وهكذا أحوال كثيرة ذكرها الله سبحانه وذكرها نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، جرت على أيدي أناسٍ صالحين، من الأمم السابقة، كرامةً من الله سبحانه وتعالى لهم.

وهكذا في هذه الأمة، كم أجرى الله تعالى على أيدي أناسٍ من أوليائه، من أصحاب نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومَن بعدهم.

فمن كراماتهم:

ما جاء في الصحيحين عن جابر أنه خرج جيش من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان أميرهم أبا عبيدة بن الجراح يتلقون عيراً لقريش وكانوا أكثر من ثلاثمائة شخص ولم يجد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لهم زاداً ولا طعاماً يعطيهم إياه إلا جراباً من تمر، لثلاثمائة شخص، فكان أبو عبيدة يعطيهم في اليوم الواحد منذ أن يصبحوا إلى أن يناموا تمرة واحدة، فيجعلها أحدهم في فمه، ثم يأخذ الماء، ويشرب الماء والتمرة في

فمه لينزل مع ذلك الماء شيء من حلاوة تلك التمرة ثم يجعلها إلى وقت آخر حتى تذوب تلك التمرة وتنتهي.

قال الراوي لجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما تغني عنكم ثمرة في يوم واحد؟ قال: لقد وجدنا فقدها حين فقدناها، يعني قد جاءت علينا أيام بعد ذلك لم نجد تمرة حين انتهى ذلك الجراب، فأكرمهم الله بدابة عظيمة تُدعى العنبر من سمك البحر، أخرجها الله تعالى إليهم فأكلوا منها شهراً كاملاً، قال جابر: كنا نَقْتَطِعُ مِنْهُ الْفِدَرَ كَالثَّوْرِ، وكنا نغترف منها الدهن بالقلال، ولقد أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَقْعَدَهُمْ فِي وَقْبِ عَيْنِهِ، أي في فتحة عينه، ثلاثة عشر رجلا من الصحابة قعدوا فيه، وأخذ ضلعاً من أضلاع ذلك الحوت، ونصبها، وجاء أطولُ بعير معنا، وركب عليه أطول رجل، فمر من تحت الضلع، ولم يمسه برأسه، فبقوا يأكلون منه شهرا كاملا، قال جابر: حتى سمنت أجسادنا. وهذه كرامة من الله تعالى أكرمهم بها.

وكم جرى للصحابة من كرامات، ففي "فضائل الصحابة" للإمام أحمد (٣٥٥) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه بعث جيشاً ناحية العراق، وأمَّر عليهم رجلاً يدعى سارية، وإنهم قاتلوا، فجاء رسول الجيش إلى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، بينما نحن نقاتل، إذ كاد العدو أن يأتينا من جهة الجبل، فسمعنا صوتاً يقول، يا سارية الجبل، أي احذر الجبل، قال: فأسندنا ظهورنا إلى الجبل، فنصرنا الله عليهم، فقال الصحابة لعمر: إنك كنت تصيح يوم الجمعة، وأنت تخطب على المنبر، يا سارية الجبل.

وهذه كرامة أجراها الله لعمر، وما جاء في بعض الزيادة أنه كُشِف لعمر عنهم حتى رآهم فهو ضعيف، لكن الصحيح أن الله تعالى أجرى هذا الكلام على لسان عمر، وسمعه سارية ومن معه من الجيش في أرض العراق، وعمر يخطب بالمدينة.

وهكذا أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء عنه في صحيح البخاري[1]، أنه دعاء ناسًا إلى بيته يعشيهم، ثم تأخر عند النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فوصل إلى بيته في وقت متأخر من الليل، والضيوف لم يتعشوا، وكان قد وكَّل بهم ولده، فلما رآهم قال: ما لكم؟ قالوا ننتظرك حتى تجيء، فغضب أبو بكر قال: والله لا آكله، فقال الأضياف: ونحن والله لا نأكل حتى تأكله، فقال أبو بكر: ما شأنكم، فقعد معهم، قال: فما كنا نرفع لُقْمَةً إِلَّا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، كلما أخذوا لقمة زاد ذلك الطعام، فدعا أبو بكر زوجته، قال: انظري إلى طعامك، قالت: لهو والله الآن أكثر منه حين أتيت به، وبعد أن أكلوا، وشبعوا، حملها إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فأكل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها.

وهكذا خرج جماعة من الصحابة، كما في صحيح البخاري (٣٩٨٩)، نحو عشرة من الصحابة، فتلقاهم أناس من المشركين نحو مئتي رجل، أكثرهم من الرماة، فحاصروهم، فقتلوا منهم سبعة، ثم قتلوا الثامن، وأسروا رجلين، خُبيبًا وابن الدَّثِنَة، وباعوهم رقيقًا في سوق مكة، وكان خُبيب قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فاشتراه بنو الحارث ليقتلوه، قالت ابنة الحارث: وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، وَاللهِ لَقَدْ

---

(١) البخاري (٦١٤١).

وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الْحَدِيدِ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ، أي ليس في البلد شيء من العنب وهو يأكل العنب، ثم أخذوه وأخرجوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقتلوه وهو القائل:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا *** عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ *** يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وهكذا أميرهم عاصم بن ثابت الأنصاري، كان قتل رجلاً من كبار المشركين يوم بدر، فلما علمت قريش أنه قُتل، أرسلوا إليه رجلاً يأتيهم بشيء من جسده ليصدقوا أنه قُتل، فبعث الله عليه طيراً كثيراً من الدَّبَر أي كالنحل، حَمَتْهُ وصارت على جسده، ولم يستطع أحد من المشركين أن يدنو منه، وهو قتيل رضي الله تعالى عنه.

وكم جرى للصحابة من كرامات، جاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر -كما في صحيح البخاري[1]-، إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثم خرجوا في ليلة مظلمة، قال راوي القصة: وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَالسِّرَاجِ فِي أَصَابِعِهِمْ، وليس عندهم ضوء ولا سراج، ولكن جعل الله تعالى أصابعهم تُضِيء كَأَنَّهَا سُرُجٌ، حتى تفرقوا.

وكذلك في صحيح البخاري ومسلم[2]، عن أسيد بن حضير، أنه كان في ليلة يقرأ القرآن، والملائكة تدنو منه، وكانت فرسه تنفر، حتى كادت أن تطأ ولده، قال النبي

(١) البخاري (٣٨٠٥)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري (٥٠١٨) ومسلم (٧٩٦-٢٤٢-).

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**تلك الملائكة، نزلت تستمع الذكر**»، وفي بعض الرواة: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ**».

وهكذا كرامات الأولياء كثيرٌ التي أجراها الله سبحانه وتعالى على أيديهم من صحابة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كان سعد بن أبي وقاص أميراً على الكوفة كما في الصحيحين[1]، فتكلم فيه أهل الكوفة وطعنوا فيه، حتى قال بعضهم: إنه لا يُحسِن يصلي، وسعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أحد العشر المبشرين بالجنة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام، يتهمه أناس أنه لا يحسن الصلاة، فأرسل عمر وكان الخليفة إلى مساجد الكوفة من يسألهم عن سعد، وكلُّهم يثنون عليه خيرا.

إلا في مسجد واحد، قام رجل يقال له: أسامة بن قتادة قال: أمَّا إذا سألتنا عن سعد فإنه لا يسير في السرية، -أي: يتهمه بأنه جبان لا يقاتل مع الناس- ولا يعدل في القضية، -أي أنه يجور في حكمه ولا يعدل-، ولا يقسم بالسوية، -أي إذا أعطى يجامل ولا يقسم قسمة سواء- فقام سعد فقال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ.

فصار ذلك الرجل بعد ذلك شيخاً كبيراً، فقيراً، قد سقط حاجباه على عينيه، وهو يتعرض للبنات، وللجواري في شوارع الكوفة، يغمزهن بيده، وكان إذا سُئل ما لك

---

(١) البخاري (٧٥٥)، ومسلم (٤٥٣ -١٥٨-).

على هذا الحال تفعل هذا الفعل، وأنت شيخ كبير؟ قال: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ.

وهذا يبين أنه قد تكون كرامة الولي إجابةَ دعوة يدعو الله سبحانه وتعالى فيستجيبها له، وهكذا جرى من كرامات الأولياء للتابعين، ولمن بعدهم كثير، والشاهد من ذلك أن مما يعتقده أهل السنة والجماعة ومما دونوه في كتب الاعتقاد: التصديق بكرامات الأولياء، وأن كرامات الأولياء غير آيات الأنبياء، وغير الأحوال الشيطانية التي تجري على يد السحرة وأمثالهم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يفقهنا في دينه، وأن يرزقنا العمل بما علمنا.

اللهم أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الكفر والكافرين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنـًا مطمئنـًا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم فرِّج عن إخواننا المستضعفين من المسلمين في كل مكان

اللهم فرِّج عنهم في أرض فلسطين، اللهم اجعل لهم من كل هم من فرجـًا، ومن كل ضيق مخرجـًا، ومن كل عسر يسراً، ومن كل بلاء عافية.

اللهم انصر دينك وعبادك المؤمنين.

اللهم أعز الإسلام وأهله، اللهم أعز الإسلام وأهله، اللهم أعز الإسلام وأهله، إنك على كل شيء قدير.

والحمد لله رب العالمين.



(٣١) لا نكفر أحدا من أهل القبلة بكل ذنب، ولا نشهد له بجنة ولا نار، ونصلي على من مات منهم ونستغفر له

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن من أصول الاعتقاد التي سار عليها سلف هذه الأمة، والتي هي مأخوذة من كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة -أي من المسلمين- بكل ذنب من الذنوب إذا ارتكبه، فإن هذا ليس من طريقة السلف ولا من هديهم أن يُكفِّروا بكل ذنب، وفي المقابل لا يقولون: لا يضر مع الإيمان عمل، بل إنهم يعتقدون أن من الذنوب ما يَكفر به صاحبُه، ويخرج به من الإسلام، وذلك كَسَبِّ الله جل وعلا، أو سَبِّ دينه، أو سَبِّ رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكَصَرْفِ شيء من العبادة لغير الله، كالسجود لغير الله، أو الذبح لغير الله، أو دعاء غير الله وهكذا كالسحر، والكهانة، وادعاء علم الغيب، ونحو ذلك من الذنوب التي يَكفر مرتكبُها.

وهناك ذنوب وإن عظُمت في نظر الناس لا يُكفِّر السلفُ بها كالسرقة، والزنا، وشرب الخمر، والتعامل بالربا، ونحو ذلك من المحرمات.

فالسلف لا يُكفِّرون بكل ذنب، وإنما يكفرون بذنب حكم الله تعالى أو رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على صاحبه بالكفر، وما عدا ذلك فلا يشهدون لمن ظهر منه الإسلام بالكفر بمجرد ذلك الفعل.

وتأمل كيف أثبت ربنا سبحانه وتعالى الأُخوةَ بين المؤمنين مع وجود الاقتتال، والاقتتالُ من عظائم الذنوب ومن أكبر الكبائر، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾ [سورة الحجرات:٩]، ثم قال في الآية التي

تليها: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [سورة الحجرات:١٠]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ [سورة البقرة:١٧٨]، أي من أخيه الذي قتَلَه، أي عبر أقارب ذلك القتيل وأوليائه، ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [سورة البقرة:١٧٨]، فنجد أن الله سبحانه وتعالى أثبت الأخوة لهم مع وجود الاقتتال بينهم.

وهكذا جاء في صحيح البخاري (٦٧٨٠)، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَاللهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ -أي شُرْب الخمر-، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا، فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**». فأثبت النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ له حب الله ورسوله مع كثرة ما يؤتى به ليُجلد في شرب الخمر.

وفي صحيح البخاري (٦٧٧٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلاً أُتِيَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ شَرِبَ، قَالَ: «**اضْرِبُوهُ**» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: أَخْزَاكَ اللهُ. قَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ**». أي: بلعنكم له ودعائكم عليه.

والشاهد من هذه الأدلة إثبات الأخوة الإيمانية مع وجود كبائر الذنوب، وهكذا إثبات محبة الله ورسوله مع وجود ما هو من كبائر الذنوب وهو شرب الخمر.

فمن هذه الأدلة أخذ السلف: أنهم لا يُكفِّرون بكل ذنب من الذنوب، فإن من دخل في الإسلام وثبت منه الإسلام يقينـًا لا يخرج منه إلا بشيء جعله الله جل وعلا كفراً أو جعله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفراً.

وأهل الكبائر الذين يرتكبون الكبائر من الذنوب في هذه الدنيا لا نعتقد كفرهم، بل نقول: هم مسلمون عصاة، أو يقال عنهم: هو مؤمن بإيمانه، وهو فاسق بذنبه وكبيرته، فلا يخرج من الإيمان، ولا يَثبُت له الإيمان الكامل، بل إيمانه ناقص بتلك الكبيرة التي ارتكبها.

وأما في الآخرة إذا مات صاحب الكبيرة ولقي الله تعالى، فإن مات تائبـًا منها –أي تاب قبل أن يموت–، فإن الله يتوب عليه، ويلقي الله تعالى مُكرمـًا له، وإن لم يتب –أي مات على كبيرته–، فأَمْرُهُ إلى الله إن شاء الله تعالى عذَّبه على ذلك الذنب بقدر ذنبه، ثم يخرج من النار، وإن شاء الله تعالى غفر له ابتداءً ولم يؤاخذه به وأدخله الجنة.

جاء في الصحيحين[1] عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا**

(١) البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩ -٤٣-).

فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلَى اللهِ؛ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ». فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ.

فهذا اعتقاد السلف في فاعل الكبيرة، أنه في الدنيا يكون مسلماً، ولا يخرج من الإيمان بكبيرته، وفي الآخرة أَمْرُهُ إلى الله سبحانه وتعالى، إن شاء الله عذبه بذنبه، وإن شاء غفر له ابتداءً.

والمراد الكبيرة التي لا تبلغ حد الكفر، أما ما بلغ حد الكفر فإن صاحبه يكفر به إذا توفرت في حقه الشروط وانتفت عنه موانع التكفير.

وقد خالف في هذا الأمر العظيم طوائف من أهل الضلال:

١- خالف فيه الخوارج الذين كفَّروا المسلمين بكل ذنب، فإذا ارتكب المسلم كبيرة من الكبائر في هذه الدنيا فإنه في نظر الخوارج كافر، ولذا تراهم يستحلون دماء المسلمين ويقتلونهم، بل ويتقربون بقتلهم إلى الله تعالى.

ولذا قتلوا عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن بلغ من العمر ثمانين سنة وأكثر، وهو أمير المؤمنين، وصهر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وله من الفضل والسَّبْق في الإسلام ما لا يخفى، بمجرد شبهات وادِّعاءات ادَّعَوها عليه، وهكذا مَرَّ جماعة من الخوارج برجل من أولاد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهو عبد الله بن خباب ومعه زوجته وهي حامل.

فقتلوه وقتلوا زوجته، وبقروا بطنها[(١)]، بينما كانوا يتورعون عن أشياء يسيرة، وهكذا شأن الخوارج يستحلون دماء المسلمين بأيسر الأمور، ويحكمون عليهم بالكفر بمجرد ذنوب ارتكبوها، وهذا مذهب مُهْلِكٌ، وخلاف طريق السلف.

٢- وخالف فيه أيضا طائفة أخرى، وهم المرجئة، الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب. فمهما فعل من الذنوب عندهم وهو مُصدِّق بقلبه، لا يضره ذلك الذنب، ولا يُنقِص إيمانه، وهذا أيضـًا ضلالٌ، وخلافُ كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولذا تجد اليوم بعض هؤلاء يقول في الرافضة الذين يدينون بغير دين الإسلام: هم مسلمون، وإذا سئل لماذا؟ قال: لأنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيمون الصلاة ونحو ذلك، وهو يعلم أنهم قد ارتكبوا من الكفر ومن نواقض الإسلام الشيء الكثير.

فأهل السنة وسط بين هذه الطوائف المنحرفة، ليس عندهم غُلوٌّ كغُلوِّ الخوارج الذين كفَّروا المسلمين بما لا يوجب التكفير، وليس عندهم تفريط كتفريط المرجئة الذين حكموا لبعض أهل الكفر والزندقة بالإسلام.

---

(١) قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "سير أعلام النبلاء" (٢٨/ ٢٧٩) في الخوارج الذين ناظرهم ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (فرجع إلى الصواب منهم خلقٌ، وسار الآخرون، فلقوا عبد الله بن خباب بن الأرت، ومعه امرأته، فقالوا: من أنتَ؟ فانتسب لهم، فسألوه عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، فأثنى عليهم كلِّهم، فذبحوه وقتلوا امرأته، وكانت حبلى، فبقروا بطنها، وكان من سادات أبناء الصحابة). وأخرج هذه القصة مطولَّة الإمام أحمد في "المسند" (٢١٠٦٤) وابن عبدالبر في "جامع بيان العلم وفضله" (١٨٣٧) من طريقين يقوي أحدهما الآخر.

بل أهلُ السنة يعتقدون أن من ارتكب ذنبًا حَكَمَ الله عز وجل أو رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على فاعله بالكفر فهو كافر، وما كان عدا ذلك فلا يُكفِّرون به.

أيضًا مما يعتقده السلف:

أن من مات من المسلمين فإنه يُشرع الصلاة عليه، والاستغفار له، وإن كان مرتكبًا للذنوب العظيمة، وإن كان مرتكبًا للسيئات، ما دام لم يبلغ حد الكفر، فإنه يشرع الصلاة عليه، والاستغفار له، بل يرون أن من كان مذنبًا فهو أحوج للصلاة عليه والاستغفار له، حتى يُكفِّر الله تعالى عنه ذنوبه، هذا ما دام مسلمًا لم تبلغ ذنوبه حدَّ الكفر، وهذا من صميم اعتقاد السلف أنهم لا يتركون الصلاة على صاحب الذنب مهما بلغ ذنبه ما لم يبلغ حد الكفر.

نعم قد يترك الصلاة عليه أناسٌ من أهل العلم والفضل، كما إذا ترك الصلاة عليه وليُّ الأمر أو ترك الصلاة عليه العالم؛ لأجل أن يرتدع الناس عن مثل طريقته وعن فعله، وأما سائر المسلمين فإنهم يصلون عليه.

وأما من كان كافراً مشركًا أو كان منافقًا يُظهر الإسلام ويبطن الكفر؛ فلا يجوز الصلاة عليه ولا يجوز الاستغفار له وإن كان من أقرب الأقربين.

ولذا لما مات أبو طالب عمُّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكان يدافع عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويحوطه وينصره ويغضب له، ولكنه مات ولم يقل: لا إله إلا الله، أبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»، فأنزل الله القرآن: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ

لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [سورة التوبة:١١٣](١).

أي لا يحل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يحل للمؤمنين أن يستغفروا لأهل الشرك ولو كانوا من أقاربهم.

وجاء في صحيح مسلم (٩٧٦ -١٠٨-)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ زَارَ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى، وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا، فَأُذِنَ لِي**».

فلا يجوز التَّرَحُّم على كافر، ولا يجوز الاستغفار له، فإن احتج أحد باستغفار إبراهيم لأبيه حين قال كما ذكر الله تعالى عنه: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة الشعراء:٨٦]، فإن الله تعالى قال في جواب ذلك: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ﴾ [سورة التوبة:١١٤].

فإبراهيم استغفر لأبيه بناء على وعدٍ وعده إياه، فلما تبين له أنه عدو لله وأنه مات على الكفر تبرأ منه، وقال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [سورة الممتحنة:٤] ثم قال: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [سورة الممتحنة:٤]، أي هذا الشيء لا تتأسوا به فيه، لكم في إبراهيم أسوة حسنة إلا في هذا الفعل في قوله

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤ -٣٦-)، عن المسيب بن حزن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لأبيه: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [سورة الممتحنة:٤]، فإن هذا من خصائص إبراهيم وليس لأحد أن يتأسى به.

فلا يجوز الترحم على يهوديٍ ولا نصرانيٍ ولا مشركٍ، وبسبب الجهل عند بعض الناس تراهم إذا مات أحد كبراء النصارى ممن هو رمزٌ في دين النصرانية تخرج منه الكلمات في الترحم عليه والاستغفار له والدعاء له بالعفو، وهذا منافٍ لكلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وترى من المسلمين من إذا مات بعض الكفار يترحمون عليهم ويستغفرون لهم، كما سمعنا حين ماتت امرأة من النصارى، كانت مذيعةً أو إعلاميةً، أنه توالى كثيرٌ من المسلمين في الاستغفار لها والترحم عليها، وبعضهم يؤدي عنها عمرة، وبعضهم يذبح عنها قرباناً، لماذا؟ قالوا: لأنها كانت تقف بصدقٍ مع إخواننا الفلسطينيين!!! وهذا من الجهل، ومن مخالفة كلام الله، وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلا فكيف يُستغفَر لكافر؟ وكيف يُترحَّم على مشرك؟ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة التوبة:١١٣]، ليس لهم ذلك.

وهكذا لا يجوز الاستغفار لمنافق، ولا الصلاة عليه، ولا القيام على قبره، منافقٌ يظهر الإسلام ويبطن الكفر، هذا لا حق له في الاستغفار ولا في الصلاة، قال الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شأن المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة التوبة:٨٤].

ولما مات عبدالله بن أُبي ابن سلول قام النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليصلي عليه، وهو رأس المنافقين، فأخذ عمر بيد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: يا رسول الله إنه من أولئك. أي من أهل النفاق، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الله تعالى خيَّرني فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة التوبة:٨٠]، وكان هذا في أول الأمر خُيِّر بين الاستغفار لهم وعدمه، وأنه مهما استغفر لهم لا ينفعهم، ثم نهاه الله عن الصلاة عليهم أو الاستغفار لهم.

فلا يجوز لمسلم أن يصلي على منافق ولا أن يستغفر له، سواء كان هذا المنافق باطنيًا أو كان رافضيًا أو كان زنديقا طاعنًا في الدين، ممن يطعن في الإسلام وهو يظهر الإسلام من المنافقين، لا يجوز الصلاة عليهم، ولا الاستغفار لهم، وهذا مما اعتقده سلفنا رحمهم الله، ودوَّنوه في كتب العقائد امتثالاً لكلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، ومما يتعلق بهذا الباب من اعتقاد السلف عليهم رحمة الله:

أنهم لا يشهدون لمُعيَّنٍ بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار، لا يشهدون لشخصٍ بعينه أنه من أهل الجنة أو أنه من أهل النار مهما بلغ إيمان المؤمن، ومهما بلغ كفر الكافر، ما دام أنه حيٌّ لا يُشهد له بجنة ولا يشهد له بنار، لأن الكافر قد يتوب، والمسلم قد يترك الإسلام، وإن مات كذلك لا يُقطع له بذلك على التعيين، وإن كنَّا نشهد للمؤمنين بالجنة وللكافرين بالنار عموما.

فأهل السنة يشهدون بالجنة لعموم المسلمين وبالنار لعموم الكافرين، فيقولون: كل مؤمن في الجنة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾ [سورة الحج:١٤]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧﴾ [سورة الكهف:١٠٧]، فيشهدون لكل مؤمن بأنه من أهل الجنة، ويشهدون لكل كافر بالنار كما شهد الله تعالى لهم في آيات كثيرة من كتابه سبحانه وتعالى، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ

أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ [سورة البينة:٦].

فعلى العموم نشهد لكل مؤمن بأنه من أهل الجنة، ونشهد لكل كافر بأنه من أهل النار، ولا نَخُصُّ أحداً بعينه إلا من خصه الدليل، كما شهد النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأناس بأنهم في الجنة.

جاء في حديث سعيد بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، ويُلقَّب بأبي الأعور، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ**». فَقَالَ الْقَوْمُ: نَنْشُدُكَ اللهَ يَا أَبَا الْأَعْوَرِ، مَنِ الْعَاشِرُ؟ قَالَ: نَشَدْتُمُونِي بِاللهِ أَبُو الْأَعْوَرِ فِي الْجَنَّةِ[(١)]. أي: هو راوي الحديث سعيد بن زيد، وكان كتم اسمه في أول الأمر، ثم لما نشدوه بالله أخبر أنه هو العاشر في الجنة، وهؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ.

وهكذا شهد النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأزواجه بالجنة، جاء جبريل فقال: «**يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ، أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا، وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (١٦٢٩) وأبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٨)، وابن ماجه (١٣٣).

(٢) البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢ -٧١-)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

وهكذا كلُّ أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة وقد جاء في ذلك أحاديث.

وهكذا شهد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لعبدالله بن سلام بالجنة، وشهد لعكاشة بن محصن بالجنة، وشهد لثابت بن قيس بن شماس بالجنة، وشهد للمرأة السوداء التي كانت تُصرع أنها إن صبرت على ذلك فهي في الجنة، وغيرهم ممن شهد له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه في الجنة بعينه، فكانوا يمشون على ظهر الأرض وهم يعلمون أنهم من أهل الجنة، فنشهد لهم بالجنة على التعيين لأن الأدلة شهدت لهم بذلك.

وهكذا شهدت الأدلة لأناس بالنار، شهد الله تعالى لأبي لهب وزوجته بالنار، ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [سورة المسد:١-٥]..

وشهد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لعمرو بن لُحي بالنار، فقال: «**رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ**»(١).

وشهد لعمِّه أبي طالب بالنار، قال: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ...**»(٢)، وقال في رواية: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ...**»(٣).

---

(١) البخاري (٣٥٢١)، ومسلم (٢٨٥٦ -٥٠-)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩ -٣٥٧-)، عن العباس بن عبدالمطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه مسلم (٢١٢ -٣٦٢-)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فنشهد لمن شهد له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعينه أنه من أهل الجنة، أو أنه من أهل النار، وما عدا ذلك فلا يجوز أن نشهد لشخص بعينه أنه من أهل الجنة أو من أهل النار، بل نقول: نرجو للمُحسن أن الله تعالى يدخله الجنة، ونخاف على المسيء أن الله تعالى يدخله النار.

ومن هذا الباب شهادة بعض الناس لبعض من يُقتل بأنه شهيد، ويجزم له بأنه شهيد، وهذه الشهادة والقطع بها منهي عنه، فلا نقول: فلان بعينه شهيد، ولكن نقول: نرجو له الشهادة، نحسبه عند الله تعالى شهيداً، أو نقول: من قُتل في سبيل الله فهو شهيد.

فقد وُجِد رجالٌ في زمن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قتلى في بعض الغزوات، فمرَّ عليهم بعض الصحابة، وقالوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ، فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ**»(١).

فأنكر عليهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك وأنه لا يُشهد لأحد بعينه أنه شهيد، لأن الشهادة له بأنه شهيد هي بمعنى الشهادة له بالجنة، وذلك لا يكون إلا بنص من كلام الله أو كلام رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولكن نرجو لمن قُتل في سبيل الله أنه شهيد، فإن من قُتل وهو يجاهد أعداء الله، وكان مرتكبا لكبيرة من الإثم لا يقال عنه: شهيد.

---

(١) رواه مسلم (١١٤ -١٨٢-)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد قُتل رجلٌ في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يجاهد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ اللهِ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَلَّا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ** -أي ثوب- **لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارًا، أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ**»(١)، وما أخوف هذا الحديث!! يوم أن يكون الإنسان قد بذل روحه وأريق دمه ويكون مرتكبا لكبيرة من كبائر الذنوب، فيُحرم الشهادة.

وخرج رجل مع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقاتل مقابل ثلاث دنانير، دعا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الجهاد، وكان رجلٌ عنده عذر، فأناب رجلاً يخرج مكانه، وقال له: أخرج جاهد مكاني وما كان من الغنيمة لي فهو لك، فمشى ثم رجع إلى الذي أنابه، فقال: لا أدري ما المغانم، ولا أدري ما السهمان، سمِّ لي شيئًا تعطيني إياه، سواء وجدت غنيمة أم لم توجد، فقال: أعطيك ثلاثة دنانير، فخرج وقاتل وقُتل، فذُكر للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال: «**مَا أَجِدُ لَهُ فِي غَزْوَتِهِ هَذِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا دَنَانِيرَهُ الَّتِي سَمَّى**»(٢).

فمن يقاتل لأجل مال أو لأجل منصب أو لأجل شيء دنيوي ليس له في الدنيا ولا في الآخرة إلا ما نواه، ولذا لا يقال: عن كل من قُتل في المعركة إنه شهيد، لكن نرجو له الشهادة، ونحسبه عند الله تعالى شهيداً، فنرجو للمحسنين ولا نقطع لهم بالجنة، ونخاف على المسيئين ولا نقطع لهم بالنار، أي باعتبار التعيين.

---

(١) رواه البخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (١١٥ -١٨٣-)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه أبو داود (٢٥٢٧)، عن يعلى ابن منية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نعم، من شهد له المؤمنون يُرجى له الخير، جاء في حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البزار (١١٣٤) قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ بِمَ؟ قَالَ: «**بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ**».

وفي الصحيحين[1] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَجَبَتْ**». وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَجَبَتْ**».

فعُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استشكل ذلك، قال: يا رسول الله، مرت جنازة فأُثني عليها خيراً فقلت: «**وجبت**» ومرت جنازة فأُثني عليها شراً، فقلت: «**وجبت**»، فما وجبت؟ قال: «**هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ**».

فمن شهد له الناس بالخير يرجى له الخير، ومن شهد له الناس بالشر والشقاق والمعصية والذنب والإجرام يُخاف عليه من الشر الذي يلحقه في الآخرة.

فهذا معتقد السلف في هذا الباب يشهدون للمؤمنين عموماً بالجنة، ويشهدون للكافرين عموماً بالنار، ولا يشهدون لمُعيَّن بعينه أنه من أهل الجنة أو من أهل النار أو أنه شهيد إلا من شهد له الدليل من كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

نسأل الله جل وعلا أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

---

(١) البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٤٩٤ -٦٠-).

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم يسر لهم البطانة الصالحة التي تدلهم على الخير وتحثهم عليه.

اللهم من أراد المسلمين بسوء فاجعل كيده في نحره، اللهم قنا وقِ المسلمين من شره.

اللهم عليك بالرافضة المعتدين، اللهم عليك بهم يا قوي يا متين.

اللهم فرِّج عن إخواننا المستضعفين في فلسطين، اللهم فرِّج عنهم وارحمهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين.

(٣٢) وجوب طاعة ولي أمر المسلمين في غير معصية الله

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن من أصول الاعتقاد التي دل عليها كلام الله تعالى وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتي سار عليها سلف هذه الأمة لهو: الطاعة لمن ولاه الله تعالى أمر المسلمين.

فهذا الأصل العظيم الذي دل عليه كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والذي ذكره السلف والأئمة في كتب العقائد، هو من الأمور العظيمة التي يستقيم بها دين الناس ودنياهم.

فمن وَلِيَ أمر المسلمين سواء كان ذلك باختيارهم له وموافقتهم عليه، أو كان ذلك عن طريق تنصيب الوالي الذي قبله، أو غلب على الناس بالسيف حتى استتبَّ له الأمر وسُمِّي أميراً أو ملكًا أو رئيسًا، فإن له حق الطاعة، ولا تصلح أحوال الناس إلا بذلك، وهذا من حكمة الله العظيمة، فإن الناس إن لم يكن لهم ولاة تسلَّط بعضهم على بعض، وتقطَّعت السبل، وتسلَّط الظلمة، وفشا الخوف، وذهب الأمن، وسُفكت الدماء واختلت الموازين في البلاد وعند العباد، فلا يصلح الناس إلا أن يكون لهم ولاة يسوسونهم.

ولذا كان من حكمة الله أن شرع لعباده ذلك، حتى في الولايات اليسيرة فقد أمر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا خرج ثلاثة في سفر أن يُؤمِّروا أحدهم(١)، فهذا العدد القليل

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٠٨)، (٢٦٠٩)، عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

الذي هو ثلاثة فما فوق إذا خرجوا في سفر يجعلون أحدهم أميراً عليهم لتنضبط أمورهم، فإنه لا استقامة لأحوال الناس إلا بذلك.

كان ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول:

لولا الأئمةُ لم تأمن لنا سبلٌ ❊❊❊ وكان أضعفُنا نهبًا لأقْوَانا

وهو كذلك فلولا الأئمة ما أمنت السبل ولا استقرت أمور الناس ولا ارتدع كثير من الظلمة الذين يُحبُّون الإجرام والإفساد، فإن من الناس من لا يَعِظُهُ القرآن ولا تعظه السنة ولكن يزجره وتعظه القوة والسلطان، فإذا ذُكِّر بالأدلة لا يتذكر ولكن إذا زُجر بالقوة من ولاة أمور المسلمين انزجر وانكف شره عن أهل الإسلام، وقد جاء عن عمر وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالا: إِنَّ اللهَ يَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ، أي يمنع ويكفُّ بالسلطان أناسا لا يمتنعون ولا ينزجرون بالقرآن.

ولذا من حكمة الله العظيمة في هذا الأمر أنه إذا جاء من ينازع وليَّ الأمر ويريد أن يُفسد على الناس أمرهم أنه يجوز قتله، جاء في صحيح مسلم (١٨٥٢ -٦٠-)، عن عرفجة بن شريح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ**» أي وأنتم مجتمعون على والٍ واحد، «**يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ**».

وجاء في صحيح مسلم (١٨٥٣ -٦١-) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الْآخِرَ مِنْهُمَا**». وذلك لتستقيم أحوال الناس، فإنه لا استقامة لأحوالهم إلا بذلك.

ولذا انظروا كلَّ بلد حصل الإخلال فيه بهذا الأمر العظيم، كيف صار أمر الناس فيه، وكيف تسلَّط الظلم في كثير من الأماكن؟ بل تسلَّط الكفرة والزنادقة والمنافقون على المسلمين، وخطبوا على المنابر، وأخذوا الأموال، وسفكوا الدماء، وقُطِّعت الطرق، واضطربت معيشة الناس؛ بسبب الإخلال بهذا الأمر العظيم.

أيها الناس، هذا الأصل العظيم من أصول أهل السنة والجماعة خالف فيه كل أهل البدع، ولذا صار من علامة أهل السنة السائرين على سبيل السلف التحقيق لهذا الأصل العظيم، جاء في "سنن الدارمي" (١٠٠) وكتاب "الشريعة" للآجري (٢٠٥٢) عن أبي قلابة عبدالله بن زيد الجرمي من أئمة التابعين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه قال: (مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ قَطُّ بِدْعَةً إِلَّا اسْتَحَلَّ السَّيْفَ)، أي كلُّ أهل البدع يستحلون الخروج ولا يرون سمعا ولا طاعة.

وجاء أيضًا في كتاب "الشريعة" للآجري (٢٠٥٧)، وكتاب "السنة" للالكائي (٢٩٠)، عن أيوب بن أبي تميمة السختياني وهو من أئمة التابعين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه كان يسمي أهل البدع الخوارج ويقول: (إِنَّ الْخَوَارِجَ اخْتَلَفُوا فِي الِاسْمِ وَاجْتَمَعُوا عَلَى السَّيْفِ). أي اختلفت أسماؤهم لكنهم متفقون على الإخلال بهذا الأصل العظيم، ولذا صار هذا من علامات أهل السنة والجماعة، وصار بعض الناس -لِجَهْلِهِ- يرميهم بالعمالة للسلاطين، أو يرميهم بالضعف والجبن والخوف، أو يرميهم بعدم الأخذ بالحقوق، وهذا بسبب جهله، وبسبب ما يراه من كثرة المخالفين في هذا الأصل، ولو علم كلام الله وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قال ذلك.

أيها الناس، لقد دلت الأدلة الكثيرة المتواترة على وجوب السمع والطاعة لمن ولاه الله تعالى الأمر ما لم يأمر بمعصية الله وما دام على الإسلام، قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [سورة النساء:٥٩]، ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [سورة النساء:٥٩] في هذه الآية يشمل الأمراء، ويدخلون فيه دخولاً أوليـًا، ويشمل أيضـًا العلماء، فأمر الله بطاعته وطاعة رسوله وطاعة من ولاه الأمر، ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [سورة النساء:٥٩].

وجاء في الصحيحين(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**». فالمعصية لهم هي في الحقيقة معصية للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمعصية للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصية لله، فإذاً، طاعتهم لا لذواتهم وأشخاصهم، بل لطاعة الله ورسوله، ولما في ذلك من المصالح التي تستقيم بها أمور الناس.

كان الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يبايع من أسلم على هذا الأمر، جاء في الصحيحين(٢) عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا

---

(١) البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥ -٣٢-).

(٢) البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩ -٤٢-).

وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ).

وجاء في الصحيحين[1] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ، وَلَا طَاعَةَ**».

وجاء في صحيح مسلم (١٨٣٦ -٣٥-) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «**عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ، وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ، وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ**».

وجاء في صحيح البخاري (٧١٤٢) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**». لو كان الأمير عبدًا حبشيًا تولى عليكم واستتب له الأمر فيجب أن تسمعوا له وأن تطيعوا.

وفي صحيح مسلم (٦٤٨ -٢٤٠-)، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ). أي عبداً قُطِّعت أطرافُه، ما دام أنه استتب له الأمر وسمي رئيساً أو أميراً أو ملكاً فإنه يجب السمع والطاعة له في غير معصية الله.

وما يأمر به الأمير أو الرئيس أو الملك لا يخرج عن ثلاثة أقسام:

---

(١) البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩ -٣٨-).

القسم الأول: أن يأمر بما أمر الله به ورسوله، كأن يأمر بالصلاة، وبصيام رمضان، أو يأمر بترك المحرمات والبعد عنها، فهذا يجب طاعته فيه من وجهين:

الوجه الأول: لأنه أَمْرُ الله ورسوله.

والوجه الثاني: لأنه مما أمر به أمير المسلمين.

القسم الثاني: أن يأمر بمعصية الله، ومخالفة الشرع، فهنا لا سمع له ولا طاعة في ذلك الأمر وتلك المعصية، ومع ذلك لا تُنزَع يدٌ من طاعته، قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لابن عمر: «**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ، وَلَا طَاعَةَ**»(١). أي في تلك المعصية.

القسم الثالث: أن يأمر بشيء لم يأمر الله به ولم ينهَ عنه، ليس طاعة في حد ذاته ولا معصية، كأن يأمر ببعض الأنظمة أو الأمور التي تستقيم بها أحوال الناس وتصلح بها حياتهم، فهنا يجب طاعته فيه؛ لما تقدم في الأدلة أنه يجب طاعته إلا إن أمر بمعصية الله سبحانه وتعالى.

فإذاً، طاعته تكون فيما إذا أمر بكل أمرٍ إلا إذا كان معصيةً لله ورسوله فلا يُسمع له ولا يُطاع في ذلك الشيء.

يجب السمع والطاعة لولي أمر المسلمين وإن ظَلَمَ وإن أَخَذَ الحقوق، لأن الخروج عليه ومنازعته الأمر أعظمُ ضرراً وأشدُّ فساداً في حياة الناس، وهذا ما أوصى به نبينا

---

(١) البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩ -٣٨-)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد تقدم.

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، جاء في صحيح مسلم (١٨٤٦ -٤٩-)، عن وائل بن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن سلمة بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ، وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ أي أشياء لنا فيها حقوق لا يعطوننا إياها ويمنعوننا منها، وحقوقهم التي لهم يسألونها، فَأَعْرَضَ عَنْهُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ لهُ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا؛ فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ**».

أي سيسألهم الله جل وعلا عن ظلمهم وأخذهم للحقوق وأما أنتم فأدُّوا الحقوق التي عليكم ولا تنزعوا يداً من طاعتهم.

وجاء في الصحيحين عن أسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [1]، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً**». والأثرة هي الاستئثار بالأمور، أي يستأثر بالأمور والمصالح له ولمن يقرب منه دون سائر الناس، ثم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موصيا للناس إذا هم وجدوا ذلك: «**فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**».

فلم يقل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نازعوهم، أو اخرجوا عليهم ليردوا حقوقكم، وذلك لأن الضرر سيكون أعظم، ولكن قال: «**اصْبِرُوا**»، ثم بشَّر الصابرين بقوله: «**حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**». وهذه بشارة أن من صبر على ظلم الولاة لقي النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على الحوض.

---

(١) البخاري (٧٠٥٧)، ومسلم (١٨٤٥ -٤٧-)، وجاء عن جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

كذلك يجب السمع والطاعة لهم وإن عملوا بمعصية الله ما لم تبلغ هذه المعصية حدَّ الكفر، جاء في صحيح مسلم (١٨٥٤ -٦٣-)، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ**». تعرفون بعض أفعالهم وتنكرون بعضها. ثم قال: «**فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «**لَا، مَا صَلَّوْا**».

وجاء في صحيح مسلم (١٨٥٥ -٦٦-)، عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ**»، أي: تدعون لهم، ويدعون لكم. «**وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**».

فإذا رأيته يعصي الله، ويعمل المحرمات، التي لم تبلغ حدَّ الكفر، فلتكره ما يأتي من معصية الله، اكرهْ ما يأتي من المعاصي فلا تُعِنْهُ عليها، ولا تصدقه فيها، ولكن لا تنزعن يداً من طاعة.

فالمسلم إذا رأى المنكر والمعصية عند ولي الأمر فلا يكون ذلك مبرراً له في نزع يد الطاعة.

وجاء في الصحيحين[١]، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**».

لكن لا يُعِنْهُ على المعاصي، ولا على ظلم الناس ومخالفة أمر الله، جاء في مسند أحمد (١٥٢٨٤)، وسنن الترمذي (٢٢٥٩)، عن كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَهُوَ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الْحَوْضَ**».

فإذاً، السمع والطاعة واجب له، ولا تُنزع اليد من طاعته، لكن لا يطاع في معصية الله ولا يعان على معصية الله، ومن أعانه على معصية الله فقد تُوعِّد بالوعيد الشديد.

جاء في صحيح مسلم (٢١٢٨ -١٢٥-)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ. وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**».

---

(١) البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩ -٥٥-).

قوم بأيديهم سياط كأذناب البقر، أي: كذيول البقر، يضربون بها الناس، قال أهل العلم: هؤلاء هم أصحاب الشرط الظلمة الذين يظلمون الناس ويعينون الولاة على ظلمهم.

فهم كما قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا**».

ومع كونه لا يطاع في المعصية، ولا يعان على الظلم، فإن ذلك لا يبرر نزع اليد من طاعته، لِمَ؟ لأن نزع اليد من طاعته فسادُه أعظمُ وشرُّه أكبرُ، فكونه يقتصر على ظلم في مال، أو سجن، أو أذية، هذا أهون من غيره، لأنه إذا نُزعت اليد من طاعته، أهلك الناس، وقتلهم، ودمَّر بلدانهم، وسفك دماءهم، وهذا حال كثير من الولاة ممن لا يتقي الله في المسلمين.

فلذا أمر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بلزوم طاعتهم، وإن بدر منهم ذلك، ما لم يبلغ حد الكفر.

ومن طاعتهم ومما سار عليه السلف في ذلك، الصلاةُ خلفهم، فإن أولياء الأمور كانوا هم أئمة المسلمين في خطب الجمعة وفي الصلوات، حتى قال السلف: من ترك الصلاة خلف الأئمة -أي الأمراء- فهو مبتدع.

ومن طاعتهم الجهاد معهم، إذا أقاموا الجهاد، ونادوا لجهاد الكفار، وإن كانوا غير صالحين، فيجب الجهاد معهم وتحت رايتهم، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

ومن طاعتهم الدعاء لهم، وكان السلف يعدُّون ذلك من خصائص الملتزمين بالكتاب والسنة، حتى قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إذا رأيت الرجل يدعو للسلطان فاعلم أنه صاحب سنة، وإذا رأيته يدعو عليه فاعلم أنه صاحب بدعة).

وكان الفضيل بن عياض، والإمام أحمد، وغيرهم من السلف يقولون: لو نعلم أن لنا دعوة مستجابة لجعلناها للسلطان.

قيل للفضيل بن عياض وكيف ذاك؟ دعوةٌ مستجابة تجعلها له، ولا تجعلها لنفسك، قال: إن جعلتُها لنفسي، فإن مصلحتها لا تجاوزني، وأنتفع بها أنا فقط، وأما إن جعلتُها للسلطان فإن الله تعالى يصلحه وإذا أصلحه الله صلح العباد والبلاد. فلذا من السنة الدعاء لهم بالصلاح والهداية والإعانة والتوفيق.

ومن طاعتهم النصيحةُ لهم، ومن كان عنده نصيحة لهم ينصح لهم سِرًّا فيما بينه وبينهم؛ كما أرشد إليه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكما سار عليه السلف.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، إن مما يخالف هذا الأصل العظيم: لهو الخروج على ولاة الأمور ومنابذتهم، وقد حذَّر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من ذلك كثيراً، ففي الأحاديث السابقة حديث عوف بن مالك لما ذكروا الأئمة الذين يكرهونهم، قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ -أي نخرج عليهم- قَالَ: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**».

فلا يجوز الخروج عليهم، إلا كما ورد في حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ)[1].

فلا يجوز منازعتهم إلا بهذه الشروط:

الشرط الأول: إذا رأيتم منهم الكفر. والشرط الثاني: أن يكون هذا الكفر بواحا أي مُعلنا به لم يكتموه ولم يتستروا به، بل أعلنوه وفعلوه جهراً. والشرط الثالث: أن يكون

---

(١) البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩ -٤٢-).

عندكم من الله برهان أي دليل من كلام الله وكلام رسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن هذا الفعل أو هذا القول كفر؛ فهنا يجوز لكم منابذتهم، بشرط رابع دلَّت عليه أدلة أخرى: وهو القدرة على خلعهم وإبدالهم بأناس صالحين.

فهذه شروط جواز منازعة ولاة الأمر، إذا كفروا بالله فلم يصيروا من أهل الإسلام، وأعلنوا هذا الكفر وأظهروه، وكان هذا الكفر كفراً يدل عليه الدليل من كلام الله وكلام رسوله على أنه كفر، وكان عند الذين يريدون منازعتهم القدرة على إبعادهم عن ولاية المسلمين واستبدالهم بأناس صالحين، أما إذا لم توجد عندهم قدرة، وكانوا في ضعف، فإن الواجب عليهم أن يصبروا حتى يُفرَّج الله عنهم، لأنهم إذا خرجوا عليه في هذه الحال سيتسلط عليهم، ويبيد المسلمين، ويدمر مساجدهم، ويذهب بأمنهم واستقرارهم؛ فهذا لا فائدة فيه، ولا مصلحة منه، بل الصبر في هذا الحال هو الواجب حتى يستريح بَرٌّ أو يُستراح من فاجر.

كما أمر الله نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين بالصبر في مكة، وكانوا مستضعفين، كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرى أصحابه يُعذَّبون أمام عينه، لا يستطيع أن يفعل لهم شيئًا، فأمرهم أن يخرجوا إلى الحبشة، ويهاجروا من مكة، وهكذا كان يرى من يؤذيه فيقول الله له: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [سورة البقرة:١٠٩].

أنتم الآن في ضعف، لا قدرة عندكم، اصبروا حتى يأتي الله بأمره، يأتي الله بالنصر، يأتي الله بالقوة، هذا هو ما دل عليه الدليل، لا ما تمليه على الإنسان حماساته، أو انفعاله، أو عاطفته بدون التقيُّد بكلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإذاً، يحرم

الخروج عليهم ومنازعتهم الأمر إلا بما سبق ذكره في الأدلة التي ذكرها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

واعلم أيها المسلم أن الخروج عليهم ليس مقصوراً على **الخروج بالسيف**، نعم هو من أشد الخروج، ومن أعظم الخروج، الخروج عليهم بالسيف وقتالهم.

ومن الخروج: **الخروج باللسان**، بأن يطلق لسانه في ذمهم وذكر مساوئهم على الملأ ونشر مثالبهم، وفي حث الناس على الثورة عليهم، والخروج ضدهم، هذا عدَّه السلف من الخروج.

بل عدُّوا من الخروج، **الخروج بالقلب**، وهو أن يعتقد بقلبه عدم طاعتهم، وجواز الخروج عليهم، وعدم السمع والطاعة لهم وهم لا يزالون على الإسلام وهو يعتقد ذلك، فهذا أيضاً من الخروج عليهم.

ولا يجوز للمسلم أن يخرج عليهم، بل عليه أن يلتزم بكلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما تقدم ذكره.

أيها الناس، إن هذا الأمر العظيم كما تقدم ذكره صار فارقاً بين السلف وأتباعهم وبين أهل البدع، فلا تجد مبتدعاً إلا وهو يُخِلُّ بهذا الأمر، ولا تجد متبعاً للسلف إلا وهو مقيم لهذا الأمر.

وأيضاً ينبغي أن يُعلم أن أمر الله جل وعلا ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الأمر كان لمصلحة الناس واستقامة حياتهم وحفظ أمنهم واستقرارهم وبلدانهم، فإن المسلمين إذا تفرقوا وأهانوا أئمتهم ضعفوا وسلط الله تعالى عليهم أناساً من الكافرين أو

الزنادقة المنافقين يسومونهم سوء العذاب، وهذا ملاحظ عبر التاريخ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلِهَذَا كَانَ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ الْخُرُوجَ عَلَى الْأَئِمَّةِ وَقِتَالَهُمْ بِالسَّيْفِ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ ظُلْمٌ كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الْمُسْتَفِيضَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّ الْفَسَادَ فِي الْقِتَالِ وَالْفِتْنَةِ أَعْظَمُ مِنَ الْفَسَادِ الْحَاصِلِ بِظُلْمِهِمْ بِدُونِ قِتَالٍ وَلَا فِتْنَةٍ، فَلَا يُدْفَعُ أَعْظَمُ الْفَسَادَيْنِ بِالْتِزَامِ أَدْنَاهُمَا، **وَلَعَلَّهُ لَا يَكَادُ يُعْرَفُ طَائِفَةٌ خَرَجَتْ عَلَى ذِي سُلْطَانٍ، إِلَّا وَكَانَ فِي خُرُوجِهَا مِنَ الْفَسَادِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي أَزَالَتْهُ**) [1].

كان بعض السلف إذا سُئل عن ذلك يقول: (اصبروا حتى يستريح بَرٌّ أو يُستراح من فاجر)، حتى لو كان فاجراً ظالماً اصبروا حتى يريحكم الله سبحانه وتعالى منه.

وليعلم الناس أن الله تعالى يولِّي عليهم على حسب أحوالهم، فإن كانوا صالحين فسيولي الله تعالى عليهم الصالحين، وإن كانوا غير صالحين فسيولي الله تعالى عليهم من يكون من أمثالهم، (فكيفما تكونوا يُولَّ عليكم)، وإن رأيتم من ولاتكم ظلماً وجوراً، فلا تلجؤوا إلى الخروج عنهم، بل أصلحوا أحوالكم فإن الله تعالى يصلحهم لكم.

وبعض أمراء بن أمية حين قال له بعض الناس: لِمَ لا تكون مثل أبي بكر وعمر؟ قال: كونوا أنتم مثل رعية أبي بكر وعمر، وسأكون أنا مثل أبي بكر وعمر.

---

(١) "منهاج السنة" (٣/ ٣٩١).

وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال له بعض الخوارج: لستَ كأبي بكر وعمر، قال: أبو بكر وعمر كان رعيتهم من أمثالي، وأما أنا فرعيتي من أمثالك.

فكيف ما يكون الناس يولي الله تعالى عليهم، فإذا رأوا عدم استقامة في ولاتهم، وظلماً لهم، عليهم أن يقيموا دين الله في أنفسهم، وأن يستقيموا على طاعة الله، وسيقيم الله تعالى لهم ولاتهم، ويعطفهم عليهم، ويصلحهم لهم، وهذا أمرٌ ملاحظٌ عبر التاريخ.

فيا أيها الناس، على المسلمين أن يحققوا هذا الأمر العظيم، وأن لا ينزعوا يداً من طاعة، وأن يكونوا كما أمر الله سبحانه، وأمر رسوله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وإلا فإنه يحصل الفساد، والشر الكثير للناس، ويتسلط الظلمة والمجرمون، وتفسد أمور الناس وأحوالهم.

بل قد يفسد دينهم ودنياهم، ويسلط الله تعالى عليهم من يفسد دينهم ودنياهم، وبسبب ذلك يضعف المسلمون، وإذا ضعف المسلمون وضعف ولاتهم وأهانوهم فما هو المآل؟ يتسلط عليهم الكفار، ويحصل لهم الضرر العظيم، ولذا قال النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**من أهان السلطان أهانه الله**»(١). فكلُّ من يريد إهانة السلطان في الناس، يسلط الله تعالى عليه من يهينه في الناس، لأن هذا الأمر تُحفظ به قوة المسلمين وعزتهم وكرامتهم.

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٢٤)، عن أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وصححه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ.

نسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم آمنا في أوطاننا، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم يسر لهم البطانة الصالحة التي تدلهم على الخير وتحثهم عليه.

اللهم ولِّ علينا خيارنا، وخذ بنواصيهم إلى الخير يا رب العالمين.

اللهم صل على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



(٣٣) الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن من أصول الاعتقاد التي دلَّ عليها كلام الله عز وجل وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأجمع عليها سلف الأمة رضي الله تعالى عنهم: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

فقد دلت الأدلة الكثيرة من كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الإيمان قول وعمل، قول القلب وقول اللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، كلُّها من الإيمان.

فالنطق بكلمة التوحيد إيمان، والذكر لله سبحانه وتعالى بتلاوة القرآن أو التسبيح والتحميد والتكبير كله من الإيمان، وهكذا ما ينطق به اللسان من أمرٍ بمعروف، ونهيٍ عن منكرٍ، وتعليمٍ للعلم كله من الإيمان، وهكذا اعتقادات القلب، وأعمال القلب من التوكل على الله تعالى، والخوف منه، والخشية له، والرجاء له، كلها من الإيمان.

وهكذا أعمال الجوارح من الإيمان، فالصلاة إيمان، والحج إيمان، والصيام إيمان، والركوع والسجود والطواف بالبيت وكل الأعمال الصالحة من الإيمان.

وهذا الذي سار عليه السلف وخالفوا فيه أهل البدع والضلال الذين أخطأوا في هذا الباب العظيم.

فأخطأت فيه الخوارج، فكفَّروا من لم يكفِّره الله ورسوله، وحكموا عليهم بسلب الإيمان لإخلالهم -أي الخوارج-، بهذا الأصل العظيم.

وهكذا خالف فيه أهل الإرجاء الذين حكموا بالإيمان الكامل لأهل الكبائر، والذنوب والمعاصي، وجعلوا الإيمان في القلب، ولا يضر معه عمل، حتى قال

الواحد منهم: إن إيمان الفاعل للكبائر كإيمان الأنبياء والرسل والملائكة، ولا يرون في ذلك فرقًا، وهذا كله ضَلال.

والذي سار عليه السلف أن الإيمان قول وعمل، وأنه يزيد وينقص، وقد دلت الأدلة الكثيرة من كلام الله وكلام رسوله على ذلك. فمما يدل على أن الإيمان قول وعمل:

- قول الله سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [سورة المؤمنون:١-٩].

كل هذه الأعمال من الإيمان، افتتحها الله بقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [سورة المؤمنون:١]، ثم بيَّن من هم هؤلاء المؤمنون، فوصفهم بهذه الصفات، خشوعهم في الصلاة، وإعراضهم عن اللغو، وفعلهم للزكاة، وحفظهم للفروج، ورعايتهم للأمانة والعهد، ومحافظتهم على الصلاة، كل هذه الأعمال من الإيمان.

- وقال الله سبحانه: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ﴾ [سورة البقرة:١٧٧]، إلى آخر الآية، فكل هذه الأعمال المذكورة في هذه الآية من الإيمان، لأن الله تعالى جعلها من البر وهو الإيمان.

والعمل في الإيمان له منزلة عظيمة، ولذا نجد في القرآن في آيات كثيرة أن الله تعالى يعطف العمل على الإيمان، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في آيات كثيرة من القرآن؛ ليبين أهمية العمل، فهو من باب عطف الخاص على العام لتتبين منزلة هذا الخاص في ذلك العام، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [سورة البقرة:٢٣٨].

فالصلاة الوسطى وهي العصر داخلة في الصلوات، ولكنه عطفها عليها لبيان منزلتها، ومثله قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤﴾ [سورة القدر:٤]. فالروح وهو جبريل داخل في الملائكة ولكنه عطفه عليهم لبيان منزلته، فكذلك عَطْفُ الأعمال الصالحة على الإيمان هو لبيان منزلتها في الإيمان وإلا فهي داخلة فيه، فمن أعظم الإيمان العمل الصالح، والعمل الصالح كله إيمان.

جاء في الصحيحين[1] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**». فسواء كان قولاً باللسان كقول:

(١) البخاري (٩)، ومسلم (٣٥-٥٨-).

لا إله إلا الله، أو كان عملاً بالجوارح: كإماطة الأذى عن الطريق، أو كان عملاً قلبياً: كالحياء، كلها من شُعَب الإيمان.

وجاء في الصحيحين[١] أيضاً عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**». فكل هذه الأعمال من الإيمان، إكرام الضيف، وقول الخير، والصمت عن الشر، وعدم أذية الجار، كلها إيمان.

وجاء في الصحيحين[٢] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن وفد عبد القيس قدموا على النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فرحب بهم، ثم: «**أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ**»، ثم قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسًا مِنَ الْمَغْنَمِ**». ففسَّر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الإيمان بهذه الأعمال، فهذا هو الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وهو الذي سار عليه السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين.

---

(١) البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧ -٧٤-).

(٢) البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧ -٢٤-).

وعلَّق البخاري في صحيحه[١] عن عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كَتَبَ إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ: (إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ وَشَرَائِعَ وَحُدُودًا وَسُنَنًا، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ). فالإيمان له فرائض، وشرائع، وحدود، وسنن، وكلها إيمان.

وعلق أيضا[٢] عن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه كان يقول لبعض أصحابه: (اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً). نؤمن ساعة، أي: نذكر الله، فذِكْرُ الله جل وعلا من الإيمان.

فالأقوال الصالحة، والأعمال الصالحة، والاعتقادات الصحيحة، كلها من الإيمان.

وهذا الإيمان يتفاوت عند المؤمنين، وليسوا فيه سواء على درجة واحدة، بل يختلف من واحد إلى آخر، منهم من يزيد إيمانه، ومنهم من ينقص إيمانه، وأعظم الناس إيمانًا أنبياءُ الله ورسلُه، وهكذا من سار على طريقتهم يكون من أقوى الناس إيمانًا.

الإيمان يزيد بطاعة الله وينقص بمعصية الله، الإيمان يزيد كلما زاد العبد من العلم والطاعة والخير، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [سورة الفتح:٤].

---

(١) بَابُ الْإِيمَانِ وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ**...».

(٢) المرجع السابق.

وقال الله سبحانه: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ [سورة التوبة:١٢٤]، فالقرآن يزيد المؤمنين إيمانًا.

وقال الله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [سورة المدثر:٣١].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [سورة آل عمران:١٧٣].

وقال الله سبحانه: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ٢٢﴾ [سورة الأحزاب:٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ [سورة محمد:١٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾ [سورة مريم:٧٦].

فالإيمان يزيد في قلوب أصحابه على قدر قربهم من الله تعالى، ويتفاوت الناس فيه، فمنهم من يستكمل الإيمان، ومنهم من يكون أدنى من ذلك.

جاء في سنن أبي داود (٤٦٨١)، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ؛ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**». الذي

يحب إذا أَحبَّ أحداً من الناس لله، وإذا أبغض أحداً يبغض لأجل الله لا لدنيا، ويوالي أي: يتقرب من شخص ويحبه لله، ويعادي لله، فهذا استكمل الإيمان.

وفي الصحيحين[1] عن أنس، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».

فهذه الثلاث إذا وُجدت في شخصٍ يجد حلاوة الإيمان ويستكمله.

وجاء في صحيح مسلم (٣٤ -٥٦-)، عن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**». فالإيمان يزيد في قلوب أصحابه حتى يجدوا له حلاوةً وطعماً.

وقد يَضْعُفُ الإيمان حتى يكون في أدنى درجاته، والإيمان يضعف بمعصية الله، جاء في صحيح مسلم (٤٩ -٧٨-)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**». هذا إيمان ناقص ضعيف أن ترى المنكر

---

(١) البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣ -٦٧-).

وتُغَيِّرَه بقلبك فقط، وأعلى منه رتبة أن تغيره بيدك إن استطعت، وأدنى من هذه الرتبة أن تغيره باللسان، فإن لم تستطع فتغيره بالقلب أي: تكره ذلك المنكر ولا ترضاه.

وجاء في حديث ابن مسعود في صحيح مسلم (٥٠ -٨٠-)، بنحو هذا الحديث وفيه: «**وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**». فقد يضعف الإيمان عند صاحبه ضعفاً شديداً، وقد يكون بين ذلك.

وجاء في الصحيحين[1] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**».

ومعنى هذا الحديث أي: لا يفعل هذه الأفعال وهو مؤمن كامل الإيمان، إنما يفعل هذه المعاصي إذا ضعف إيمانه، فلا يمكن أن يزني الزاني وهو مؤمن كامل الإيمان، ولا يسرق السارق، ولا يشرب الخمر، ولا ينتهب نهبةً وهو مؤمن كامل الإيمان، إنما يفعل ذلك بسبب نقص إيمانه.

وجاء في صحيح مسلم (٧٩ -١٣٢-)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبنحوه في صحيح البخاري (٣٠٤)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطب النساء فقال: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ**

---

(١) البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧ -١٠٠-).

إِحْدَاكُنَّ». ونقص الدين، أي: نقص الإيمان، وهذا نقص غير اختياري ولا حيلة لها فيه.

قَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ، وَلَمْ تَصُمْ؟**» قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا**».

إذاً، تَرْكُ الطاعات يُنقِص الإيمان، والإكثار من الطاعات يزيد الإيمان، فالإيمان قد ينقص عند أصحابه حتى يكون إيمانًا ضعيفًا، ومع ذلك لا يخرج من الإيمان، وإن وُجدت المعصية لا تُخرجه من الإيمان خروجًا كليًا.

فالله تعالى قد أثبت الإيمان مع وجود الذنوب قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ [سورة الحجرات:٩]، فأثبت لهم الإيمان مع وجود الاقتتال، فالذنب لا يُخرِج من الإيمان كما قالت الخوارج: إن من أذنب ذنبًا خرج من الإيمان. بل نقول: إن من أذنب ذنبًا ينقص إيمانه، إلا إذا كان هذا الذنب كفراً بالله فإنه يُخرج صاحبه من الإيمان.

فهذا ما دلت عليه الأدلة الصحيحة الصريحة من أن الإيمان قول وعمل، وأنه يزيد وينقص.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، إذا علمنا ذلك أن الإيمان يزيد وينقص، فإن لزيادة الإيمان أسباباً كثيرة، من هذه الأسباب:

١- **العمل الصالح بكل أنواعه**، سواء كان باللسان أو بالقلب أو بالجوارح، فكل الأعمال الصالحة تزيد الإيمان، وتركُ الأعمال الصالحة يُنقِص الإيمان، ولذا لما كانت المرأة تأتي عليها أيام لا تصلي فيها ولا تصوم، نقص من دينها بقدر ذلك النقص الذي في عبادتها، مع أن هذا نقصٌ لا اختيار لها فيه ولا حيلة لها في دفعه، بل هي مأمورةٌ شرعاً أن تترك الصلاة والصيام في أيام حيضها، ومع ذلك كان له أثر في نقص إيمانها.

فكيف بمن يترك العبادات والطاعات ولا عذر له في ذلك، هذا يُضعِف إيمانه إضعافاً شديداً، بل قد يكون بعض الطاعات تركها كفر يخرجه من الإيمان بالكلية، كترك الصلاة فإنه مخرج من الإيمان بالكلية، فقد قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»[(١)].

---

(١) رواه مسلم (٨٢-١٣٤-).

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(١).

فالإيمان يزيد بطاعة الله، كلما ازداد العبد من الطاعة كلما ازداد الإيمان، حتى يذوق حلاوته ويجد طعمه، وحتى يستكمل الإيمان، فيكون صاحبَ إيمان كامل بطاعته لله سبحانه وتعالى.

٢- كذلك يزيد الإيمان بتلاوة كلام الله وتدبُّره وتفهُّم معانيه، فإن العبد كلما ازداد علمًا من كلام الله وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كلما ازداد إيمانًا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة التوبة:١٢٤]، كلما نزلت سورة من القرآن، ازداد المؤمنون بها إيمانًا.

قال جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا)(٢)، فتعلُّم القرآن والعلم يزيد الإيمان.

ولذا تجد أهل العلم العاملين بعلمهم أقوى الناس إيمانًا، وذلك لأن الإيمان يزيد بمعرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته وما له من الكمال، فإن العبد كلما عرف ربه، كلما

---

(١) رواه أحمد (٢٢٩٣٧)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩) عن بريدة بن الحصيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه ابن ماجه (٦١) بإسناد صحيح، وقوله: (حزاورة) جمع حَزَوَّر، وهو الغلام إذا اشتد وقوي وحزم.

عظم إيمانه به، كلما علم ما لله جل وعلا من الكمال والعظمة والجلال كلما ازداد الإيمان في قلبه، فالإيمان يزيد ويعظم في القلوب بمعرفة الله.

٣- كذلك يزيد بالتوكل على الله، كلما فوَّض العبد أمره إلى الله وتوكل عليه ووثق به كلما زاد إيمانه، ولذا انظر المؤمنين لما أُخبروا أن أهل الكفر قد تجمعوا عليهم، ازداد إيمانهم، مع أن هذا موقف قد ينقص فيه الإيمان، ويضعف فيه بعض الناس، إذا علموا أنه يتجمع عليهم الأعداء، ولكن المتوكل على الله بالعكس من ذلك، هذه المواقف تزيد إيمانه.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [سورة آل عمران:١٧٣]، وقال تعالى في شأن غزوة الأحزاب: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ﴾ [سورة الأحزاب:٢٢]، تجمعوا عليهم من كل مكان وحاصروا المدينة، ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ٢٢﴾ [سورة الأحزاب:٢٢]، فهذه الشدائد زادتهم إيمانًا، والسبب في ذلك أنهم متوكلون على الله معتمدون عليه، فكلما توكل العبد على ربه وفوض أموره إليه كلما زاد إيمانه، وكلما تعلق بالخلق ونسي التعلق بالله كلما ضعف الإيمان.

٤- كذلك يزيد الإيمان بتحقيق الإيمان بالمُغيَّبات، كلُّ شيء أخبر الله به، عليك أن تؤمن به، وبذلك يزيد إيمانك، ولذا ذكر الله تعالى أن الذين يؤمنون بالغيب هم

المؤمنون حقـًا، ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [سورة البقرة:٢-٣]، أما الذي يؤمن بما يراه فهذا يشترك فيه كل الناس، لكن المؤمن هو الذي يصدق بالمغيبات مهما كانت.

ولذا انظر أهل الإيمان لما صدَّقوا بخبر الله أن خزنة جهنم تسعة عشر من الملائكة، هذا العدد كان فتنة للكفار حيث قالوا: إذا كانوا تسعة عشر إذاً نغلبهم ونخرج من النار، وأما المؤمنون فازدادوا إيمانـًا، قال تعالى في النار: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [سورة المدثر:٣٠] ثم قال: ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [سورة المدثر:٣١]، فكان عدد خزنة النار فتنة للكفار، ﴿لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [سورة المدثر:٣١]، أما المؤمنون الذين آمنوا بالغيب وصدَّقوا به، فازدادوا بذلك إيمانـًا، وهذه علامة المؤمن أنه يؤمن بالغيب.

والنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حين أُسري به، أصبح يُخبر الناس أنه أسري به في ليلة واحدة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عُرِج به إلى السماء، ثم رجع إلى مكة، وكان ممن وجده وأخبره أبو جهل، فاستغرب أبو جهل، وكذّب بذلك، ثم قال: أرأيتَ إذا دعوتُ قومك تخبرهم بما أخبرتني، يخاف أنه ينكر، قال: نعم، فدعاهم أبو جهل، فأخبرهم الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فكذَّبوا به، بخلاف أهل الإيمان فإنهم حين أُخبروا بذلك آمنوا به وصدَّقوا.

وهذا هو الفارق بين أهل الإيمان وأهل الكفر: التصديقُ بما جاء في الكتاب والسنة من الأخبار الغيبية، فحقِّق إيمانك بالغيب، في كل ما أخبر الله تعالى به، مما يكون في القبر، ومما يكون في يوم القيامة، ومما يكون في الجنة والنار، ومما يكون من أشراط الساعة، ومما يتعلق بخبر الله عن نفسه، وعن ملائكته، وعما هو غائب عنك، فإن ذلك من أعظم ما يزيد الإيمان.

والحاصل من ذلك أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، أعظم ما يزيد الإيمان هو الطاعة، وأعظم ما ينقصه ويضعفه هو المعاصي وإذا بلغتْ هذه المعاصي حدَّ الكفر، أذهبت الإيمان بالكلية.

نسأل الله جل وعلا أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم يسر لهم البطانة الصالحة التي تدلهم على الخير وتحثهم عليه.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين.

والحمد لله رب العالمين.

(٣٤) الإسراء والمعراج

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن من أصول الاعتقاد التي يجب على المسلم أن يحققها: الإيمانَ بالغيب.

والغيب: هو كل ما غاب عنك ولم تشاهده، فيجب على المسلم أن يؤمن بكل ما أخبر الله به وأخبر به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمور الغيب، سواء كان فيما يتعلق بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، أو ما يتعلق بخلقه، بما كان وبما سيكون من أمور الغيب، يجب على كل مسلم أن يؤمن به.

وهذا هو الإيمان الحقيقي، وبهذا يُختبَر إيمان الناس، فإن الأشياء المشاهدة التي تُرى يؤمن بها كل الناس ويُصدِّقونها، ولكن المؤمن يتبين إيمانُه بالإيمان بالمغيبات، ولذا أثنى الله تعالى على المؤمنين المتقين بذلك، فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [سورة البقرة:٢-٣].

ويدخل في الإيمان بالغيب أمور كثيرة مما تقدم الحديث عنه، فأركان الإيمان كلها من الإيمان بالغيب، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر، كله من الغيب.

ويدخل في الإيمان بالغيب، الإيمانُ بما أخبرنا الله ورسوله مما كان ووقع في الأزمنة الماضية التي قال الله تعالى لنبيه فيها: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ﴾ [سورة هود:٤٩].

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة إبراهيم:٩].

وهكذا يدخل في الإيمان بالغيب، الإيمانُ بكل ما أخبرنا الله به ورسوله مما سيكون في المستقبل، سواء ما يكون في اليوم الآخر، أو ما يكون من أشراط الساعة، أو ما يكون بين يدي ذلك، مما هو غائبٌ عنا لا نراه، فيجب الإيمان والتصديق به كما جاءنا في الأدلة من كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وههنا أمور من أمور الغيب المهمة التي قد حصل فيها الخطأ عند طوائف من الناس، ننبه عليها بإذن الله سبحانه وتعالى، ومن أول هذه الأمور التي يجب الإيمان بها وهي من الغيب:

الإيمان بالإسراء والمعراج، والإسراء معناه في اللغة: السير ليلاً، والمراد به في الأدلة: سير جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليلاً.

والمعراج: يطلق في الأصل على الآلة التي يُعرج بها وهي السُّلَّم، والمراد بالمعراج في الأدلة: صعود جبريل عليه السلام بنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المسجد الأقصى إلى السماوات.

فهما أمران، إسراء ومعراج، الإسراء كان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والمعراج كان من المسجد الأقصى إلى السماوات، ثم رجع النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السماوات إلى المسجد الأقصى، ثم رجع من المسجد الأقصى إلى مكة.

وهذا هو الذي دلت عليه الأدلة، وأخبرنا الله جل وعلا أنه أسرى بنبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لحكمة عظيمة، وهي أن يُرِيَهُ من آياته العظيمة، وهكذا جاء في الأدلة أنه أَسرى به لِيَفْرِضَ عليه ما افترض من العبادات.

قال الله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [سورة الإسراء:١]، وفعلاً أراه الله تعالى من آياته العظيمة التي وصفها بأنها آيات كبرى، ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [سورة النجم:١٨].

وكان هذا في السماء حين علَّمه جبريل، وحين أوحى الله إليه ما أوحى، كما قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾﴾ [سورة النجم:٥-٧]، أي بالسماء، ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ [سورة النجم:٨-١١].

ثم قال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [سورة النجم:١٦-١٨]، رأى الجنة، ورأى النار، ورأى من يُنعَّم في الجنة ويُعذَّب في النار، رأى السماوات وما فيها من العظمة، رأى سدرة المنتهى، رأى البيت المعمور، رأى الأنبياء عَلَيْهِمِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام، رأى من رأى من الملائكة، رأى بيت المقدس، وما فيه من الآيات، رأى من آيات الله الكبرى شيئًا كثيراً، وفرض الله سبحانه وتعالى عليه

الصلوات، وهذه خصوصية للصلاة فإن العبادات كلها فُرِضَت في الأرض إلا الصلاة فُرِضَت في السماء.

قال أهل العلم: وهذا يدل على عظمتها وعلو مكانتها في العبادات، حتى إن فرضها كان في أعلى ما يكون، فوق السماء السابعة.

فأُسري بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأصبح يُخبر الناس بذلك، فازداد المؤمنون إيمانًا بهذا الخبر، وازداد الكافرون كفراً وتكذيبًا وإنكاراً.

جاء عند الإمام أحمد (٢٨١٩) عن عبدالله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ، فَظِعْتُ بِأَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ**». أي الكفار يكذبونه إذا أخبرهم به، فإنهم قد كانوا يكذِّبونه في أدنى من ذلك، فكيف بهذا الخبر: في ليلة واحدة ذهب إلى بيت المقدس، ثم عُرج به إلى السماوات، ورجع إليهم في نفس الليلة.

فَقَعَدَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَزِلًا حَزِينًا. قَالَ: فَمَرَّ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ أُسْرِيَ بِيَ اللَّيْلَةَ**». قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «**إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ**». قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَلَمْ يُرِهِ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِذَا دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ.

أبو جهل من حيلته وكيده يظن أن هذه هي الفاضحة للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأراه أنه لا يكذبه مخافة أنه إذا دعا قومه سينكر، فأظهر له الموافقة، ثم إنه قال له:

أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ، تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَعَمْ**»، فَقَالَ: هَيَا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ. قَالَ: فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ، وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا. قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي أُسْرِيَ بِيَ اللَّيْلَةَ**». قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «**إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ**». قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ -أي مستهزئ-، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ زَعَمَ.

قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ؟ -وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ وَرَأَى الْمَسْجِدَ- فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ -أي أصف المسجد الأقصى-، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ**»، قَالَ: «**فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ، حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ -أَوْ عَقِيلٍ- فَنَعَتُّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**».

وهذه آية من آيات الله أنه أُحضِر له بيت المقدس إلى مكة أي في رؤيته فوضع دون دار عقيل، قَالَ: «**فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ، فَوَاللهِ لَقَدْ أَصَابَ**».

وجاء في الصحيحين عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَا اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠ -٢٧٦-).

فازداد المؤمنون إيمانًا بهذه الحادثة، وأن هذا هو رسول الله حقًا، إذ حصلت له هذه الآية العظيمة في ليلة واحدة، وازداد الكافرون كفراً وتكذيبًا واستهزاءاً، إذ قالوا: كيف يكون؟! نحن نسير إلى بيت المقدس في أيام أو أسابيع، وهو في ليلة يذهب ويرجع، ويصعد إلى السماوات، ويحصل له كل ما حصل!؟ فازداد كفرهم وتكذيبهم، وهذا هو الفارق بين أهل الإيمان وأهل الكفر، الإيمان بالغيب.

أمْرٌ أخبر الله به وأخبر به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واجب أن تُسلِّم وأن تؤمن وأن تصدق، ولا مجال للعقول في شيء أخبر الله به أو أخبر به الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من أمور الغيب التي لا يدركها العقل، فكل ما أخبر الله به أو أخبر به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المغيبات سواء أمر الجنة، أو أمر النار، أو أمر القبر وما فيه من نعيم أو عذاب، أو أمر رؤية الله، أو أمر الشفاعة، أو الصراط، أو الميزان، أو الحوض، أو كل ما هو غائب عنّا؛ يجب أن نصدق به، وهذا المُفَرِّق بين أهل الإيمان وأهل الكفر.

الإسراء والمعراج كان في ليلة واحدة، عند أهل العلم، أسري به إلى بيت المقدس، ثم عُرِج به إلى السماوات.

والإسراء والمعراج كان قبل هجرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس في هذا خلاف بين أهل العلم أنهما قبل الهجرة، أي ولا يزال في مكة قبل أن يهاجر إلى المدينة.

ولكن اختلفوا متى كان بالتحديد؟ فقيل: قبل الهجرة بستة أشهر، وقيل: قبل الهجرة بسنة، وقيل: قبل الهجرة بستة عشر شهراً، وقيل: قبل الهجرة بثلاث سنين،

وقيل: قبل الهجرة بخمس سنين، والشاهد منه أن الإسراء والمعراج كان قبل أن يهاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة.

الإسراء والمعراج كان في اليقظة ولم يكن مناماً -أي رؤيا كما يقوله بعض أهل الضلال-، بل كان يقظةً وهو مستيقظ حقيقةً ركب على تلك الدابة التي أُتي بها إلى بيت المقدس، ثم أخذ جبريل بيده وصعد به السماوات.

الإسراء والمعراج كان بروحه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبجسده، لأن بعضهم يقول: كان بالروح فقط، روحه التي أسري بها وعُرِج بها، وأما جسده ففي مكة. وهذا غير صحيح، فالله جل وعلا يقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [سورة الإسراء:١]، بروحه وجسده لأن الله قال: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ والعبد مجموع الروح والجسد، ولا يسمى الروح عبدا، ولذا فإن قريشاً كذَّبت ذلك وأنكرته، ولو كان رؤيا منامية، أو كان بالروح فقط، لما كذبته قريش، فإن قريشاً لا ينكرون الرؤى والمنامات، وهذا يدل أنه كان حقيقةً بروحه وجسده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكان في اليقظة.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، حاصل ما كان في هذه الحادثة العظيمة وهي الإسراء والمعراج على ما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١)، وأبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢)، ومالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣)، رووا حديث الإسراء، وخلاصة ما رووه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ** -أي عند الكعبة- **بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ فَأُتِيتُ، فَانْطُلِقَ بِي، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، فَشُرِحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا**».

وفي بعض الروايات: «**فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ**». من النحر الذي في أسفل الرقبة، إلى أسفل البطن، إلى الرقيق من البطن.

قال: «**فأخرج منه القلب**» «**فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ**»، «**وأعيد صدري كما كان**»، وهذه المرة الثانية التي يُشَقُّ فيها صدرُه، فقد شُقَّ

---

(١) البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢ -٢٥٩-).

(٢) البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣ -٢٦٣-).

(٣) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤ -٢٦٤-).

صدرُه وهو صبي صغير حين كان عند مرضعته حليمة السعدية، ثم شُقَّ صدرُه في هذه الحادثة بعد أن بُعث عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فطُهِّرَ هذا القلب وغُسل بماء زمزم، ثم حُشِي حكمة وإيمانًا.

قال: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ»، أي أكبر من الحمار وأصغر من البغل، «يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ»، بمعنى أنه حيث ينتهي بصره يضع حافره للخطوة الثانية، قَالَ: «فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ».

قال: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ»، وهذا كان قبل أن تُحرَّم الخمر.

قال: «ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ لَهُ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مَعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. قَالَ: فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ. ثُمَّ عُرِجَ بِي جِبْرِيلُ لِلسَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ».

قَالَ: «فَفُتِحَ، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ: عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى ابْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَا: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ. ثُمَّ عُرِجَ بِيَ السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ لَهُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مَعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. قَالَ: فَفُتِحَ، فَإِذَا أَنَا

بِيُوسُفَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ. ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفُتِحَ، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [سورة مريم:٥٧].

ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ لَهُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَفُتِحَ، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ. قَالَ: ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ لَهُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَفُتِحَ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ.

فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ هَذَا غُلَامٌ بَعَثْتَهُ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي. قَالَ: فَصُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ لَهُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قَالَ: قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَفُتِحَ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ، قَالَ: فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ».

إذاً، في السماء الأولى: آدم، وفي الثانية: يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم، وفي الثالثة: يوسف، وفي الرابعة: إدريس، وفي الخامسة: هارون، وفي السادسة: موسى، وفي

السابعة: إبراهيم، وكلهم قال له: مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح، إلا آدم وإبراهيم فقالا له: مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح، فإنه من ذريتهما.

قَالَ: «**فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**»، والبيت المعمور في السماء السابعة، وهو لأهل السماء كالكعبة لأهل الأرض.

قَالَ جِبْرِيلُ: «**هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى**»، وهذا يدل على أنهم كثرة عظيمة، كل يوم منذ خلق الله السماوات يدخل البيت المعمور سبعون ألف ملك مرة واحدة في العمر لا يدخلونه مرة أخرى، وكل دفعة من الملائكة غير الدفعة التي قبلها.

قَالَ: «**ثُمَّ رَأَيْتُ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى**»، وهي في السماء السابعة أيضًا، «**وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرَتُهَا كَالْقِلَالِ**. -قَالَ:- **ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى مَوْضِعٍ**»، أي فوق السماء السابعة، «**سَمِعْتُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ**»، أي الأقلام التي يُكتب بها في اللوح المحفوظ سمع صوتها.

قَالَ: «**فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، وَفَرَضَ عَلَى أُمَّتِي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسِينَ صَلَاةً**. -قَالَ-: **فَأَخَذْتُهَا وَرَجَعْتُ لِأَنْزِلَ إِلَى الْأَرْضِ وَقَدْ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً**. - قَالَ:- **فَمَرَرْتُ بِمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: مَا فَرَضَ عَلَيْكَ رَبُّكَ؟** -قَالَ:- **فَرَضَ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَكَ وَخَبَرْتُهُمْ**».

وجزى الله موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن هذه الأمة خير الجزاء، فهو الذي كان سببًا في التخفيف عن هذه الأمة من خمسين صلاة إلى خمس صلوات.

قَالَ: «**فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَوَضَعَ عَنِّي خَمْسًا، وَصَارَتْ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ.** -قَالَ:- **فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مُوسَى حَتَّى صَارَتْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، فَمَرَّتْ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْ التَّخْفِيفَ.** -قَالَ:- **فَقُلْتُ: إِنِّي قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي. فَنَادَى مُنَادٍ: إِنَّنِي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي -أَيْ خَمْسُ صَلَوَاتٍ-، هِيَ خَمْسٌ فِي الْعَدَدِ، وَهِيَ خَمْسُونَ فِي الْأَجْرِ،** ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [سورة ق:٢٩]».

فأخذها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقد افترضها الله سبحانه وتعالى عليه، ورجع بها إلى الأرض.

وهناك اجتمع بالأنبياء وصلى بهم، على الصحيح من أقوال أهل العلم أنه صلى بالأنبياء في بيت المقدس حين نزل من السماء.

ورأى مالكا خازن النار، وذلك أنه حين فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: «**يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قال: فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ**».

فصلى بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في بيت المقدس، قال أهل العلم: صلى بالأنبياء أي بأرواحهم، لأن أجسادهم مدفونة في الأرض، إلا عيسى بن مريم رفعه الله إلى السماء بروحه وجسده، فحين رأى الأنبياء في السماء، وحين صلى بهم إمامًا في الأرض كان ذلك لأرواحهم، تشكَّلت أرواحهم في صُوَرِ أجسادهم عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَام، إلا عيسى بن مريم فإنه رآه بروحه وجسده، فصلى بهم إماما، وبهذا ظهر فضله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على سائر الأنبياء حيث كان إماماً لهم.

ثم رجع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى مكة، وأصبح بين الناس بمكة، وأخبرهم الخبر وما رأى من آيات الله، فافترق الناس، أهلُ الإيمان ازدادوا إيماناً لإيمانهم بالغيب، وأهلُ الكفر ازدادوا كفراً وبعداً وتكذيباً؛ لأنهم كذَّبوا بهذا الأمر من أمور الغيب.

فهذا حاصل ما دل عليه الدليل في هذه الحادثة العظيمة: قصة الإسراء والمعراج.

وهذا بعض ما فيها من العبر والحكم والاعتقاد الصحيح الذي دل عليه كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

نسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا علماً ينفعنا.

اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا علماً ينفعنا.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا وديننا بسوء فاجعل كيده في نحره وأشغله بنفسه واكفنا شره بما شئت يا قوي يا عزيز.

اللهم وارحم إخواننا المستضعفين في كل مكان، اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في بلاد فلسطين، اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في بلاد فلسطين، وفي سائر بقاع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم يسر لهم البطانة الصالحة التي تدلهم على الخير وتحثهم عليه، اللهم اجعلهم نصراً وعزاً للإسلام والمسلمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والحمد لله رب العالمين.

(٣٥) فتنة المسيح الدجال

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضى الحديث عنه أن من أصول الاعتقاد، الإيمان بالغيب، والغيب هو كل ما غاب عن الإنسان مما كان ومما سيكون، مما أخبر الله تعالى به أو أخبر به نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وإن من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها: الإيمان بخروج المسيح الدجال في آخر الزمان، والمسيح الدجال فتنةٌ من الفتن التي قدَّر الله سبحانه وتعالى وجودها، بل هو أعظم فتنة على الإطلاق، وليس هناك فتنة منذ خلق الله السماوات والأرض إلى أن تقوم الساعة أشدُّ من هذه الفتنة.

جاء في صحيح مسلم (٢٩٤٦ -١٢٧-)، عن هشام بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ**».

وفي رواية[1]: «**فِتْنَةٌ أَكْبَرُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**».

وهكذا جاء عند الإمام أحمد (٢٣٣٠٤)، عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا صُنِعَتْ فِتْنَةٌ** -أي ما وُجدت وخُلقت فتنة- **مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ، إِلَّا تَتَّضِعُ لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ**». فهي أعظم ما يوجد من الفتن التي يُفتَن بها الناس، أي يُختبرون ليتميز الصادق من الكاذب.

---

(١) عند أحمد (١٦٢٦٥).

هذه الفتنة العظيمة لعظمها ذكرها كل الأنبياء، وما من نبيٍ من الأنبياء إلا حذَّر أمته هذه الفتنة، جاء في الصحيحين[١] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ**».

وهكذا جاء في الصحيحين[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمَهُ**». أي: كلهم حدثوا أقوامهم بفتنة الدجال، ولكن هنا شيء خاص لم يذكره سوى نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لهذه الأمة.

ثم قال: «**إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ: إِنَّهَا الْجَنَّةُ، هِيَ النَّارُ**».

وكان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كثيراً ما يذكره، يحذر أمته، قال النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في صحيح مسلم (٢٩٣٧ -١١٠-): ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. أي ذكره ذكراً كثيراً، وعظَّم فتنته ورفعها، وخفَّض شأنه، وحقَّر أمره، لكفره بالله.

ولعِظَمِ الذكر الذي ذكره به قال النواس: ظننا أن الدجال في طائفة النخل. أي في نخل قريب منا، لكثرة ذكره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يحذِّر أمةً ويخاف عليهم فتنته. فهو القائل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ**

---

(١) البخاري (٧٤٠٨)، ومسلم (٢٩٣٣ -١٠١-).

(٢) البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٦ -١٠٩-).

فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ». ففتنته فتنة عظيمة ذكرها الأنبياء وأنذروا أممهم.

ومما يتعلق بالدجال والإيمان بخروجه أمور، من هذه الأمور:

أن نؤمن أنه موجود الآن، فمن زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ينتظر الخروج، بل الأدلة تدل على أنه موجود قبل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه كان يترقب خروج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينتظر أن يأذن الله سبحانه وتعالى له بالخروج، وهو موجود في جزيرة جهة الشام في وسط البحار.

جاء في حديث فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند الإمام مسلم (٢٩٤٢ -١١٩-)، الحديثُ الطويلُ المشهورُ بحديثِ الجَسَّاسَة، أنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانَ نَصْرَانِيًّا فأسلمَ وهاجَرَ معَ طائفةٍ من قومِه منَ الشَّامِ إلى النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ورَكِبُوا البحرَ، وكانَ البحرُ هائجًا فلَعِبَ بهمُ الموجُ شهرًا، وهم في البحرِ، حتى أَرْفَأَ إلى جزيرةٍ، قالَ: فلما دَخَلْنَا الجزيرةَ أَتَتْنَا دابَّةٌ، وفي بعضِ روايةِ مسلمٍ: أَتَانَا إنسانُ دابَّةٍ كثيرةُ الشَّعرِ لا يُدْرَى قُبُلُهَا من دُبُرِهَا، فقلنا لها: ما أنتِ؟ قالت: أنا الجَسَّاسَةُ، ثم قالت: انطلقوا إلى هذا الرَّجلِ في الدَّيرِ فإنهُ إلى خبرِكُم بالأشواقِ.

قالَ: فانطلقنا فأتينا على أعظمِ إنسانٍ نراهُ خَلْقًا، وإذا هو مُوَثَّقٌ أشدَّ الوَثَاقِ -أيْ مُقَيَّدٌ-، قدْ جُمِعَتْ يداهُ إلى عنُقِهِ، وما بينَ كعبيهِ وركبتيهِ مُكَبَّلٌ بالحديدِ.

قالَ: فقالَ ما أنتم؟ قالَ تَمِيمٌ: نحنُ أناسٌ منَ العَرَبِ، قالَ وقدْ ظَهَرْتُمْ عَلَيَّ؟ -أيِ اطَّلَعْتُمْ على شأني-، ثم قالَ: إني سائلُكم أسئلةً، أسألُكم عن نخلِ بَيْسَانَ هلْ يُثْمِرُ؟

قالوا: نعمْ، يُثْمِرُ. قالَ: إنهُ يُوشِكُ أنْ لا يُثْمِرَ، أسألُكم عن بحيرةِ طَبَرِيَّةَ هلْ فيها ماءٌ؟ قالوا: نعمْ، فيها ماءٌ. قالَ: يُوشِكُ أنْ لا يكونَ فيها ماءٌ. قالَ: أسألُكم عن عينِ زُغَرَ. قالوا: وعنْ أيِّ أمرِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قالَ: هلْ فيها ماءٌ؟ هلْ يَخْرُجُ منها ماءٌ؟ وهلْ يَزْرَعُ أهلُهَا من مائِهَا؟ قالوا: نعمْ. قالَ: إنهُ يُوشِكُ أنْ لا يكونَ فيها ماءٌ ولا يُشْرَبُ ولا يَزْرَعُ أهلُهَا من مائِهَا. -وهذهِ الثلاثُ كلُّهَا بالشَّامِ نخلُ بَيْسَانَ وبحيرةُ طَبَرِيَّةَ، وعينُ زُغَرَ-.

ثم قالَ: أسألُكم عن نبيِّ الأُمِّيِّينَ هلْ قدْ خَرَجَ؟ قالوا: نعمْ، قدْ خَرَجَ، خَرَجَ بمكةَ ثم صارَ إلى المدينةِ. قال: وهلْ قَاتَلَهُ العَرَبُ؟ قالوا: نعمْ، قَاتَلُوهُ، وقدْ ظَهَرَ على منْ حولَهُ منَ العَرَبِ. فقالَ لهمْ في آخرِ الحديثِ: إني أنا المسيحُ الدَّجَّالُ، وإني أوشكُ أنْ أخرجَ.

فجاءَ تَمِيمٌ فقصَّ هذهِ القصةَ على النَّبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقالَ: «**اللهُ أكبرُ إنهُ وافقَ ما كنتُ أُحَدِّثُكُم إياه**». ثم جعل تميماً يحدث الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في المسجد بهذا الحديث. فالدجال موجود الآن.

وأما زمن خروجه فإنه يكون في آخر الزمان، وهو من أشراط الساعة الكبرى، وإذا حصلت هذه العلامات فإنه يخرج، فمن علامات خروجه:

بعثة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. ومن علامات خروجه ما ذكر في الحديث من أنه لا يثمر نخل بيسان، ويذهب ماء بحيرة طبرية، وينضب ماء عين زغر ولا يزرع أهلها من مائها.

وهكذا أخبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه يخرج على حين فُرقة من الناس واختلاف.

وأخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه يخرج والعرب يوم خروجه قليل كما في حديث أم شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في صحيح مسلم (٢٩٤٥ -١٢٥-)، أنها قالت: قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ**». قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**هُمْ قَلِيلٌ**».

يخرج في حين يضعف فيه الدين ويكون عند الناس رِقَّةٌ في دينهم وضعف في جانب العلم، أي ليس عندهم ثبات وتمسك بالدين، وقد فشا فيهم الجهل فكل هذه من علامات خروجه.

وأما مكان خروج الدجال، فإنه يخرج بين الشام والعراق، جاء في صحيح مسلم (٢٩٣٧ -١١٠-)، عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً** -أي طريقًا- **بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ**».

وجاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٦٢)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ**».

وجاء عند الإمام أحمد (١٢)، والترمذي (٢٢٣٧) عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**أَنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ، يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ**».

وجاء عند الإمام أحمد، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٣٣٤٤)، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٢٤٤٦٧)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ**».

إذاً، فهذه الأحاديث تبين جهة خروجه، وأنه يخرج بين الشام والعراق، أي جهة إيران، وما حولها من البلاد، التي هي جهة المشرق، ومنها خرجت أغلب الفتن من

زمن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وإلى أن تقوم الساعة، فقد قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا**». ثم أشار جهةَ المشرق فقال: «**هُنَاكَ الزَّلَازِلُ، وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**»(١). فيخرج منها الدجال، ويكون بداية خروجه من ذلك الموضع، ثم ينتشر في الأرض.

وأما بقاؤه في الأرض، فإنه يبقى أربعين يومـًا، جاء في حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم (٢٩٣٧ -١١٠-)، أنهم قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ**». قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «**لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**».

فمكثه في الأرض أكثر من سنة وشهرين، لأنها أربعون يومـًا، فيوم من أيامه كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، أي كجمعة، وهذه ثلاث أيام، ويبقى سبعة وثلاثون يومـًا فيكون مجموع بقائه سنةً وشهرين ونصفَ شهر.

وفي هذه المدة يطوف الأرض كلها. ففي حديث النواس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قيل: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «**كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ**». كالسحاب الذي فيه المطر تحركه الرياح يمضي في سرعة عظيمة، كذلك سرعة الدجال.

---

(١) رواه البخاري (١٠٣٧)، ومسلم (٢٩٠٥ -٤٦-)، عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وجاء في الصحيحين [١]، عن أنس بن مالك، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا**».

فيدخل الأرض كلها إلا مكة والمدينة، في هذه السرعة العظيمة التي أقدره الله سبحانه وتعالى عليها.

وأما فتنته فقد جاء في وصف فتنته أحاديث كثيرة، خلاصة هذه الأحاديث الصحيحة أن من فتنته:

١- أنه يخرج وقد أصاب الناس جوعٌ شديد وأصابهم قحط استمر بهم ثلاث سنين، فيخرج ومعه جبال الخبز، وأنهار الماء.

٢- يخرج ومعه جنة ونار، فالتي يقول: هي جنة. هي النار، والتي يقول: إنها النار. هي الجنة.

٣- يخرج ومعه نهر من ماء عذب بارد، ونهر من نار، فالذي يقول: إنه عذب بارد. هو النار، والذي يقول: إنه نار. هو الماء العذب البارد. قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ، فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ**»[٢]، فهذا من فتنته.

٤- من فتنته أنه يأمر السماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت.

---

(١) رواه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣-١٢٣-).

(٢) رواه البخاري (٣٤٥٠)، ومسلم (٢٩٣٤-١٠٥-)، عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وجاء عن غيره.

٥- من فتنته أن الذين يصدقونه ويتابعونه تروح عليهم سارحتهم أي مواشيهم أطول ما كانت ذُرَى[١] وأسبغ ما كانت ضروعاً، أي سمينة ممتلئة من اللبن، ويأتي القوم فيكفرون به ويردون عليه دعوته فيصبحون فقراء مُمْحِلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم.

٦- من فتنته أنه يمر بالخربة أي القرية الخاربة التي هجرها أهلها ولم يبق فيها ساكن، فيأمرها أن تخرج كنوزها، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل.

٧- من فتنته أن رجلاً من الأعراب يأتيه فيقول له: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِي؟ أَرَأَيْتَ إِنْ أَحْيَيْتُ أَبَوَيْكَ أَتُؤْمِنُ بِي؟ فيقول: نعم. قال فيتمثل شيطانان بصورة أبوي ذلك الأعرابي فيقومان ويكلمانه ويقولان يا بني صدِّقه واتبعه فإنه ربك.

فتحصل على يديه فتنة عظيمة هي كما قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أعظم فتنة منذ كانت الدنيا، وما وُجدت فتنة صغيرة ولا كبيرة إلا وهي تُمَهِّد لهذه الفتنة العظيمة، والمُثَبَّت فيها من ثبَّته الله.

نرى الناس اليوم يفتنون بفتن يسيرة، فكم تابع أهلَ الكفر من أناس؟ كم تابع الروافضَ على كفرهم وبوائقهم من أناس؟ كم تابع من هو دون الدجال في شبههم، وفي فتنتهم من أناس؟ كيف إذا خرج الدجال؟ والناس على ضعف في التمسك

---

(١) جمع ذروة، وهي أعلى سنام البعير، والمراد: كثرة سِمَنِهَا.

بالدين، وعلى جهل في جانب العلم، وعلى جوع وفقر وحاجة، وهو يأتي بكل ذلك، لا يثبتُ أمام هذه الفتنة العظيمة إلا من ثبته الله سبحانه وتعالى.

أقول من سمعتم، والحمد لله رب العالمين.



الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، ومما يتعلق بخروج الدجال أن نعرف ما أخبرنا به نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **من صفته، فمما جاء في صفته:**

١- أنه إنسان من بني آدم، كما في حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: فما رأينا إنساناً قط أعظم منه خلقاً.

٢- أنه جسيم أي: عظيم الجسم. جاء ذلك في الصحيحين[١] عن ابن عمر

٣- أنه أحمرُ جعدُ الشعر، أي لونه أحمر، ليس بالأبيض الأمهق ولا بالأسود الحالك ولا بالأسمر، ولكنه أحمر. وهكذا هو قَطَطٌ أي جعد الشعر.

جاء ذلك في حديث ابن عمر في الصحيحين[٢]، وحديث النواس بن سمعان في صحيح مسلم (٢٩٣٧ -١١٠-).

---

(١) البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩ -٢٧٣-).

(٢) البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩ -٢٧٣-).

٤- أنه أعور العين اليمنى، كأن عينه عِنَبَةٌ طافية، ومطموس العين اليسرى، فعينه اليسرى مطموسة، وعينه اليمنى خارجة بارزة متدلِّية كأنها عنبة طافية، أي معلقة، فهو أعور العينين اليسرى مطموسة، واليمنى خارجة ناتئة.

٥- أنه جُفَال الشعر، أي كثير الشعر. جاء ذلك في حديث حذيفة في صحيح مسلم (٢٩٣٤ -١٠٤-):

٦- أنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن، سواء كان قارئًا أو كان أميًا لا يقرأ، فإن الله جل وعلا يُقْدِرُهُ على قراءة هذه الكلمة المكتوبة بين عيني الدجال.

وأما أتباع الدجال فأكثر أتباعه اليهود، وبالأخص يهود أصبهان في إيران، الذين هم اليوم يُكرَمون بغاية الرعاية من دولة الروافض، ولا يزالون يتكاثرون ويزيد عددهم في أصبهان حتى يخرج الدجال فيكونون أتباعَه.

جاء في صحيح مسلم (٢٩٤٤ -١٢٤-)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ**».

هكذا من أتباعه: سائرُ الكفار والمنافقين، جاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين ذكر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن الدجال يدخل الأرض كلها إلا مكة والمدينة، قال: «**فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**»(١).

فكلُّ أهل الكفر والنفاق يُنْفَون من المدينة ويلحقون بمن يناسبهم وهو الدجال.

---

(١) رواه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣ -١٢٣-).

هكذا جاء في أحاديث أن أكثر من يتبعه النساءُ وجهَلَةُ الأعراب.

حتى ينتهي أمره حين نزول عيسى بن مريم فيزول أمر الدجال وينتهي أمره بيد عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإن عيسى رُفع إلى السماء وهو حي ولا يزال حيًا كما قال الله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [سورة النساء:١٥٧] ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [سورة النساء:١٥٨]، رفعهُ الله إلى السماء حيًا، وينزل في آخر الزمان، ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ﴾ [سورة النساء:١٥٩]، أي بعيسى ﴿قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾ [سورة النساء:١٥٩]، في آخر الزمان حين ينزل.

قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ**»[(١)] أي: لا يقبل إلا الإسلام.

فينزل عيسى فيقتل الدجال. جاء في صحيح مسلم (٢٩٣٧ -١١٠-)، عن النواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذكر شابًا يقتله الدجال، وهو أعظم الشهداء عند الله، «**يَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ»، قال: «**فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ** -وهو موضع بالقرب من

(١) رواه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥ -٢٤٢-)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فلسطين-، **فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ»**.

وجاء في صحيح مسلم (٢٨٩٧ -٣٤-)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ**». وتنتهي فتنة الدجال بنزول عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبقائه في الأرض.

وإن هاهنا أمورًا أرشدنا إليها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تعصم المسلم بإذن الله من فتنة الدجال، فمن هذه الأمور:

١- الاستعاذة بالله منه ومن فتنته، جاء في صحيح مسلم (٢٨٦٧ -٦٧-)، عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**».

بل أمر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالاستعادة منه بعد التشهد في كل صلاة، فريضةً كانت أو نافلة، جاء في صحيح مسلم (٥٨٨ -١٢٨-)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**».

وهذا الذكر واجب عند كثير من أهل العلم، في آخر التشهد يستعيذ بالله من هذه الأربع، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بذلك، فقال: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ**»، ومن هذه الأربع يستعيذ من فتنة الدجال.

٢- أنه إذا سمع به يهرب منه فلا يقابله ولا يحضر عنده، جاء في مسند الإمام أحمد (١٩٨٧٥)، وسن أبي داود (٤٣١٩)، عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ؛ فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ**».

ففتنته عظيمة، وعنده شبهات كبيرة يأتي بها، فلذا أرشد الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من سمع به أن يهرب منه، ولذا جاء في صحيح مسلم (٢٩٤٥ -١٢٥)، عن أم شريك: «**لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ**». يبتعدون عن فتنته.

٣- سُكنى مكة والمدينة، فإن مكة والمدينة لا يدخلها الدجال، فالمؤمن الذي يسكن مكة والمدينة يعصمه الله من الدجال، ولا بد في ذلك من الإيمان، وأما أهل الكفر والنفاق ولو سكنوا مكة والمدينة فإن الأرض ترجف ثلاث رجفات فيُخرج الله من المدينة أهل الكفر والنفاق.

٤- أن يحفظ الإنسان عشر آيات من أول سورة الكهف، فإذا أدركه الدجال فليقرأها عليه، جاء في صحيح مسلم (٨٠٩ -٢٥٧-)، عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**».

وعصمته بها بمعنى أن يقرأها إذا ابتلي به، جاء في صحيح مسلم (٢٩٣٧ -١١٠-)، عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ**».

فهذا شيء مختصر مما يتعلق بخروج الدجال الذي يكون خروجه من أشراط الساعة الكبرى، والذي كثرت الأحاديث عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في ذكره والتحذير من فتنته.

نسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن، اللهم إنا نعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، ومن كل فتنة يا رب العالمين.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

اللهم توفنا على الإسلام والسنة وأنت راضٍ عنا يا رب العالمين.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم وأنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان.

والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(٣٦) نزول عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضى الحديث عنه ذكر بعض أمور الغيب التي أخبر بها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكان آخر ما تقدم ذكره خروجَ المسيح الدجال، وما بخروجه من فتنة عظيمة في الأرض.

وبعد خروج المسيح الدجال، ينزل المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ينزل من السماء، فإن الله سبحانه وتعالى رفعه إلى السماء حيًا بروحه وجسده خلاف سائر الأنبياء الذين أجسادهم في الأرض وأرواحهم في السماء.

ولكن عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما أراد اليهود قتله رفعه الله تعالى حيًا إلى السماء بروحه وجسده، وأَكْذَبَ الله تعالى اليهود الذين زعموا أنهم قتلوه، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة النساء:١٥٧]، ثم قال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [سورة النساء:١٥٨].

فعيسى رفعه الله سبحانه وتعالى إلى السماء حيًا، ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [سورة آل عمران:٥٥]، متوفيك أي آخذك، من باب قولهم: توفَّى فلان حقه، أي أخذه، فمعنى: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ أي آخِذُك ورافعك إلى السماء حيًا، ولذا قال: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [سورة آل عمران:٥٥]، أي: برفعك إلى السماء يطهرك الله تعالى من أهل الكفر.

فعيسى رفعه الله تعالى حيًا إلى السماء، وأخبرنا الله عز وجل أنه سينزل في آخر الزمان، وأن نزوله من علامات الساعة، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الزخرف:٥٧].

ثم قال بعدها: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الزخرف:٦١]، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي علامة من علامات الساعة، وأمارة من أمارات اقترابها، ولذا كان بعض السلف يقرأ هذه الآية: ﴿**وإنه لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ**﴾، أي: نزوله من علامات الساعة وأشراطها.

وقال الله سبحانه بعد أن أكذب اليهود الذين ادعوا قتله، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة النساء:١٥٨-١٥٩]، من أهل الكتاب، أي من اليهود والنصارى من سيؤمن بعيسى قبل موته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال ابن عباس: (أي قبل موت عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ). فمعناه أنه حي من ذلك الزمان، فهو النبي الذي قبل نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وجاء في صحيح البخاري (٣٩٤٨)، عن سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (أن فَتْرَةٌ بَيْنَ عِيسَى، وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ؛ سِتُّمِائَةِ سَنَةٍ). فرفعه الله حيًا، ولا يزال حيًا إلى آخر الزمان.

رفعه الله تعالى إلى السماء، وهو في السماء الثانية، مع ابن خالته يحيى بن زكريا، فينزل في آخر الزمان وقد تواترت أحاديث السنة التي تدل على نزوله في آخر الزمان.

منها ما جاء في الصحيحين[1] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**».

وفي صحيح مسلم (٣٤٤٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**».

وفي صحيح مسلم (٢٩٠١ -٣٩-)، عن حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ**»، وذكر منها: «**نُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وفي صحيح مسلم أيضًا (١٥٦ -٢٤٧-)، عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ**»، أي أمير هذه الأمة، وهو المهدي كما سيأتي ذكره إن شاء الله، «**فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**».

---

(١) البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥ -٢٤٢-).

وهكذا جاء عند أحمد (٩٦٣٢)، وأبي داود (٤٣٢٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ، فَاعْرِفُوهُ...**». ثم ذكر صفته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وأحاديث السنة كثيرة متواترة، التي تبين نزول عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في آخر الزمان، فنؤمن بذلك كما أخبرنا الله تعالى به، وأخبرنا به نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وأما مكان نزوله فقد دل عليه الحديث الصحيح عن النواس بن سمعان في صحيح مسلم (٢٩٣٧ -١١٠-)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ**»، فنزوله في الشام، وبالأخص في دمشق، وبالأخص عند المنارة البيضاء، قال ابن كثير: (وليس في دمشق منارة بيضاء إلا المنارة التي في المسجد الأموي.

قال: وهذا يناسب نزوله فإنه ينزل في وقت صلاة حتى إن أميرهم يريد أن يقدمه للصلاة، قال: فينزل عند المنارة التي هي بجوار المسجد)، فيكون نزوله في ذلك الموضع ويدخل المسجد ليصلي مع المسلمين.

وهذا الحديث يدل على أنه في زمن خروج الدجال لا يزال الخير باقيًا ولا يزال هناك من يقيم الصلاة، ولا تزال المساجد عامرة، ويجتمع المسلمون للصلاة، لأن عيسى ينزل والناس يصلون في مساجدهم، ونزول عيسى يكون في أيام الدجال.

وأما زمان خروجه، فإنه ينزل في آخر الزمان بعد خروج المسيح الدجال، إذا خرج المسيح الدجال، وفَتَنَ في الناس فتنته العظيمة، وأفسد في الأرض، في مدة بقائه فيها وهي أربعون يوما، جاء في حديث النواس: «**أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ،**

وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»[١]، وفي آخر أيام الدجال، بينما هو مع الناس، قد قتل شاباً من خيرة الشباب في ذلك الزمان.

قال: «**فَيَنْزِلُ -عيسى بن مريم عليه السلام-، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ** -أي: ثوبين- **وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ**»، وهذه آية عظيمة، كلُّ كافر يجد ريح نفَس عيسى يموت، قال: «**وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ**».[٢] أي يصل نفَسه إلى الموضع الذي يصل إليه بصره، فإذا رآه الدجال يذوب، جاء في حديث أبي هريرة: «**فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ**»[٣].

فإذا قُتل الدجال أتى عيسى أُناسًا عصمهم الله من الدجال، فيمسح على رؤوسهم، ويخبرهم بدرجاتهم في الجنة، وما أعد الله تعالى لهم من النعيم.

ثم يخرج يأجوج ومأجوج، ويحصل ما أراده الله سبحانه وتعالى.

أمور تحصل في زمن عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وفي زمن عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أخبرنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنها تحصل أمور عظيمة، ويجري الله تعالى على يديه أموراً عظيمة.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) رواه مسلم (٢٨٩٧ -٣٤-).

فمن أعظم ما يجري على يديه:

١- أنه يقتل الدجال.

٢- أنه يكسر الصليب الذي يعظِّمه النصارى، وينتسبون إلى عيسى، فبكسره الصليب يُبطِل دينهم ويبطل كذبهم في انتسابهم إليه وأنهم منه وإليه، حتى إنهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين وهذه تسمية خاطئة، فليسوا مسيحيين، بل المسيح منهم براء، إنما هم نصارى كفرة، وإنما يريدون بهذه النسبة أن يُحسِّنوا صورتهم، في كونهم ينتسبون إلى المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فلا ينبغي للمسلم أن يقول: هم مسيحيون، بل يسميهم نصارى وكفاراً وأهل كتاب، كما سماهم الله في القرآن، فإذن بِكَسْرِ الصليب يُبطِل دين النصارى ويبين كذبهم في انتسابهم إليه.

٣- هكذا يقتل الخنزير الذي هو مأكول الكفار من النصارى واليهود وسائر الكفرة الذين ينتسبون إليه، فيبين أن ذلك باطل.

٤- يضع الجزية، والجزية مشروعة في هذه الأمة، وسبب الجزية أن المسلمين إذا افتتحوا بلاد الكفار، فإذا أراد أهل بلد من الكفار أن يبقوا على ما هم عليه من الدين ويُسلِّمون بلدهم للمسلمين، فلهم ذلك ويكون بلدهم تحت حكم المسلمين، ويكونون هم تحت حكم المسلمين، ويدفعون جزيةً للمسلمين في كل سنة عن كل فردٍ منهم ويبقون على دينهم، ولهم الأمان من أهل الإسلام، هذا جائز ومشروع، لكن

في آخر الزمان يُنسخ ذلك الحكم على يد عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يقبل إلا الإسلام أو القتل، إما أن يدخلوا في الإسلام، وإما أن يقتلهم فلا يقبل منهم جزية.

٥- أنه يؤدي العبادات مع المسلمين، فيصلي معهم كما تقدم في الحديث، أن أمير المسلمين يريد أن يقدمه للصلاة فيأبى ذلك.

كذلك يحج مع المسلمين إلى بيت الله الحرام، جاء في صحيح مسلم (١٢٥٢ - ٢١٦-) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ** -وهو بين مكة والمدينة- **حَاجًّا، أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا**». أي حج وعمرة.

فيفعل العبادات مع المسلمين، ويكون في حكم هذه الشريعة الإسلامية، ليس معناه أنه يحكم بشريعته بل يحكم بشريعة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويتعبد كما يتعبد أحد المسلمين، جاء في صحيح مسلم(١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟**»، قَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ راوي الحديث: «تَدْرِي مَا أَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟» قَالَ: «فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

---

(١) رواه مسلم (١٥٥ -٢٤٦-).

٦- أنه يُبسط للناس الخير، وتكثر الأموال، وتعظم الخيرات جاء في الصحيحين[١] أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**». وذلك لكثرة المال عندهم.

وجاء في صحيح مسلم (١٥٥ -٢٤٣-)، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ**».

وفي صحيح مسلم أيضاً (١٥٥ -٢٤٣-)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ، فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا**». والقلاص جمع قَلوص وهي الناقة الشابة التي هي من أحسن النوق، فلا يسعى عليها أحد، ولا يطلبها أحد لكثرة الخير الذي قد حصل للناس.

وجاء في صحيح مسلم (٢٩٣٧ -١١٠-)، عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما ذكر مقتل يأجوج مأجوج قال: «**ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يُكِنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ، حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ**» أي كالمرآة نظيفة صافية.

«**ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ. فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا**»، عصابة أي: جماعة من الناس يأكلون من رمانة واحدة، فإذا فرغوا من أكلها، أخذوا قشرها واستظلوا به، أي أنه يكون قشرها كخيمة تضلل من تحتها من الناس، وهذه بركة عظيمة.

---

(١) البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥ -٢٤٢-).

قال: «**وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ** -أي في اللبن-، **حَتَّى إِنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ**»، قبيلة بأكملها تكفيهم بقرةٌ واحدة يشربون من لبنها ويبارك الله تعالى لهم في ذلك.

٧- أنه تعظم الأخوة بين الناس، لأنهم على الإسلام قد أطاعوا الله وحققوا عبادته، فيكونون متآخين متحابين.

جاء في صحيح مسلم (١٥٥ -٢٤٣-)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ**».

وجاء في حديث عبدالله بن عمرو في صحيح مسلم (٢٩٤٠-١١٦-)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ**».

أي أنها تزول العداوات والشحناء والبغضاء.

وجاء أيضًا في مسند الإمام أحمد (٩٢٧٠)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثُمَّ تَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى الْأَرْضِ، حَتَّى تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا تَضُرُّهُمْ**».

فيحصل الخير للناس في دينهم ودنياهم، وكما جاء في حديث أبي هريرة، «**حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»[1] فتتعلق قلوبهم بالعبادة وبالطاعة.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥ -٢٤٢-).

وبهذا نعلم أن حصول الخيرات، وكثرة الأرزاق، وبركة الأرض، وحصول الأمن والأمان، وحصول التراحم، والأخوة، والتصافي بين الناس؛ يكون بطاعة الله، فهذا الزمن زمن عيسى، لما وجدت فيه الطاعة وجد الخير كله، وإذا قلَّت الطاعة ونقصت قَلَّ الخير عن الناس بقدر نقصانهم من طاعة الله.

فإذا أراد الناس الخير والبركات والعافية في دينهم ودنياهم فإن طريق ذلك في طاعة الله سبحانه وتعالى.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.



الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا نزل من السماء إلى الأرض يبقى فيها زمناً قدَّره الله سبحانه وتعالى له.

جاء في حديث عبدالله بن عمرو في صحيح مسلم (٢٩٤٠-١١٦-)، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر الدجال وقال: «**فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ**».

وجاء في حديث أبي هريرة عند الإمام أحمد (٩٢٧٠)، (٢٤٤٦٧)، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ**».

فمن أهل العلم من قدَّم ما في صحيح مسلم، وقال: إن هذه الرواية أصح، وأنه يبقى سبع سنين.

ومن أهل العلم من جمع بينهما بأن المراد بالأربعين سنة مجموع مُكْثِهِ في الأرض، فإن المشهور أنه رفع إلى السماء وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة، ثم في آخر الزمان

إذا نزل يبقى سبع سنين، فيكون مجموع بقائه في الأرض أربعين سنة، قالوا: فمعنى: «**يمكث في الأرض**» أي مدة مكثه كلها قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله منها.

وجمع بعض أهل العلم بأن بقاء عيسى بعد نزوله أربعون سنة، وأما السبع السنين فهي مدَّة مكث الناس بعد موت عيسى؛ فإن الحديث فيه: «**ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ**». فأسند المكث إلى الناس لا إلى عيسى، ويؤيد ذلك أن حديث عبدالله بن عمرو قد جاء في مسند أحمد (٦٥٥٥) بلفظ: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي، فَيَلْبَثُ فِيهِمْ أَرْبَعِينَ فَيَبْعَثُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَلْبَثُ النَّاسُ بَعْدَهُ سِنِينَ سَبْعًا، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ**». قالوا: فالضمير في قوله: (بعده) يرجع إلى عيسى، أي: بعد موت عيسى.

وفي هذه المدة يحصل هذا الخير كله للمسلمين.

نزول عيسى بن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **جعله الله تعالى لحكم عظيمة**، فمن الحكمة في نزوله:

١- تكذيب اليهود، اليهود أعداء الأنبياء والرسل، اليهود قتلة الأنبياء، الذين أرادوا قتل عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولكن الله جل وعلا نجَّاه وألقى شَبَهَهُ على إنسانٍ منهم فقتلوه وهم يظنون أنهم قتلوا عيسى، فنزوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تكذيبٌ لليهود الذين زعموا أنهم قتلوه.

٢- تكذيب النصارى وإبطالُ دينهم وكشف كذبهم الذي ادعوه طيلة حياتهم بعد رفع عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالنصارى اليوم يدَّعون أنهم على دين عيسى، وأنهم يتبعونه ويأخذون بشريعته، وهم كاذبون.

فلو كانوا صادقين في اتباعهم لعيسى، لآمنوا بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو الذي بشَّر به عيسى، ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [سورة الصف:٦]، فلو كانوا صادقين في أنهم متبعون لعيسى لآمنوا بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لو كانوا صادقين لما اتخذوا عيسى إلهًا من دون الله، والنصارى اليوم منهم من يقول: عيسى هو الإله، ومنهم من يقول: هو ابن الله، ومنهم من يقول: هو ثالث ثلاثة، كلهم إله، وهذه ثلاث مقالات للنصارى ذكرها الله تعالى عنهم في القرآن.

عيسى هو القائل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حين قال الله له، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فقال: ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة المائدة:١١٦-١١٧].

فلو كان النصارى صادقين في اتباعهم لعيسى، لما ادعوا أنه إله، ولوَحَّدوا الله جل وعلا، وعبدوه وحده لا شريك له، كما أمرهم به عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ومن تكذيب عيسى للنصارى حين نزوله أنه يكسر الصليب الذي هو شعار النصارى، الذين يزعمون أنهم منه وإليه، فيبدأ به فيكسره، وهكذا الخنزير الذي هو مأكولهم الأساسي يقتله، وهكذا الجزية لا يُقرُّهم عليها، ولا يقبل منهم أن يبقوا على النصرانية، بل لا بد أن يدخلوا في الإسلام وإلا قتلهم.

فخروجه من أعظم ما يبطل دين النصارى ويكذبه ويبين مخالفته وأنهم ليسوا على شيء.

٣- من الحكمة في نزوله: أن الله تعالى يُقدِّر قتل الدجال على يديه، ولو شاء الله أن يُقتل الدجال بدون عيسى لذاب كما يذوب الملح في الماء، ولكن الله قدر قتله على يد عيسى.

٤- هكذا من الحكمة في نزوله أنه يُدفن في الأرض، فإن الأنبياء مدفونون في الأرض، فهو إذا نزل يكون قد دنا أجله، فيموت ويُدفن في الأرض كما دفن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

إلى غير ذلك من الحكم العظيمة في نزول عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فنؤمن بذلك كما أخبرنا الله تعالى به وأخبرنا به نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علَّمنا وأن يعلِّمنا علمًا ينفعنا.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أذل الكفر والكافرين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم يسر لهم البطانة الصالحة التي تدلهم على الخير وتحضهم عليه، اللهم خذ بأيديهم إلى كل خير.

اللهم عليك بالرافضة المعتدين، اللهم عليك بالرافضة الزنادقة المجرمين، اللهم طهِّر بلادنا وبلاد المسلمين منهم يا رب العالمين.

اللهم اكفنا شرهم بما شئت يا قوي يا متين، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين.



(٣٧) خروج المهدي

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لا زلنا نتحدث عن أمور الغيب التي يجب الإيمان بها، مما صح به الدليل من كلام الله أو كلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فمن أمور الغيب التي يجب الإيمان بها: الإيمانُ بخروج المهدي، والمهدي هو رجلٌ يخرج في آخر الزمان من آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

يخرج في آخر الزمان يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا.

يخرج في آخر الزمان فينصر الله به الإسلام، ويُعِزُّ به المسلمين، ويُذل به الكافرين.

يخرج في آخر الزمان ويحصل للناس في زمنه من الخير العظيم والنفع العميم ما لا يوجد مثله في كثير من الأزمان.

وقد تواترت الأحاديث عن نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتواتر فيه كلام الصحابة والتابعين حتى ذكر أهل العلم ذلك في كتب العقائد التي سار عليها أهل السنة والجماعة، وفارقوا بها أهل البدع والضلال والعقلانيين وأمثالهم ممن لا يؤمن بذلك، أو يؤمن به على خلاف ما دلت عليه الأدلة.

فالأحاديث في ذكره وإثبات خروجه كثيرة متواترة، وقد جاء فيها ذكر أحوال كثيرة من أحواله، فمنها:

*- **ما جاء في اسمه ونسبه**، جاء في حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الإمام أحمد (٦٦٣)، وأبي داود (٤٢٨٢)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا**

إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي».

فهذا الحديث يبين فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسمَ المهدي، وأن اسمه يوافق اسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واسم أبيه يوافق اسم أبي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو إذن: محمد ابن عبدالله.

*- جاء في روايات أنه من ولد فاطمة، وهذا هو الذي بقي من نسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن نسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي استمر هو ذرية فاطمة أي أولادها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والمهدي من نسل فاطمة وبالأخص من ولد الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال أهل العلم: وهذا من تعويض الله تعالى لمن ترك شيئًا في هذه الدنيا، فإن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الذي تنازل بالخلافة في ذلك الزمان، فإنه تولى الخلافة بعد أبيه وبقي بضعة أشهر، ثم كادت أن تنشب حرب وخلافات بين المسلمين فتنازل بالخلافة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى اجتمعت كلمة المسلمين وسُمِّي ذلك العام بعام الجماعة، فعوَّضه الله أن كان في ذريته ومن نسله من يحكم هذه الأمة ومن يملأ الأرض عدلاً وقسطًا، وهكذا من ترك شيئًا لله أعطاه الله تعالى وعوضه خيراً منه، فهذا اسمه ونسبه.

*- **وأما زمان خروجه**، فقد دلت الأدلة أنه يخرج في آخر الزمان، جاء ذلك في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الحاكم (٨٦٦٩)، وفي حديث أبي هريرة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الطبراني (٩١)، أنه يكون في آخر الزمان رجل من أهل بيتي يقال له: المهدي.

وقد بيَّنت رواياتٌ أخرى أنه يكون في زمن الدجال وعيسى بن مريم، يخرج الدجال وهو موجود، فيمكث الدجال في الأرض أربعين يوماً بما يعادل سنةً وشهرين ونصف شهر، لأن يوماً منها كسنة، ويوماً كشهر، ويوماً كجمعة، وباقي أيامه كسائر الأيام، ثم يخرج عيسى بن مريم بعد ذلك، ويكون المهدي موجوداً.

جاء في الصحيحين[1] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**».

وجاء في صحيح مسلم (١٥٦ -٢٤٧-)، عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**».

وهذا الأمير الذي ينزل عيسى وهو موجود، والذي يؤم الناس وعيسى موجود هو المهدي عند أهل العلم، وجاء ذلك في رواياتٍ للحديث تبين أنه المهدي، فخروجه يكون في آخر الزمان في زمن نزول عيسى بن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

---

(١) البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥ -٢٤٤-).

*- **وأما مكان خروجه**، فالمشهور عند أهل العلم أنه يخرج من جهة المشرق ويبايع له في مكة، جاء في حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الإمام أحمد (٧٩١٠)، وغيره أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُبَايَعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ، وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ**». الحديث. فيُبايَع له بمكة بين الركن والمقام، ويستتِّب له الأمر، ويجتمع حوله المسلمون.

ويؤيده الله جل وعلا في أول الأمر بعدد قليل من الناس على عدة أصحاب بدر- أي ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً-، جاء ذلك عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الحاكم (٨٦٥٩) أنه قال: (يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: اللهَ اللهَ. قُتِلَ، فَيَجْمَعُ الله تَعَالَى لَهُ قَوْمًا قَزَعًا كَقَزَعِ السَّحَابِ) وقزع السحاب ما تفرق منه، أي أنهم يكونون متفرقين. (يُؤَلِّفُ الله بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَا يَسْتَوْحِشُونَ إِلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْرَحُونَ بِأَحَدٍ يَدْخُلُ فِيهِمْ، عَلَى عِدَّةُ أَصْحَابِ بَدْرٍ، لَمْ يَسْبِقْهُمُ الْأَوَّلُونَ وَلَا يُدْرِكُهُمُ الْآخِرُونَ، وَعَلَى عَدَدِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ).

وقد كان عدد أصحاب طالوت الذين انتصروا على جالوت وجنوده وأعزَّ الله بهم الإسلام على قدر عدد أصحاب بدر الذين أعزَّ الله بهم الإسلام في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وهذا عددٌ قليل في نظر الناس، ولكن الله تعالى إذا قدَّر شيئًا أمضاه، وإذا كتب الله تعالى النصر فالنصر من عنده، ليس بقوة ولا كثرة عدد.

فأصحاب بدر انتصروا بهذا العدد، وأصحاب الملِك الصالح طالوت انتصروا بهذا العدد، والمهدي سينصره الله ويُمكِّن له في أول أمره بهذا العدد.

فيجتمع الناس حوله، ويمكث في هذه الأرض ملكًا أميراً على هذه الأمة سبع سنين أو ثمان سنين، جاء ذلك في أحاديث، جاء في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٤٢٨٥) والحاكم (٨٦٧٠) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْـمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ**».

وجاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الطبراني في الأوسط (٥٤٠٦) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْـمَهْدِيُّ، إِنْ قُصِرَ فَسَبْعٌ وَإِلَّا فَثَمَانٍ، وَإِلَّا فَتِسْعٌ**». أي إن قصرت مدة بقائه تكون سبعًا، وإن طالت تكون تسعًا، وأكثر الروايات على أنها سبع سنين.

وتأمل إلى قدرة الله العظيمة وإلا ففي خلال سبع سنين ماذا عسى الحاكم أن يفعل؟ وماذا عسى الملك أن يُغيِّر في أرض امتلأت ظلمًا وجوراً؟ فيملأها قسطًا وعدلاً.

فإذا قدر الله تعالى شيئًا أمضاه وهيَّأ أسبابه، وليس الأمر بطول زمان، ولا بكثرة عدد، ولكن الأمر بيد الله، وهو الذي يبارك فيما يشاء، فهذه سبع سنين يكون فيها خليفة ويحصل في زمنه من الخير العظيم للمسلمين في هذه السنين السبع.

*- **وأما صفته فقد جاءت أحاديث تبين صفته**، فمما ذُكر في صفته ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (١١١٣٠)، وأبي داود (٤٢٨٥)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ**».

ومعنى: «**أَجْلَى الْجَبْهَةِ**» أي: أنه انحسر شعره عن جبهته فليس في جبهته شعر. «**وأقنى الأنف**»، أي: أنفه طويل مُسْتَدَقٌّ مرتفع. وهذه من صفات المدح التي يُمدح بها الرجل أن يكون كذلك، فيجعل الله تعالى المهدي بهذه الصفة.

ومن صفته أن الله تعالى يصلحه في ليلة، جاء في حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٦٤٥)، وابن ماجه (٤٠٨٥)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ**».

وأحسن ما قيل في معنى يصلحه الله في ليلة، أي يهيئه للخلافة وللقيام بهذا الأمر العظيم، فالأمر الذي يقوم به ليس أمراً يسيراً، وهذا الرجل ليس مهيئاً قبل ذلك، ليس هو مَلِكًا ولا مُهيَّئا للمُلك، ولا من أبناء الملوك الذين يكونون متهيئين لذلك، بل الله جل وعلا يصلحه ويهيئه لهذا الأمر العظيم في ليلة واحدة، ويخرجه الله سبحانه وتعالى في حين أحوج ما يكون الناس إلى خروج مثله لما يكون في الأرض من فسادٍ وظلمٍ وشرٍّ مستطير.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، إذا خرج هذا الرجل محمد بن عبدالله الحسني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورحمه، يخرج في أمورٍ عظيمةٍ في هذه الأرض.

يخرج وقد مُلئت الأرض ظلماً وجوراً، وتأمل إلى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا**»، أي: لم يبقَ فيها عدل ولا يرى الناس في الأرض عدلاً، ليس فيها إلا الظلم والجور، جاء ذلك في حديث ابن مسعود، وحديث أبي سعيد، وغيرهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وفي حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**لا يخرج المهدي حتى تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً**».

يخرج والحال كما قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: اللهَ اللهَ قُتِلَ)[1]، أي: في حالٍ يُحارب فيه الإسلام ويستمكن فيه الكفر حتى إن من يُوحِّد الله ويدعو إلى الله يتعرض للقتل لكثرة الشر والفساد.

فيخرج في ذلك الزمان، ويملأ هذه الأرض قسطاً وعدلاً وتمسكاً بالدين واستقامة عليه، في زمن يسير يُقْدِرُهُ الله تعالى على كل ذلك العمل في ذلك الزمن.

---

(١) رواه الحاكم في "المستدرك" (٨٦٥٩).

يخرج المهدي فيكثر في زمنه الخير الدنيوي: تكثر الأموال، تكثر الأمطار، تكثر النباتات، يكون الناس في نعمة لا يوجد مثلها، جاء في حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الحاكم (٨٦٧٣)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي الْمَالَ صِحَاحًا، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ**».

يسقيه الله الغيث، فتكثر الأمطار، وتنبت الأرض، ولا تخبِّئ الأرض شيئًا من نباتها، ويعطي المال صحاحًا، قال أهل العلم: أي يقسمه بالسوية بين الناس لا يميز أحداً عن أحد، بل يعطي الجميع على قسمة واحدة، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة.

وجاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الطبراني في الأوسط (٥٤٠٦) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ، إِنْ قُصِرَ فَسَبْعٌ وَإِلَّا فَثَمَانٍ، وَإِلَّا فَتِسْعٌ، تَنْعَمُ أُمَّتِي فِيهِ نِعْمَةً لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا، يُرْسِلُ اللهُ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا، وَلَا تَدَّخِرُ الْأَرْضُ بِشَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ وَالْمَالُ كُدُوسٌ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ، أَعْطِنِي فَيَقُولُ: خُذْهُ**».

وجاء في حديث أبي سعيد الخدري (٢٩١٤ -٦٨-)، وجابر بن عبدالله (٢٩١٣ - ٦٧-)، في صحيح الإمام مسلم، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ، يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا**». أي لكثرة المال كلُّ من جاء يريد مال يحثو له المال حثيًا أي: من الذهب والفضة دون عدٍّ لكثرة الخير ووفرته.

وهذا كما تقدمت الإشارة إليه في ذكر عيسى بن مريم أن الناس يكونون في زمنه كذلك وهو والمهدي في زمن واحد.

والأمر راجع إلى إقامة الدين، فإذا أقام الناس الدين أقام الله لهم الدنيا، إذا تمسك الناس بالدين كفاهم الله أمر الحياة الدنيا.

وبهذا تعلم أن المسلك الصحيح في هذه الدنيا الذي ينبغي أن يسلكه الناس هو أن يسلكوا طريق نصرة الدين، فإذا سلكوا طريق نصرة الدين فدنياهم مضمونة على الله، وكلما نصروا الدين كلما أعطاهم الله من الدنيا، وكلما سعوا في الدنيا وابتعدوا عن نصرة الدين كلما قلّت دنياهم وحرمهم الله منها.

فالناس اليوم يسعون للدنيا وهي قليلة في أيديهم ولا يتمكنون منها، لأنهم تركوا الأمر الذي تُجلب به الدنيا وهو نصرة الدين.

فزمن المهدي وعيسى ونحوها وما يحصل فيها من بسط الدنيا على الناس عبرةٌ للناس أنه إذا أقيم الدين في هذه الأرض وسَّع الله تعالى على الناس في دنياهم وأسبغ عليهم أرزاقهم وطوَّل لهم فيها.

*- مما يحصل في زمنه من الكرامة، أن عيسى يصلي وراءه مأمومًا جاء ذلك في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم (٨٨٥ -٤-)، أنه ينزل عند إقامة الصلاة فيقول له أميرهم: «**تَعَالَ صَلِّ لَنَا**»، أي أنت نبي من أنبياء الله ومن أولي العزم، فيقول عيسى بن مريم: «**لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**». أَكْرَمَ الله هذه الأمة بأن يكون إمامها منها، فيتقدم المهدي للصلاة ويصلي عيسى وراءه.

فهذا شيء مما دلت عليه الأدلة الصحيحة وتواترت عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في خروج المهدي في آخر الزمان.

❋ بُطلان دعوى مهدي الرافضة:

❋- ومما ينبه عليه أن ما يدعيه الرافضة من خروج المهدي الذي يزعمونه ويسمونه بالمهدي المنتظر وينتظرون خروجه أنه ليس هو المهدي الذي دلت عليه الأدلة، فإن مهدي الرافضة عبارة عن خرافة تلقاها آخرهم عن أولهم، وهي خرافةٌ تخالف الأدلة في كثير من الأمور، منها:

❋- أنهم يدَّعون أن مهديهم اسمه محمد بن الحسن العسكري، والذي دلت عليه الأدلة أن المهدي الخارج في آخر الزمان اسمه محمد بن عبدالله، وليس محمد بن الحسن.

❋- ومنها أن المهدي الذي يثبته أهل السنة بما دلت عليه الأدلة يكون من ذرية الحسن بن علي، وأما المهدي الذي تدَّعيه الرافضة فإنهم يزعمون أنه من ذرية الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن الأئمة عندهم الذين يَعُدُّونهم اثني عشر وآخرهم المهدي، كثير منهم من ذرية الحسين.

❋- هكذا يدعون أن المهدي قد دخل السرداب في القرن الثالث في عام مئتين وستين من الهجرة، أي قبل نحو ألف ومئتي سنة من اليوم، يقولون: ولدته أمه فخاف عليه أبوه من السلطان أن يقتله، فأخفاه في سرداب سامِرَّاء في العراق، ولا يزال فيه إلى اليوم، وهم ينتظرون خروجه، وهذه خرافة، فإن المهدي الذي دلت عليه الأدلة، يصلحه الله في ليلة، ومعناه أنه يعيش بين الناس ويكون في أوساطهم وليس مهيئاً لهذا

الأمر، ولكن الله تعالى يصلحه في ليلة، أما دعوى أن رجلاً لا يزال حيـًا من نحو ألف ومئتي عام فهذا خرافة لا يدل عليها دليل ولا يؤيدها عقل صحيح.

*- وللفائدة فكُتب أهل السنة في التاريخ بل وكتب الشيعة أيضـًا الذين كتبوا في التاريخ قد ذكرت أن الحسن العسكري الذي هو من ذرية الحسين بن علي والذي يعدُّونه الإمام الحادي عشر عندهم مات ولا ولد له، مات عقيمـًا لا يولد له، وإنما هذه كِذبة ادَّعاها الرافضة أنه وُلِدَ له وَلدٌ في السر، فأخفاه وأدخله ذلك السرداب، ولا يزالون كما ذكر السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو من أهل تلك البلدان أنهم لا يزالون في زمانه ينتظرون عند باب السرداب ومعهم طعام وشراب، وعندهم فرس ينادونه بالخروج أخرج يا مهدي، أخرج يا ولي الله حتى تغرب الشمس فينصرفون.

ولا يزالون يعيشون على هذه الخرافة إلى يومهم هذا. وقد قال قائلٌ يوبِّخهم على هذه الخرافة:

مـا آنَ للسـرداب أن يَلِـدَ الـذي * كلَّفتمـوه بـزعمكم مـا آن**

فعلـى عقـولكم العَفَـاء فـإنكم * ثَلَّثْـتُم العَنْقَـاء والغِـيْلان**

والعفاء أي التراب، والعنقاء والغيلان هذه خرافات كانت عند العرب، والمهدي عند الرافضة ثالث هذه الخرافات.

فإذن لا ملازمة بين ما يثبته أهل السنة من المهدي الذي دلت عليه الأدلة، وبين ما يدعيه الرافضة من خروج مهديهم الذي ينتظرونه.

ولذا فهم يُفسدون في الأرض ويتركون إقامة الدين بحجة أن المهدي لا يخرج إلا وقد كثُر الفساد، فيخرج يقيم لهم الدين، وأما أهل الإسلام فهم يقيمون الدين ولا ينتظرون خروج مهدي بل يقيمونه ويسعون جاهدين في نشره حتى إذا خرج المهدي يقيمه الله سبحانه وتعالى على يديه إقامةً لم يحصل مثلها في كثير من الأزمان.

نسأل الله جل وعلا أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الكفر والكافرين.

اللهم من أراد المسلمين بسوء فاجعل كيده في نحره، اللهم قنا وقِ المسلمين من شره.

اللهم ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله، رب العالمين.



(٣٨) خروج يأجوج ومأجوج

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن من أخبار الغيب التي يجب الإيمان بها: الإيمانَ بخروج يأجوج ومأجوج.

ويأجوج ومأجوج أمتان من بني آدم مفسدون في الأرض، وهم من نسل آدم، فقد جاء في الصحيحين[١] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: «**أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ**».

فهذا الحديث يبين فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم، وأنهم من جنس البشر، أجسادُهم كأجساد البشر، ووجوههم كوجوه البشر، ولكنهم كانوا أهل شرٍّ وفساد في الأرض.

وما جاء في بعض الأخبار واشتهر عند كثير من الناس من أن أجسامهم كبيرة جداً، أو أنها صغيرة جداً، أو ما يُذكر في صفاتهم التي تخالف صفات البشر، فكل ذلك مما لا دليل عليه، ولا يُعتمد على مثله، بل هم من ذرية آدم، وكثير من المؤرخين وأهل

---

(١) البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢ -٣٧٩-).

السير، يقولون: إنهم من ولد يافث، من ولد نوح، الذي هو أبو الترك، وقد قيل: إن الترك سموا تُرْكًا لأنهم تُركوا من وراء السَّد الذي بناه ذو القرنين.

فإذاً، يأجوج ومأجوج أُمَّتان من بني آدم اشتهروا بالشر والفساد والأذية لمن حولهم من البلدان، وهذا كما يوجد في كثير من البشر يكونون أهل شر وفساد وأذية لمن حولهم، فلما وصل إليهم الملك الصالح المؤمن ذو القرنين الذي سار من مطلع الشمس إلى مغربها، فلما وصل إلى هؤلاء، شكوا إليه فساد يأجوج ومأجوج، فبنى عليهم سداً وردمًا بين جبلين لا يخرجون منه على الناس، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الكهف:٨٣-٨٥].

إلى أن قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾، وهما جبلان عظيمان ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾، أي دون السدين وقبلهما، ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾، أي ألسنتهم عجمية لا يفهمون الكلام ولا يعونه.

﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي نعطيك أجرة ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ تجعل بيننا وبينهم حاجزاً بحيث لا يخرجون إلينا ولا نصل إليهم ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾، الذي أعطاني الله من التمكين والأسباب خير من الأجرة التي تعطوني، ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ أي أريد منكم عملاً تعينوني به، ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [سورة الكهف:٩٥].

ثم قال: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ أي: قِطَع الحديد، فبنى ذلك السد بالحديد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ أي أنه بنى حتى ساوى بين الجبلين بذلك البناء ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ [سورة الكهف:٩٦]، أي أصبُّ عليه النحاس، فبناه بالحديد، ثم أذيب له النحاس، وصبَّه على ذلك الجدار الذي بناه من الحديد، فصار قويًا، متينًا، لا يستطيع أحد أن يعلوَه، وأن يصعد فوقه، ولا يستطيع أحد أن ينقبه أو يكسره.

قال الله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾، أي: يعلوه ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾، فلما بناه قال لهم: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾، هذا السد رحمة من الله، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [سورة الكهف:٩٨] إذا جاء وعد الله بخروجهم جعل ذلك السد دكًا أي مستويًا بالأرض فخرجوا لأمر الله سبحانه وتعالى.

فإذاً، هذا الملك بما أعطاه الله تعالى من قوة وتمكين هو الذي حجزهم وجعلهم وراء هذا السد، ولا يزالون من يومه ذاك إلى يومنا هذا إلى ما شاء الله وراء ذلك السد حتى يأذن الله تعالى بخروجهم.

وهم يريدون الخروج ويحاولونه، وقد فُتح من ذلك السَّد في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيء يسير، جاء في الصحيحين[1] عن زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أم المؤمنين أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا، يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**». وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ

(١) البخاري (٣٣٤٦) ومسلم (٢٨٨٠ -١-).

وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بْنَتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**».

فهذه الحادثة من بوادر خروجهم، ومن أول ما حصل من ذلك أنه فُتح من ذلك الردم شيء يسير في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهكذا هم يريدون الخروج حتى يأذن الله سبحانه وتعالى لهم بالخروج.

وخروجهم ثابت دل عليه القرآن والسنة، قال الله سبحانه وتعالى عن ذي القرنين أنه قال: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ [سورة الكهف:٩٨] أي بخروجهم، ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [سورة الكهف:٩٨].

وقال الله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة الأنبياء:٩٦-٩٧].

وخروجهم ثابت أيضًا بالسنة في أحاديث كثيرة، منها: ما أخرجه مسلم (٢٩٠١ - ٣٩-) في صحيحه عن حذيفة بن أَسِيْد الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ**»، وذكر منها خروج «**يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ**».

وخروجهم يكون بعد خروج الدجال بل بعد نزول عيسى بن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقتل الدجال، فإن الدجال يخرج، ثم ينزل عيسى، فيقتل الدجال، وبعد نزول عيسى وقتله الدجال يكون خروج يأجوج ومأجوج.

وجاء في صحيح مسلم (٢٩٣٧ -١١٠-) عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم، وقتله للدجال قال: «**فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ**»، بينما الناس مع نبي الله عيسى وهو بين أناس يصبِّرهم ويبشرهم بدرجاتهم عند الله، من الذين عصمهم الله من الدجال.

قال: «**فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ**»، أي: لا قدرة ولا طاقة لأحد بقتالهم، «**فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ**»، أي خذ المؤمنين ومن معك واجعلهم في جبل الطور، قال: «**وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ،** ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [سورة الأنبياء:٩٦] **فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ**»، وهي في أرض الشام قريب من بيت المقدس، «**فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ**».

قال -كما في روايةٍ لمسلم-: «**ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمَرِ، وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ. فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ** -أي: سهامهم ونبالهم- **إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا**». وهذه فتنة يُفتنون بها. جاء في رواية خارج الصحيح[(١)]: «**فيقولون غلبنا أهل الأرض، وقتلنا أهل السماء**»، قال: «**فيُحصر نبي الله عيسى وأصحابه في جبل الطور حتى يصير**

---

(١) في سنن ابن ماجه (٤٠٧٩): «**هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ، وَلَنُنَازِلَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ. حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَهُزُّ حَرْبَتَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ مُخَضَّبَةً بِالدَّمِ، فَيَقُولُونَ: قَدْ قَتَلْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ**»، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم»، أي لشدة الجوع والجَهد الذي يصيبهم.

قال: «**فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ تعالى**» أي: بالدعاء يدعون الله تعالى أن يفرج عنهم، «**فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ** -على يأجوج ومأجوج- **النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ**»، والنغف دود صغار تكون في أنوف الغنم أو في أنوف الإبل، قال: «**فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**»، يهلكهم الله تعالى جميعًا في يوم واحد ولا يبقى منهم أحد.

«**ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ** -مرة أخرى-، **فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ**»، أي كأعناق الإبل، «**فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ، حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ**»، أو كالزَّلقة، أي المرآة، أي نظيفة طاهرة، ليس فيها شيء من زهمهم وروائحهم وبقايا أجسادهم.

فعند ذلك يبقى نبي الله عيسى في الأرض بعد موت هؤلاء ما شاء الله أن يبقى، ويعمُّ الخير في الأرض وينتشر، وتكثر البركات، ويدخل الناس في الدين، ويتمسكون به، وينعمون نعمة لم ينعموا مثلها فيما مضى من الأزمان.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، مما مضى من الأدلة، نعلم أن يأجوج ومأجوج قوم كفار وهم من أهل النار، كما في حديث أبي سعيد المتقدم، «**يَا آدَمُ، أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ**». وفي بعض الألفاظ: «**أَخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ**» فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ**»، فهم قوم كفار ولا مانع أن الله تعالى أرسل إليهم رسلاً يبلغونهم الدين، ويدعونهم إلى الله تعالى، ولكنهم كفروا وردُّوا دعوتهم، فيجازيهم الله سبحانه وتعالى بالنار.

ومن هذه الأدلة، نعرف أنهم كثير لا يحصي عددهم إلا الله، الألف منهم يقابلون واحداً من هذه الأمة من أهل الإيمان، وهذا يدل على كثرة كاثرة فيهم.

وهكذا مما تقدم من الأدلة يتبين لنا خطأ من زعم أن يأجوج ومأجوج هم التتار، وهكذا قول من زعم في هذا الزمان أن يأجوج ومأجوج هم الصين أو ما حولهم من البلدان، فهذا القول خطأ يخالف القرآن والسنة، فإن الله قد بيَّن في القرآن أن خروجهم يكون عند اقتراب قيام الساعة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ [سورة الأنبياء:٩٦-٩٧].

وهكذا في حديث النواس بن سمعان أن خروجهم يكونوا بعد نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبعد قتل الدجال، وأما قبل ذلك فهم لم يخرجوا بل لا يزالون محبوسين في مكانهم الذي حبسهم فيه ذو القرنين، حتى يكون في زمن عيسى وبعد قتله للدجال يخرجون.

وغير ذلك مما تقدم من الأدلة التي تبين خطأ قول من يقول: إنهم التتار الذين خرجوا على الناس في القرن السادس أو السابع. وقول من يقول في هذا الزمان إنهم الصين، فإن الصين وغيرهم من أهل الكفر في هذه الأزمان يخالطون الناس، والناس يذهبون إليهم، وهم يخرجون إلى الناس، ويأجوج ومأجوج لا يخرجون من مكانهم حتى يأتي وعد الله ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [سورة الكهف:٩٨].

ثم بعد خروج يأجوج ومأجوج وموتهم يبقى نبي الله عيسى مع من معه من المؤمنين في أحسن حال، ثم يموت نبي الله عيسى ويصلي عليه المسلمون ويُدفن في الأرض، ثم بعده يرجع الفساد إلى الناس، ويعمُّ الشر، وتكثر المنكرات، فيقع الشرك، يُعبد غير الله سبحانه وتعالى، بل يجهل الناس بأيسر الأمور من دينهم، قال النبي

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ اللهُ**»(١)، أي يذهب الدين من عند الناس.

وقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ**»(٢).

وجاء في حديث النواس بن سمعان بعد موت نبي الله عيسى قال: «**فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**»(٣).

ومعنى: «**يتهارجون تهارج الحمر**» أي يُجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك، فيعمُّ الفساد بعد الخير الذي حصل، وبعد الاستقامة التي فشت، وبعد الدين الذي أقيم في الناس، مع ما حصل لهم من الخير في دنياهم، يرجع الناس إلى شر عظيم.

وهذا مُؤذِن بقيام الساعة فإن الساعة إنما تقوم على شرار الخلق، فهذا مما أخبر الله سبحانه وتعالى به، وأخبر به نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومما يجب على المؤمن أن يؤمن به وأن يعتقده، كما دلت عليه هذه الأدلة.

نسأل الله جل وعلا أن يعيننا على ذكره، وشكره، وحسن عبادته.

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

---

(١) رواه مسلم (١٤٨ -٢٣٤-)، عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (١٩٢٤ -١٧٦-)، عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) رواه مسلم (٢٩٣٧ -١١٠-).

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم يسر لهم البطانة الصالحة التي تدلهم على الخير وتحثهم عليه.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والحمد لله رب العالمين.

(٣٩) آيات قبل قيام الساعة

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن من أمور الغيب التي يجب على المسلم أن يؤمن بها: ما جاء في صحيح مسلم (٢٩٠١ -٣٩-)، عن حذيفة بن أسيد الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ**». فَذَكَرَ: «**الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ. وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**».

وفي رواية لمسلم (٢٩٠١ -٤٠-): «**وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ**».

فهذه عشر آيات وهي من أمور الغيب لن تقوم الساعة حتى تقع هذه العشر الآيات، وهي من أشراط الساعة الكبرى.

وقد مضى الحديث عن بعض هذه العشر، ومما لم يتقدم الحديث عنه من هذه العشر التي يجب الإيمان بها، ومعرفة أنها تكون قبل قيام الساعة:

الدخان، وقد ذكره الله تعالى في القرآن، بل سمى سورةً من القرآن بسورة الدخان، وقال الله تعالى فيها: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ۝١٢﴾ [سورة الدخان:١٠-١٢]، فالله جل وعلا يقول لنبيه: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠﴾ [سورة الدخان:١٠] أي: ترقَّب ذلك وانتظره، وهذا يدل على أنها من الآيات المنتظرة التي ستأتي قبل قيام

الساعة، لأنه قد ذهب بعض السلف أن الدخان قد مضى وأنه ما أصاب قريشاً حين دعا عليهم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالجوع وأن يأخذهم الله بسبع سنين كسني يوسف، فكانوا من شدة الجهد والجوع والإرهاق يرى أحدهم بين السماء والأرض دخاناً، فقال بعض السلف: إن هذا هو الدخان الذي ذكره الله.

وقال أكثر أهل العلم: بل هو من الآيات المنتظرة التي ستأتي قبل قيام الساعة، وقد ورد في ذلك أدلة، منها:

حديث أبي مالك الأشعري، وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند الطبراني (٣٤٤٠)، وابن أبي حاتم (١٨٥٣٣)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَهِيْجُ الدُّخَانَ بِالنَّاسِ، فَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ مِنْهُ كَالزُّكْمَةِ، وَيَأْخُذُ الْكَافِرَ فَيَنْتَفِخُ وَيَخْرُجُ مِنْ كُلِّ مَسْمَعٍ مِنْهُ**».

وجاء في صحيح مسلم (٢٩٤٧ -١٢٩-) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا**»، وذكر منها: «**الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا**»، فهذا يدل على أنها من الآيات المنتظرة، ولذا قُرِنت بالآيات التي تكون قرب قيام الساعة.

والأدلة تدل على أنه دخان يهيج وينتشر في الأرض فيصيب الناس، فأما الكفار فتنتفخ منه أجسادهم، وأما المؤمنون فيصيبهم منه كالزكام.

وهكذا من الآيات المذكورة في هذا الحديث: ثلاثة خسوف، والخسف هو الذهاب في الأرض والغياب فيها، ومعناه: أن تبتلع الأرض أناساً ببيوتهم وأموالهم وما إليهم،

ويصيرون إلى باطن الأرض بعد أن كانوا على ظاهرها، وهي ثلاثة خسوف: خسف في جهة المشرق، وخسف في جهة المغرب، وخسف في جزيرة العرب.

خسف بالمشرق أي: مشرق الجزيرة، وخسف بالمغرب أي: مغرب الجزيرة، وخسف في جزيرة العرب.

وعند الطبراني في الأوسط (٣٦٤٧) عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**سَيَكُونُ بَعْدِي خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُخْسَفُ بِالْأَرْضِ وَفِيهِمُ الصَّالِحُونَ؟ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَعَمْ إِذَا كَانَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا الْخَبَثِ**».

وذِكْرُها في هذه الأحاديث يدل على أنها خُسوفٌ عظيمة وتكون شاملة لأماكن كثيرة، خُسوفٌ يعلم بها الناس وتنتشر بها الأخبار ويهولهم أمرها، كما خسف الله تعالى بقارون وبداره وكنوزه وما معه.

ومن الآيات المذكورة في هذا الحديث: طلوع الشمس من مغربها، وهذا قد ذكره الله تعالى في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾ [سورة الأنعام:١٥٨].

جاء في صحيح مسلم (١٥٧ -٢٤٨-)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ**

مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا».

وهذه من آخر أشراط الساعة، ويبقى الناس بعدها وقتًا ليس بالطويل، وقد ذُكرت في أحاديث كثيرة، منها هذا الحديث، ومنها حديث حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المذكور آنفًا: «**لَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ**»، ومنها: «**طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا**».

ومنها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم (٢٩٤٧ -١٢٩-)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا**»، وذكر منها: «**طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا**».

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح مسلم (٢٩٤١ -١١٨-)، عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيَّتُهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا**».

ومعنى قوله: «**أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا**»، أي أول الآيات التي ليست معهودة عند الناس، أو أول الآيات التي لا ينفع معها توبة إذا ظهرت ولا يُقبل معها إيمان، وإلا فهي من آخر أشراط الساعة.

والشمس في كل يوم تطلع من المشرق، ثم تجري في الأفق حتى تغرب من المغرب، ثم تنتهي إلى مستقرها الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [سورة يس:٣٨]، ومستقرها تحت العرش، فتسجد تحت العرش ولا تزال ساجدة

حتى يأمرها الله تعالى أن تطلع من المشرق، إلى قرب قيام الساعة فيأمرها الله أن تطلع من المغرب.

جاء في صحيح مسلم (١٥٩ -٢٥٠-)، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال لنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً.

وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي، أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»، من الجهة التي غربت منها، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا».

وجاء في صحيح مسلم (٢٧٥٩ -٣١-)، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

وجاء عند الإمام أحمد (١٦٩٠٦) عن رجل من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ؛ طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلَ».

فحينئذ لا يقبل إيمان ولا تنفع توبة ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾ [سورة الأنعام:١٥٨].

فالشمس جارية، ونحن نؤمن أنها جارية، كما قال الله، ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي﴾ [سورة يس:٣٨] وكما قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إنها تجري حتى تأتي مستقرها تحت العرش، فليست ثابتة كما يقول بعض الناس، وكما في بعض النظريات الخاطئة التي تخالف القرآن والسنة بل هي جارية، ولا تزال جارية وطالعة من مطلعها حتى يأذن الله لها بالطلوع من مغربها.

وهل تطلع من مغربها ثم تسير إلى المشرق؟ أو تطلع من مغربها فقط وتبقى في المغرب ليراها الناس؟

الله أعلم بذلك، ولم يأتنا في الدليل ذِكرُ شيء من ذلك فيما نعلم، لكننا نؤمن أنها تطلع من المغرب.

وهكذا بعد ذلك اليوم، هل تعود إلى طبيعتها الأولى، وتكون طالعة من مطلعها؟

هذا هو الأمر ظاهر الأدلة أنها في يوم واحد فقط تكون طالعة من المغرب، وهو آية من آيات الله الدالة على قرب قيام الساعة، ثم تصير كما هي عليه؛ ليعلم الناس بذلك أنه قد اقتربت الساعة، وأن هذا من أول الآيات الخارجة عن المألوف، فيراها الناس ويتيقنون قيام الساعة بعد ذلك.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، من الآيات المذكورة في حديث حذيفة بن أسيد التي هي من أمور الغيب، ويجب الإيمان بها: **خروج الدابة**، وهذا قد ذكره الله تعالى في كتابه في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النمل:٨٢].

وجاء في حديث حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات**» ومنها: خروج الدابة.

وفي صحيح مسلم (٢٩٤٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا**»، وذكر منها: خروج الدابة.

وهكذا جاء في صحيح مسلم (٢٩٤١ -١١٨-)، عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيَّتُهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا**».

أي أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يجزم هل يكون أولاً طلوعُ الشمس من مغربها أو خروج الدابة لكنهما متقاربتان إحداهما بعد الأخرى مباشرة.

وهذه الدابة لم يصح في الدليل تعيينُها من أي الدواب هي، فمحتمل أنها من بني آدم على هيئة معينة كما رأى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الجساسة في صورة غريبة، وهو رجل من بني آدم كما في بعض الروايات، ولكنه كثير الشعر.

ويحتمل أنها دابة من دواب الأرض الأخرى تخرج وتكلم الناس: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة النمل:٨٢] أي: حق عليهم العذاب واقتربت الساعة، ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [سورة النمل:٨٢]، تُكلِّمهم كلاماً وتخاطبهم خطاباً، قيل إنها تُخبِر بالمؤمن من الكافر، وكان بعض السلف يقرؤها ﴿تَكْلِمُهُم﴾ كابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أي تجرحهم فالكَلْم هو الجَرْح، أي تجعل لهم علامة في وجوههم.

جاء في مسند الإمام أحمد (٢٢٣٠٨)، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تَخْرُجُ الدَّابَّةُ، فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ**»، أي تسمهم في أنوفهم وتجعل لهم علامة. «**ثُمَّ يَغْمُرُونَ فِيكُمْ**»، أي يكثرون. وجاء في بعض الألفاظ: «**يُعَمَّرُونَ**» أي: تطول أعمارهم، «**حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ، فَيَقُولُ: مِمَّنِ اشْتَرَيْتَهُ؟ فَيَقُولُ: اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخَطَّمِينَ**»، أي أن الناس يبقون بعد خروج الدابة ما شاء الله ويبيعون ويشترون حتى تقوم الساعة.

فإذاً هذه الدابة تُكلِّم الناس كلاماً وتخاطبهم مخاطبة ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾، وهكذا ﴿تَكْلِمُهُم﴾ أي: تَسِمُهُم على أنوفهم وتجعل لهم علامات.

جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: (كُلَّا تفعل) أي: تفعل هذا وهذا، فتُكلِّم الناس وتخاطبهم، وهكذا تسمهم على أنوفهم.

جاء في بعض الآثار أنها تجلو وجوه المؤمنين وتَسِمُ وجوه الكافرين.

*- وجاء أن خروجها يكون في وقت الضحى كما في صحيح مسلم (٢٩٤١ - ١١٨-): «**وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى**».

وأما مكان خروجها فقد جاءت فيه آثار أنها تخرج من مكة.

فهذه من الآيات المذكورة في هذا الحديث.

وآخر هذه الآيات التي ذكرت في حديث حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**»، في رواية مسلم (٢٩٠١ -٤٠-): «**تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ**».

جاء في رواية عند أحمد (٤٥٣٦)، والترمذي (٢٢١٧)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها تخرج من حضرموت، أو من بحر حضرموت.

ولا منافاة بينها فهي تخرج من البحر وبحر عدن وحضرموت بحر واحد.

وهذه النار تسوق الناس وتجمعهم إلى أرض المحشر، وأرض المحشر هي أرض الشام.

وجاء في الصحيحين[(١)]، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ**»، أي على ثلاث فِرَق، أو ثلاث صفات وهيئات: «**رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ**»، هذه الطريقة الأولى: يكون الناس أهلَ رغبةٍ فيما عند الله، وأهلَ خوفٍ مما يأتي من عذاب الله.

قال: «**وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ**»، وهذه الصفة الثانية أناس يُحشرون إلى الشام راكبين.

قال: «**وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا**»، أي: أن النار تُحيط بهم من كل جانب ولا يبقى لهم إلا الجانب الذي يسيرون فيه وهي تمشي وراءهم تجمعهم وتسوقهم، فإذا نزلوا يبيتون تستقر النار وتبيت معهم، وإذا نزلوا يقيلون تنزل النار وتستقر معهم، ففي كل موضع يكونون فيه، هي معهم حتى تجمعهم إلى أرض المحشر، التي هي أرض الشام.

فهذه عشر آيات مضى الحديث عن بعضها، وهذه بقيتها مما يجب الإيمان به مما أخبر به النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وبهذا تم ما أردناه من ذكر أهم ما يعتقده المسلم، وما يجب عليه أن يحققه مما يلقى الله سبحانه وتعالى به وتكون نجاته يوم القيامة بذلك.

---

(١) البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١ -٥٩-).

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما سمعنا وأن يعلمنا علماً ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

والحمد لله رب العالمين.

***

الفهرس

المقدمة..... ٥
(١) أهمية تصحيح العقيدة..... ٧
(٢) الإيمان بالله..... ٢٠
(٣) أهمية العلم بأسماء الله وصفاته، وأثر ذلك على حياة المسلم..... ٣٦
(٤) الإيمان بالملائكة..... ٥٥
(٥) الإيمان بالكتب..... ٧٤
(٦) الإيمان بالرسل..... ٩١
(٧) الإيمان بالقدر..... ١٠٩
(٨) مسائل مهمة متعلقة بالإيمان بالقدر..... ١٢٧
(٩) الإيمان باليوم الآخر (١) القبر أول منازل الآخرة..... ١٤٣
(١٠) الإيمان باليوم الآخر (٢- فتنة القبر)..... ١٥٤
(١١) الإيمان باليوم الآخر (٣- نعيم القبر وعذابه)..... ١٦٥
(١٢) الإيمان باليوم الآخر (٤- النفخ في الصور والبعث والنشور)..... ١٨١

(١٣) الإيمان باليوم الآخر (٥- الحشر).....١٩٢
(١٤) الإيمان باليوم الآخر (٦- الحوض).....٢٠٧
(١٥) الإيمان باليوم الآخر (٧- الحساب).....٢١٨
(١٦) الإيمان باليوم الآخر (٨- الميزان).....٢٣٢
(١٧) الإيمان باليوم الآخر (٩- الصراط).....٢٤٣
(١٨) الإيمان باليوم الآخر (١٠- الشفاعة).....٢٥٦
(١٩) الإيمان باليوم الآخر (١١- رؤية الله في الآخرة).....٢٧٠
(٢٠) الإيمان باليوم الآخر (١٢- الجنة والنار).....٢٨٢
(٢١) حقوق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته.....٢٩٥
(٢٢) حقوق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.....٣١٠
(٢٣) معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وصهر الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكاتب وحي رب العالمين.....٣٣٠
(٢٤) عقيدة أهل السنة في أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الغلاة والجفاة..٣٤٣
(٢٥) الإيمان بعلو الله على خلقه واستوائه على عرشه.....٣٦١
(٢٦) معية الله لخلقه وقربه منهم.....٣٧٣
(٢٧) العرش والكرسي حق.....٣٨٨
(٢٨) ضابط البدعة ووجوب تركها والبعد عنها.....٣٩٨
(٢٩) أضرار البدع ومفاسدها.....٤١٦

(٣٠) كرامات الأولياء بين المنكرين لها والغالين في إثباتها..... ٤٣٣

(٣١) لا نكفر أحدا من أهل القبلة بكل ذنب، ولا نشهد له بجنة ولا نار، ونصلي على من مات منهم ونستغفر له..... ٤٤٩

(٣٢) وجوب طاعة ولي أمر المسلمين في غير معصية الله ٤٦٦

(٣٣) الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ٤٨٤

(٣٤) الإسراء والمعراج..... ٤٩٩

(٣٥) فتنة المسيح الدجال..... ٥١٤

(٣٦) نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ..... ٥٣٠

(٣٧) خروج المهدي..... ٥٤٦

(٣٨) خروج يأجوج ومأجوج ٥٥٩

(٣٩) آيات قبل قيام الساعة..... ٥٧٠

الفهرس ٥٨٢